

إلى بلاد الأفراح

للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي
 الفقيه الاصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبي عبد الله بن
 قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ - المتوفى ٧٥١

(الطبعة الثانية)

11921 - 1207

مصححت على نسختين خطيتين بدار الكتب الملكية العامة

تحت فقرة ٢٢٠٢ ، ٢٢٠٣

صححه وعلق عليه الأستاذ

محمود حسن بیچ

المدرسین بالانزہر

يُطْلَبُ مِنْ مَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِ بِأَوَّلِ شَارِعِ الْيَتْرَاسَةِ بِمَكْتَبِهِ

ہمامیرا: احمد نشأت

حقوق الطبع محفوظة

مكة رئيس جمعية النشر والتأليف الازهرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتجلى على عباده بالرحمة والاحسان والصلاة والسلام على الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ، من تبعه فاز بجنة عرضها السموات والارض ، ومن كذبه وجانب أمره وقع فى الهلاك والعذاب المميين ، وعلى آله وأصحابه الذين ترسموا تعاليمه ، وتبعوا هديه ، وسلكوا سبيله ، ففازوا برضوان الله وكانوا من المفلحين ، وعلى من تبعهم باحسان فأمن بالغيب ، وصدق بما ثبت عن صاحب الرسالة صلوات الله عليه ، وكان لسان حاله يقول :

على السمع عولنا فكنا أولى النهى ولا علم إلا ما يكون عن السمع
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

(أما بعد) فأتى منذ ٢٠ ذوالقعدة سنة ١٣٤٥ هـ ٤ مايو سنة ١٩٢٧ يوم صدرت جريدة السياسة بمصر وفى إحدى صفحاتها قصيدة خطتها أنا مل شاعر عراقى ملحد جرىء على الله ورسله والناس ، أبرز فيها مكنوز ضحيره ، وما استقر بين جوانحه من تكذيب للجزء فى الآخرة ، ورفض لنعيم الجنة فى أبشع صورة من صور الجرأة والعناد ، وهذا الشاعر هو المدعو (معروف الرصافى) وقصيدته يعز علينا أن ثبت شيئا منها هنا ، ولكن الضرورة تحتم علينا ذلك كى يعلم القارئ الكريم أننا لم نتعامل على هؤلاء ، ولم نرد أن نكثر سواد الأعداء ، وإنما يأبى حزب الشيطان إلا أن يظهر فى غفلة من الحكومات ، وحيث توسد الأمور لمن لا يهتم بأمر الدين ، ويضرب على أيدي المارقين بيد من حديد ، وقد قال الله تعالى « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » وقال الرسول المكرم (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) فأمثال هؤلاء ليس منهم حجة تقرر بالحجة ، ولا دليل ينتطح بدليل ، وإنما تهافت وعناد ، وانتضاء لسيف البغي ، وتعسف فى الكيد والضلال ، لغاية فى صدورهم ، وحاجة فى أنفسهم ، كم أضلت من أمثالهم حتى أبوا أن ينصاعوا لهدي الرسول ، وعموا عن النظر

إلى النور الذى جاء به حتى قالوا « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه » وأذا نال
وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب « فهؤلاء الذين طبعوا على الكفر ، ومروا
على الزندقة ، وصبغوا بصبغة الالحاد ، لا يمكن إقناعهم بحجة ، ولا صدم
عن غيهم ببرهان ، بل قال الله فى أمثالهم

« ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا ما كانوا ليؤمنوا »

إنما الذى يصنع مع هؤلاء وجوبا هو ما يصنع بالمجانين والمرضى أمراضا
خبينة منفرة يتعدى ضررها إلى الغير ، أليس واجب الحكومات أن تحمى
العامة من هؤلاء ، وأن تقى الشعب شر الاختلاط بهم ، وتعمل على حجزهم
فى مصحات خاصة يعالجون فيها من مال الأمة ، وتكفى الأمة بهذا شرهم ؟
كذلك هؤلاء يجب أن يحال بين العامة وبينهم ، فلا تنشر عليهم ترهاتهم ،
ولا ينفثون فيهم سمومهم ، ولا يمتكون من نشر أبدا عليهم طالما أن الحق حق ،
وأن أهله لا يزالون يحملون لواءه ، ويرفعون علمه . ولا يزال الكثير يخضع
له ، ويعنوا لعظمته ، ويحز من كبده أن يرى الرضا فى الحديث عنه يقول فى تصيدته
المستنكرة

وتكره نفسه أن أكون مخادعا لا أدرك نقعا ، أو لا دفع ضائرا
ومن أجل مقتى للمخانيث أنكرت يدى أن تحلى فى الجنان أساورا
وما العجز إلا أن أكون مكافئا إذا ما تقاضتنى العلان أجاهرا
فهذا القول المزخرف بطلاء الصراحة الكشفة عن كفر مؤكدا لا ينبغي
أن ينشر على الناس ، ولا أن تصدع به رؤسهم ، بل الواجب أن يحال بينهم وبينه
حتى لا يقع فى شركه سفهاء الاحلام ، وضعفاء النهى

هذا واجب الحكام ، أما واجب أهل العلم فهو ما أحسننا به من أول يوم
قرع سمعنا نعيب هذا الغراب فوق صفحات هذه الجريدة ، فقد رأينا أن واجبنا
كوأجب الأطباء حين ظهور أعراض مرض خبيث على بعض الأفراد من كونهم
يعملون على حماية الاصحاء باعطائهم المصل الواقى ، وفعلا قمنا بكتابة الجزء الثالث
من (سهام الدين المارقة فى صدور الزنادقة) وهو خاص بالبعث ونعيم الجنان ،
ورأينا أيضاً إكثار النشر فى هذا الموضوع حتى ينظر اليه بعين اليقين ،

درس من أجل ما كتب فيه هذا الكتاب القيم الجامع الذي لم يؤلف مثله في موضوع الجنة وما يتعلق بها، وهو المسمى (حادي الارواح إلى بلاد الافراح) لعلم الاعلام وشمس الائمة أولى الافهام ، شيخ الاسلام الحافظ الجليل محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية — فقد بوب هذا الكتاب على سبعين بابا استوفى الكلام فيها على كل ما تحدث به الانفس في شأن الجنة ، وأتى على الخلافات المذهبية في شأنها ووضح مباحثها ، وحررها ووصل إلى الحق البين في كثير مما كتب ، وبرهانه في ذلك الكتاب العزيز والحديث الصحيح ، وما عليه الصحابة وتابعوهم رضوان الله على الجميع

ولقد قيض الله لطبعه ولدنا الفاضل احمد نشأت بارك الله فيه ، ونشأه تنشئة صالحة ينفعه بها وينفع الناس على يديه — فأجاب بذلك رغبتنا في إفراذ هذا الكتاب بالطبع ، وأبرزنا استعدادنا للعناية بتصحيحه والتعليق عليه ، ونسأل الله أن يوفقنا وينفع به إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير

محمود ربيع
المدرس بالازهر

ترجمة المؤلف الحافظ شمس الدين
ابن قيم الجوزية رحمه الله

جاء في طبقات الفقهاء والمحدثين من أصحاب الامام المبجل سيدنا الامام
أحمد بن حنبل تأليف الامام الحافظ عبد الرحمن بن رجب البغدادي الحنبلي
(مالفظه) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبو عبد الله بن قيم
الجوزية شيخنا * ولد سنة احدى وتسعين وستمائة وسمع من الشهاب النابلسي
العابر والقاضي تقي الدين سليمان وفاطمة بنت جوهر وعيسى المطعم وأبي بكر
ابن عبد الدائم وجماعة * وتفقه في المذهب وبرع وأفتى ولازم الشيخ تقي
الدين وأخذ عنه وتفنى في علوم الاسلام وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه
وباصول الدين واليه فيهما المنتهى والحديث وسعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط
منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعبادة وله فيها اليد الطولى وبعلم
الكلام وغير ذلك، وطالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم
له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى (قال الذهبي) في المختصر: عني بالحديث
ومتونه وبعض رجاله وكان يشتغل في الفقه ويحيد تقريره وفي النحو ويدريه
وفي الاصلين وقد حبس مدة لانكاره على شد الرحل إلى قبر الخليل * وتصدر
للاشتغال ونشر العلم (قلت) وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة
إلى الغاية القصوى وتأله ولهج بالذكر وشغف بالحجة والالابة، والافتقار إلى الله
والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله في ذلك ولا
رأيت أوسع منه علما ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الايمان منه، وليس
هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله وقد امتحن واودى مرات وحبس
مع الشيخ تقي الدين في المدة الاخيرة بالقلمة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا
بعد موت الشيخ وكان مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير
فتفتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الاذواق والمواجيد الصالحة
وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم *

وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحجج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه * ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها وأخذ عنه العلم خاق كثير من حياة شيخه وإلى ان مات وانتفعوا به وكان الفضلاء يعظمونه ويقتله مذكور له كابن عبد الهادي وغيره (وقال القاضي) برهان الدين الزرعي عنه ما تحت أديم السماء أوسم عنها منه ودرس بالصدرية، وأم بالجوزية مدة طويلة وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلم وكان شديد المحبة للعلم وكتابه ومطالعة وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره * فن تصانيفه * كتاب تهذيب سنن أبي داود وایضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الاحاديث المعلولة مجلد * كتاب سفر الهجرتين وباب السعادتین مجلد ضخمة * كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين مجلدات وهو شرح منازل السائرين لشيخ الاسلام الانصاري * كتاب جليل القدر * كتاب عقد محكم الاحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء، مجلد ضخمة * كتاب شرح اسماء الكتاب العزيز مجلد * كتاب زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدى خاتم الانبياء مجلد * كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد أربع مجلدات وهو * كتاب عظيم جداً * كتاب حلى الافهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام وبيان أحاديثها وعللها مجلد * كتاب بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل مجلد * كتاب نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول مجلد * كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين ثلاث مجلدات * كتاب بدائع الفوائد مجلدان * الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية وهي القصيدة النونية في السنة مجلد * كتاب الصواعق المنزلة على الجهمية والمعتلة في مجلدات * كتاب حادي الارواح إلى بلاد الافراح وهو كتاب صفة الجنة مجلد * كتاب نزهة المشتاقين وروضة المحبين مجلد * كتاب الداء والدواء مجلد * كتاب تحفة الودود في أحكام المولود مجلد لطيف * كتاب مفتاح دار السعادة مجلد ضخمة * كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية مجلد * رفع اليدين في الصلاة مجلد * نكاح المحرم مجلد * تفضيل مكة على المدينة مجلد. فضل العلم مجلد. عدة الصابرين مجلد * كتاب الكبائر مجلد *

حكم تارك الصلاة مجلد * كتاب نور المؤمن وحياته * كتاب حكم اغمام هلال
رمضان * التحرير فيما يحل وبحرم من لباس الحرير * جوابات عابدي الصلبان
وأن ما هم عليه دين الشيطان * بطلان الكيمياء من أربعين وجها مجلد * الفرق
بين الخلقة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه مجلد * الكلام الطيب والعمل الصالح
مجلد لطيف * الفتح القدسي * التحفة المكية * كتاب امثال القرآن * شرح
الاسماء الحسنى * أيمان القرآن * المسائل الطرابلسية ثلاث مجلدات * الصراط
المستقيم في أحكام أهل الجحيم مجلدان * كتاب الطاعون مجلد لطيف * توفي
رحمه الله وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين
وسبعمائة وصلى عليه من الغد بالجوامع عقيب الظهر ثم بجوامع جراح ودفن
بمقبرة الباب الصغير وشيعه خاق كثير ورؤيت له منامات كثيرة حسنة رضى الله
عنه وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقى الدين رحمه الله في النوم وسأله
عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الاكابر ثم قالت له وانت كدت تلتحق
بنا ولكن انت الآن فى طمقة ابن خزيمة رحمه الله ، قرىء على شيخنا الامام
العلامة ابى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب وانا اسمع هذه القصيدة من
نظمه فى أول كتاب صفة الجنة

وما ذاك الا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب باخلق أعلم
وان حجت عنا بكل كربة وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلا ما فى حشوها من مسرة وأصناف لذات بها يتنعم
ولله ذاك العيش بين خيامها وروضاتها والثغر فى الروض يديم
ولله واديا الذى هو موعد ال مزيد لو فد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله افراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله ابصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فبانظرة اهدت الى الوجه نظرة أمن بعدها يسلو الحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت اضاء لها نور من الفجر أعظم
فبالذة الابصار ان هى اقبلت وبالذة الاسماع حين تكلم
إلى آخر ما سياتى فى مقدمة الكتاب ولنشرع فيه ذلقارىء أحوج اليه مما سواه،
فنقول وبالله التوفيق قال العلامة ابن قيم الجوزية

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه الاعانة)

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً * ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة اليها فلم يتخذوا سواها شغلاً * وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة اليها ذللاً * خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم اياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملاً * وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عايمه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً ، وأودعها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البشر ، على لسان خير البشر ، وكل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا (والحمد لله) فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبداً ، ولم يتركهم سدى ، ولم يغفلهم هملاً ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهياًهم لخطب جسيم ، وعمرهم دارين فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبع سوى ربه الكريم بدلاً ، وهذه لمن لم يحب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً . (والحمد لله) الذي رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً . (فهذا) عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وأشهد) أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار الا بعنوه ومغفرته . (وأشهد) أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعامة ومن محبة للسالكين ، وحجة على العباد اجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، والى دار

السلام داعياً، وللخليقة هادياً، ولكتاباً تالياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وتزيره وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه، فلم يؤتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلقه من الداخلين، وعلى مناجاه وطريقته من السالكين (فسبحان) من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل للذة والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله وإلى جنته سرا وجهاراً، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً، إلى أن طلع فجر الإسلام، واشترقت شمس الإيمان، وعلمت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، وإضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسناً، وأصبح الظلام ضياءً، واهتدى كل حيران، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحلى الأرفع الأسنى، وقد ترك أمة على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، فسلمك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم: «إيهاك من هالك عن بينة ويحى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم» (فصلى الله) وملائكته وأنبيأوه ورسله وعباده المؤمنين عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به ودعنا إليه (أما بعد) فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عرض على السموات والأرض والجبال قايين وأشفقن منه اشفاقاً ووجلاً، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعنا وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد أن نبغى بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فلقى أكثر الناس الخلل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الانعام السائمة، لا ينظرون في معرفة موجدكم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيمانهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعب إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ماكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم النفلة وغرتهم الأمانى الباطلة، والخدع الكاذبة * فخدعهم

طول الامل * وران عى قلوبهم سوء العمل، فهممهم فى لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا اليه زرافات ووحشانا . وإذا عرض لهم حاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا * يعلمون ظهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون . والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه * وكل نفس من انفسه لاقيمة له إذا ذهب لم يرجع اليه ، فطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدري إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جنائاته . وسلف من تفریطه، حيث لم يقدم لحياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الاليم

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بايجادهم رفعوا رؤسهم فاذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا اليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغيب بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ولا ينفد بصابة عيش إنما هو كاضغات أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قايلأ أبكى كثيرا . وإن سريوما أحزن شهورا . آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته ، أوله بخلاف وآخره متالف ، فيأعجبا من سفيه فى صورة حلیم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، أثر الحظ الثمانى الخسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والارض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات ، والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وإكرا عرابا كآثر البياقوت والمرجان ، بغدرات دنسات سياآت الاخلاق مسالجات أو متخذات أخذان ، وحوورا مقصورات فى الخيام بحبيبات مسيبات بين الانام ، وانهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل منسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعارف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ

والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس النسوق مع كل شيطان
مرید ، ونداء المنادی یا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تأسوا ، ونحيوا فلا تموتوا
وتقيموا فلا تطعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين

وقف الهوى بی حيث أنت فليس لی متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فی هوائك لذیذة حباً لذكرک فلیلهی اللوم
وانما يظهر الغبن الفاحش فی هذا البیع يوم القيامة ، وانما يتبين سفه بائعه
يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون الى الرحمن وفداً ، وسیق الجرمون الى
جهنم ورداء ، ونادى المنادی علی رؤس الاشهاد ، لیعلن أهل الموقف من أولى
بالكرم من بین العبد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الاكرام ،
وادخر لهم من الفضل والانعام ، وما أنفق لهم من قرۃ أعین لم يقع علی
مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر علی قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ،
وأنه لاخیر له فی حیاته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم ان القوم قد توسطوا
ملاكاً كبيراً لا تعتبره الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعیم المقيم فی جوار
الكبير المتعال ، فهم فی روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتهات تحت الحجال يجلسون
وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون ، وبالخور العين يتنعمون ، وبانواع
الثمار يتفكهون ، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين
لا یصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور
عین كامثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الافئس وتلك الاعین وأنتم فیها خالدون ، تالله لقد
نودى عليها فی سوق السكسادة ، فاق قلب ولا استام الا أفراد من العباد ، فواعجبا
لها كيف نام طالبا ، وكيف لم یسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العیش فی
هذه الدار ، بعد سماع اخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار ، دون معانقة
ابكارها ، وكيف قرت دونها العین المشتاقین ، وكيف صبرت عنها انفس الموقنین ،
وكيف صدف عنها قلوب اکثر العالمین ، وبأى شیء تعوضت عنها نفوس
المعرضین

(شعر فی وصف الجنة)

وما ذاك الا غیفة أن یخالها سوى كنفئها والرب بالخلق أعلم
وان حجت عنا بكل كریهة وحفت بما یؤذى النفوس ویؤلم

فله ما في حشوها من مسرة واصناف لذات بها يتنعم
 والله برد العيش بين خيامها وروضاتها والشعر في الروض يبسم
 والله وادياها الذي هو موعد السمزيد لوفد الحب لو كنت منهم
 بذيا لك الوادي يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم
 والله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
 والله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
 فيا نظرة أهدت الى الوجه نظرة أمن بعدها يسلو الحب المقيم
 والله كم من خيرة إن تبسمت أضاء لها نور من الفجر اعظم
 فيالذة الابصار ان هي أقبلت ويالذة الاسماع حين تكلم
 ويأ خجلة الغصن الرطيب إذا اثنت فلم يبق الا وصلها لك مرهم
 فان كنت ذا قلب عليل بحبها وقد صار منها تحت جيدك معصم
 ولا سيما في لثمها عند ضمها يلذ به قبل الوصال وينعم
 تراه إذا أبدت له حسن وجهها فواكه شتى طلعها ليس يعدم
 تفكه منها العين عند اجتلائها ورمان أغصان به القلب مغرم
 عناقيد من كرم وتفاح جنة وللورد ما قد ألبسته خدودها
 تقسم منها الحسن في جمع واحد وللخمر ما قد ضمه الريق والقم
 لها فرق شتى من الحسن أجمعت فيأعجبا من واحد يتقسم
 تذكر بالرحمن من هو ناظر بحملتها إن السلو محرم
 اذا قابات جيش الهوم بوجهها فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
 فيا خاطب الحسنة ان كنت راغبا تولى على أعقابه الجيش يهزم
 ولما جرى ماء الشباب بغصنها فهذا زمان المهر فهو المقدم
 وكن مبعضا للخائنات لحبها تيقن حقا أنه ليس يهرم
 وكن أيما ممن سواها فانها فتحطى بها من دونهن وتنعم
 وصم يومك الاذنى لملك في غد لمملك في جنات عدن تأيم
 وأقدم ولا تقنع بعيش منغص نفوز بعيد الفطر والناس صوم
 وان ضاقت الدنيا عليك بأسرها فما فاز بالذات من ليس يقدم
 ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحى على جنات عدن فأنها
 ولكننا سبى العدو فهل ترى
 وقد زعموا ان الزريب إذا نأى
 وأى اغتراب فوق غربتنا التى
 وحى على السوق الذى فيه يلتقى
 فما شئت خذ منه بلا تمن له
 وحى على يوم المزيد الذى به
 وحى على واد هنالك أفيح
 منابر من نور هناك وفضة
 وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا
 فبيننا همومهم وعيشهم وسرورهم
 اذا هم بنور ساطع أشرقت له
 تجلى لهم رب السموات جهرة
 سلام عليكم يسمعون جميعهم
 يقول سلونى ما اشتهيتم فكل ما
 فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا
 فيعطيتهم هذا ويشهد جمعهم
 فيابائنا هذا ببخس معجل
 فان كنت لاتدرى فتلك مصيبة
 منازلنا الاولى وفيها الخيم
 نعود الى أوطاننا ونسلم
 وشطت به أوطانه فهو مغرم
 لها أضحت الاعداء فينا تحكم
 المحبون ذاك السوق لا يقوم يعلم
 فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
 زبارة رب العرش طاليوم موسم
 وتربته من إذفر المسك أعظم
 ومن خالص العقيان لا تتقصم
 لمن دون أصحاب المنابر يعلم
 وأرزاقهم تجرى عليهم ونقسم
 باقطارها الجنات لا يتوهم
 فيضحك فوق العرش ثم يكلم
 بأذانهم تسليحه اذ يسلم
 تريدون عندى انى أنا أرحم
 فانت الذى تولى الجليل وترحم
 عليه تعالى الله فله أكرم
 كأنك لاتدرى ، بلى سوف تعلم
 وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

﴿ فصل ﴾

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه * وتفصيله وتبويبه ، فهو
 للمحزون سلوة . وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة . لمحرك للقلوب . إلى أجل
 مطلوب . وحاد للنفوس . الى مجاورة الملك القدوس . ممتع لقارئه . مشوق
 للناظر فيه . لايسأله المجلس . ولايغله الانيس . مشتمل من بدائع الفوائد .
 وفرائد القلائد . على ملعل المجتهد في الطاب . لا يظفر به فيما سواه من الكتب
 مع تضمينه لجملة كثيرة من الاحاديث المرفوعات . والآثار الموقوفات .
 والاسرار المودعة في كثير من الآيات ، والنكت البديعات . وإيضاح كثير من
 المشكلات . واختبيه على أصول من الاسماء والصفات . اذا نظر فيه الناظر زاده

إيماناً . وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً . فهو مشير ساكن العزيمات إلى روضات الجنات . وباعث الهمم العليات . الى العيش الهنى في تلك الغرفات (وسميته حادى الارواح . الى بلاد الافراح) فانه اسم يطابق مسماه . ولفظ يوافق معناه . والله يعلم ما قصدت . وما بجمعه وتألينه أردت . فهو عند لسان كل عبد وقلبه . وهو المطلع على نيته وكسبه . وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة . بماء الله لهم في الجنة . فأنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه . ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحرابه . لا تأخذهم في نصره سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الانام . والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً . أو بحثاً جدلياً ، أو خيالاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً . أو حكماً سياسياً . فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود . وهو عن طريق الرشاد مسدود . فبأبوابها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه . ولك صفوه . وعليه كدره . وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك . وبنات أفكاره تزف اليك . فان صادفت كنفوا كريماً لم تعدم منه امساكاً بمعرف أو تسريحاً بأحسان . وان كان غيره فالله المستعان . فما كان من صواب فمن الواحد المزان . وما كان من خطأ فبني ومن الشيطان . والله بربى ، منه ورسوله وقد تسمت الكتاب سبعمين باباً (الباب الأول) في بيان وجود الجنة الآن (الباب الثانى) في اختلاف الناس في الجنة التى أسكنها آدم هل هى جنة الخلد أو جنة فى الارض (الباب الثالث) فى سياق حجج من ذهب الى أنها جنة الخلد (الباب الرابع) فى سياق حجج الطائفة التى قالت انها فى الارض (الباب الخامس) فى جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم (الباب السادس) فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم (الباب السابع) فى ذكر شبهه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد (الباب الثامن) فى الجواب عما احتجوا به من الشبه (الباب التاسع) فى ذكر عدد أبواب الجنة (الباب العاشر) فى ذكر سعة أبوابها (الباب الحادى عشر) فى صفة أبوابها (الباب الثانى عشر) فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب (الباب الثالث عشر) فى مكان الجنة واين هى ؟ (الباب الرابع عشر) فى مفتاح الجنة (الباب الخامس عشر) فى توقيف الجنة ومنشورها الذى يكتب

لاهلها (الباب السادس عشر) في بيان توحيد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد (الباب السابع عشر) في درجات الجنة (الباب الثامن عشر) في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة (الباب التاسع عشر) في عرض الرب تعالى سلعته على عباده ونعمها الذي طالبه منهم، وعقد أتباع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم الخ (الباب العشرون) في طلب الجنة أهأها من ربهم، وشفاعتها فيهم وطالبهم لها (الباب الحادي والعشرون) في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها (الباب الثاني والعشرون) في عدد الجنات وأنواعها (الباب الثالث والعشرون) في خلق الرب تعالى لبعضها بيده (الباب الرابع والعشرون) في ذكر وائبها وخزنتها (الباب الخامس والعشرون) في ذكر أول من يقرع باب الجنة (الباب السادس والعشرون) في ذكر أول الأمم دخولا الجنة (الباب السابع والعشرون) في ذكر السابقين من هذه الأمة الى الجنة وصفتهم (الباب الثامن والعشرون) في سبق الفقراء الاغنياء الى الجنة (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أصناف أهل الجنة التي ضمنت لهم دون غيرهم (الباب الثلاثون) في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (الباب الحادي والثلاثون) في أن النساء في الجنة والنار أكثر من الرجال (الباب الثاني والثلاثون) فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم (الباب الثالث والثلاثون) في ذكر حثيات الرب عز وجل الذين يدخلهم الجنة (الباب الرابع والثلاثون) في ذكر تربة الجنة وادبها وحصانها ونباتها (الباب الخامس والثلاثون) في ذكر نورها وبيادها (الباب السادس والثلاثون) في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها (الباب السابع والثلاثون) في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم اذا دخلوا الجنة وان لم يروها قبل ذلك (الباب الثامن والثلاثون) في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها (الباب التاسع والثلاثون) في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم (الباب الأربعون) في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناها (الباب الحادي والأربعون) في تحمة أهل الجنة أول ما يدخلونها (الباب الثاني والأربعون) في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يوجد (الباب الثالث والأربعون) في الاذان الذي يؤذن به للمؤمن فيها (الباب الرابع والأربعون) في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها (الباب الخامس والأربعون) في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها (الباب السادس والأربعون) في ذكر الزرع في الجنة (الباب السابع والأربعون) في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها الذي تجري

عليه (الباب الثامن والاربعون) في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه (الباب التاسع والاربعون) في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها (الباب الخمسون) في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمازقهم وزراييمهم (الباب الحادي والخمسون) في ذكر خيامهم وسررهم وأرائسكهم وبشخاناتهم (الباب الثاني والخمسون) في ذكر خدام أهل الجنة وغلمانهم (الباب الثالث والخمسون) في ذكر نساء أهل الجنة وسرايرهم وأصنافهن وأوصافهن وحالهن الظاهر والباطن وجمالهن (الباب الرابع والخمسون) في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن (الباب الخامس والخمسون) في ذكر نكاح أهل الجنة ووظئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذى والمنى (الباب السادس والخمسون) في اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين (الباب السابع والخمسون) في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين (الباب الثامن والخمسون) في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم (الباب التاسع والخمسون) في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا (الباب الستون) في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيها لأهلها (الباب الحادي والستون) في زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى (الباب الثاني والستون) في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة (الباب الثالث والستون) في ذكر ملائكة الجنة وإن أهلها كلهم ملوك فيها (الباب الرابع والستون) في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها (الباب الخامس والستون) في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جبهة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم سبحانه لا إله إلا هو (الباب السادس والستون) في تكليمه سبحانه لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم إياهم وسلامه عليهم (الباب السابع والستون) في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبديد (الباب الثامن والستون) في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها (الباب التاسع والستون) وهو باب جامع فيه فصول منثورة (الباب السبعون) في المستحق لهذه البشارة دون غيره والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، مدنيا لمؤلفه وقارؤه وكاتبه من جنات النعيم * وأن يجعله حجة

له ولا يجعله حجة عليه. وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول، وهو حسبه ونعم الوكيل

— الباب الاول في بيان وجود الجنة الآن —

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك والبيات مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم: فأُنْزِلَ عليهم دعوا الامم اليها، وأخبروا بها الى أن نبغت نابغة من التقديرية والمعتزلة فأُنْكَرَتْ أن تكون مخلوقة الآن، وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا خالق الجنة قبل الجزاء عبث فانها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، ولو اومن المعلوم ان ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الاطعمة والآلات والمصالح وعظمها من الناس ولم يمتنعهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن مفعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه:!! فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة: وآرائهم الباطلة!! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، واتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ولهذا يذكر السلف في عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (قال) أبو الحسن "الاشعري في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المذايبي، جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله تعالى الى واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى على عرشه، كما قال «الرحمن على العرش استوى» وأن له يدين بلا كيف كما قال «خلقت بيدي» وكما قال «بل يدها مبسوطتان» وأن له يمينين بلا كيف كما

قال: «تجرى بأعيننا» وأن له وجهاً كما قال «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن الله علماً كما قال «أنزله بعلمه» وكما قال «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة، وأثبتوا الله القوة كما قال: «أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة» وقالوا إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (وقالوا) إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين وألف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلفظ بالكافرين ولا أصلحهم ولا هدامهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هدامهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خير وشره حلوه ومره، ويؤمنون أنهم لا يعملون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال: (١) «ويأجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والنقر إلى الله في كل حال، ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ويقولون إن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله تعالى محجوبون، قال الله تعالى: «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» وأذن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وإن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا، فاعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة، ولا يكفرون أحد من أهل القبلة بذنب يرتكبه كمنحوا الزنا والسرقه وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خير وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والاسلام هو أن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء في الحديث والاسلام

عندهم غير الايمان، ويقولون بأن الله مقلب القلوب، ويقولون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لاهل الكباثر من أمته، وبعذاب القبر وأن الخوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدي الله تعالى حق ويقولون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخبوق ولا غير مخلوق ويقولون اسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكباثر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء؛ ويقولون أمرهم إلى الله أن شاء عذبهم وأن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينصرون الجدال والمرء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى يفتى ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك وإن كان مریدا له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضايلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم ويقولون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر؟» كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ «يأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى «فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول» ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ويقولون إن الله تعالى يحىء يوم القيامة كما قال «وجاء ربك والملك صفاً صفاً» وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل امام بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاثل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاة لأئمة المسلمين بالصلااح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه

الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام: وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى (١) وأن السحر كائن موجود في الدنيا ويرون الصلاة على كل من مات من أهل اقبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقررون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات باجله، وكذلك كل من قتل قتل باجله، وأن الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشدكه ويحبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الانتقال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد وإن الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله والاختصاص بأمر الله تعالى والانتهاز عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والتأخر والكبر والارذراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والخبيمة والسعاية، وقد المأكل والمشرب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونها وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل واليه المصير، والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق * وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى» وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الاسراء وفي آخره «ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنان باللؤلؤ» (٢) وإذا تراها المسك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم

(١) «وما كفر سليمان» أي لم يعمل السحر لأنه كفر (٢) نسخة جباؤد . ع

إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة». وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار... فذكر الحديث بطوله، وفيه: فينادى مناد من السماء إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها» وذكر الحديث. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالهم قال فيأتيه ملك كان في مقعده، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم فيراها جميعاً». وفي صحيح أبي عوانة الاسفراييني وسنان أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح «ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال اسكن». وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال: «شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. فإن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فماذا آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن» وذكر الحديث وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت الحديث إلى أن قالت ثم قام فخطب الناس فأنشأ على الله بما هو أهله ثم قال إن الشمس واقعة آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموها فذرعوا إلى الصلاة» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيته آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني

أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت . وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: «أنخسف الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقلوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكلمت: (١) فقال اني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لا كلمت منها ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرمظراً كالיום قط أفطم، ورأيت أكثر أهلها النساء: قلوا بسم يا رسول الله؟ قل بكفرهن قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الاخوان، لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط» وفي صحيح البخاري **عنه** بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف قال «قد دنت مني الجنة حتى لو اجتأرت عليها لجمتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قالت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ما شأن هذه؟ قلوا حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل» وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: «عرض على كل شيء توجلونه فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطعاً فقصرت يدي عنه، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب في هرة لها» وذكر الحديث. وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث: «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه فإذا فطن له قال إنما تعاق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش (٢) الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا اليه ثم بدا لي أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه» . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة «والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أنقيها خشية أن تغشاكم» وذكر الحديث. وفي صحيح

(١) تكلمت أي أجمعت وتأخرت إلى وراء (٢) خشاش الأرض : هو أمها وحشرات الواحدة خشاشة .

مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال يأيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بل كوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم قاني أراكم من امامي ومن خلفي وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا وما رأيتم يا رسول الله؟ قال رأيتم الجنة والنار» وفي الموطأ والسنن من حديث كعب ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة» وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعاق في ثمر الجنة أو شجر الجنة» رواه أهل الحديث وصححه الترمذي . وسيأتى في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث ان شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك . وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ، فامر بالجنة فحفت بالمسكاره ، فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضها ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فامر بها فحفت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حجبت الجنة بالمسكاره وحجبت النار بالشهوات» . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة يارب ما لها انما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار يارب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل

واحدة منك ماؤها» وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف» وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال «ما من يوم الا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يارب قد طاب ثمرى واطردت أنهارى واشتقت إلى أوليائى فمجل إلى بأهلى، وتقول النار اشتد حرى وبعد قعرى وعظم جمرى فمجل على بأهلى» وفي صحيح البخارى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافته قباب الدر المحجوف قال قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فاذا طينه المسك الاذفر» وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصر اودار افقلت لمن هذا؟ فقيل لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب فلو لا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال فبكى عمر وقال أويغار عليك يا رسول الله» وسيأتى حديث بلال وقول النبي صلى الله عليه وسلم «ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشة» (١) بين يدي وغير ذلك من الأحاديث التى تأتى ان شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبیش عن أنس بن مالك قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم صلاة الصبح ثم مديده ثم أخرها فلما سلم قيل له يا رسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئا لم تصنعه فى غيرها، قل انى رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالوباء» (٢) فأردت أن أتناول منها فوحي إليها أن استأخرى فاستأخرت ثم رأيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلمكم فومأت اليكم أن استأخروا فوحي إلى أقرهم فانك اسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا فلم أر لى عليكم فضلا الا بالنبوة» فان قيل فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة واخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها فى غاية الظهور؟ «قيل» الاستدلال بذلك وان كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة اتى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة فى الارض فى شرفها ونحن

(١) الخشخشة حركة لها صوت كه صوت السلاح (٢) الوباء القرع واحدة وباءة

نذكر من قال بهذا من قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته

﴿الباب الثاني﴾

(في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض)
 قال منذر ابن سعيد في تفسيره دوأما قوله تعالى لا آدم « اسكن أنت وزوجك الجنة » فقالت طائفة أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة وقال آخرون هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد، قال وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره واختلف الناس في الجنة التي أسكنها على قولين (أحدهما) أنها جنة الخلد (الثاني) أنها جنة أعدها الله تعالى له وجعلها دار ابتلاء وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن (الثاني) أنها في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه
 وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور واختافوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء؟ وبمقدار أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البخعي وأبو مسلم الأصبهاني هذه الجنة في الأرض وحلا الأهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله « اهبطوا مصرآ » واحتجوا عليه بوجوه، (القول الثاني) أنه هو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة (والقول الثالث) وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب. وقال أبو القاسم الراغب في تفسيره واختلف في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان إستانا جعله الله تعالى له امتحانا ولم تكن جنة المأوى وذكر بعض الاستدلال على القولين ومن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمر (١) وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أنى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال (والقول الرابع) أن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قال منذر بن سعيد والقول

بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال وقد رأيت
أقواماً نهضوا لئلا يمتدوا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة
إلا الدعاوى والاماني ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا
تابع ولا تابع التابع ولا موصول ولا شاذاً مشهوراً . وقد أوجدناهم ان فقيه العراق
ومن قال بقوله قلوا ان جنة آدم ليست جنة الخلد وهذه الدواوين مشحونة من
علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين وإنما قلت هذا
ليعلم أني لا أنصر مذهب أبي حنيفة وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن
والسنة هذا ابن زيد المالكى يقول في تفسيره سألت ابن نافع عن الجنة أم مخلوقة
هي؟ فقال السكوت عن الكلام في هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول في قوله
عز وجل «إن لك أن لا تجمع فيها ولا تعرى» قال يعنى في الأرض وابن نافع امام
وابن عيينة امام وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولها وهذا ابن قتيبة
ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خاق الله لآدم وزوجه قال ثم تركهما وقال
انمروا واكثروا وامأوا الأرض وتسلطوا على أنوان البحور وطيور السماء والانعام
وعشب الأرض وشجرها وثمرها فأخبر أن في الأرض خلقه وفيها أمره ثم قال
ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات
ثم ذكر الحية فقال وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة انك لا تموتان إن
أكلتما من هذه الشجرة، ثم قال بعد كلام ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض
التي منها أخذ ثم قال وهب وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي
أرض الهند قال واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن في شرقي
عدن فكان فيه وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله أهبطوا
هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا قال منذر بن سعيد فهذا وهب بن
منبه يحكى ان آدم عليه السلام خاق في الأرض وفيها سكن وفيها نصب له
الفردوس وانه كان بعدن وان أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى
فردوس آدم وتلك الأنهار بقيت في الأرض لا اختلاف بين المسلمين في ذلك فاعتبروا
يا أولى الألباب وأخبر أن الحية التي كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ولم يقل من أعظم
دواب السماء فهم يقولون إن الجنة لم تكن في الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة ثم قال
وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب لانه

لا شمس فيها ثم قال وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن في شرقى أرض الهند وهذه الاخبار التي حكى ابن قتيبة إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهي من أرض اليمن وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعد أن ثم أكد ذلك بن قل الأربعة الأنهار التي ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم قال منذر وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبي هريرة قال واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التي كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو في الأرض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا يطلبون لا بهم ثم جنة الخلد في الأرض قال ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد خلد فيها ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عاينه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسئلة ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ونبين ما لهم وما عليهم

(الباب الثالث)

(في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة) قالوا قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه ولا يكرهه لا يعلم في ذلك نزاعاً، قالوا وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عاينه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم؟» وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطالب منها أن يستفتحها. وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى أخرجتنا وفسك من الجنة ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من إسمائين فلم يخرجوا من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا . قالوا وقد قل تعالى في سورة البقرة «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما

كانا فيه وقانا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الارض من وجهين (أحدهما) من انظة اهبطوا فانه نزول من علو إلى سفلى و(الثاني) قوله ولكم في الارض مستقر عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الارض ثم أكد هذا بقوله في سورة الاعراف «قال فيها تحيون وفيها تموتون، ومنها تخرجون» ولو كانت الجنة في الارض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده قالوا وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون الا في جنة الخلد فقال: «إنك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنتك لا تظمأ فيها ولا تضجى» وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً فإن الرجل ولو كان في أطيب منازله لا بد أن يعرض له شيء من ذلك وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعرى والضجى فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضجى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضجى وهذا شأن ساكن جنة الخلد . قالوا وأيضاً فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وإن ملكها يبلى؛ قالوا وأيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فانه سبحانه قال: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقانا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأرهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين» فتلقي آدم من ربه كلمات فتب عليه إنه هو التواب الرحيم» فهذا اهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة فلماذا أتى فيه بضمير الجمع وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ولا في السياق ما يدل عليها . وقيل الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله «وكننا لحكمهم شاهدين» وهما داود وسليمان وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الأقوال ضعيفة غير الاول لأنها بين قول لا دليل عليه وبين ما يدل اللفظ على خلافه فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من

المهبطين فاذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانه الالهباط ثانيا بقوله «قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والظاهر أن هذا الالهباط الثاني غير الاول وهو اهباط من السماء إلى الارض والاول اهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التي اهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد وقد ظن الزمخشري أن قوله اهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذريتهما قال والدليل عليه قوله تعالى: «قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو» قال ويدل على ذلك قوله «فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وم هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى قوله بعضهم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذى اختاره أضعف الاقوال فى الآيات فالعداوة التى ذكرها الله تعالى انما هى بين آدم وابليس وذريتهما كما قال الله تعالى: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً» وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والانسان وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة الى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته فانه انما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن اليها وجعل بينهما مودة ورحمة فلمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الانسان والشيطان وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وابليس وهم ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرتهم لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمبنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئاً . وأما قوله تعالى فى سورة طه: «قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو» وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدواً والضمير فى قوله اهبطا منها أما أن يرجع إلى آدم وزوجه أو إلى آدم وابليس ولم يذكر الزوجة لأنها تتبع له وعلى هذا لمداوة المذكورة للمخاطبين بالاهباط وهما آدم وابليس فالامر ظاهر، وأما على الاول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين (أحدهما) أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط والثانى اخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين ابليس ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الاول ولا بد أن يكون ابليس داخلاً فى حكم هذه المداوة قطعاً كما قال تعالى: «ان هذا عدو لك ولزوجك» وقال للذرية: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً» وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير

الجمع دون التثنية؟ وأما الالهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الافراد كقوله في سورة الاعراف قال اهبط منها وكذلك في سورة ص وهذا لا بليس وحده وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وابليس اذ مدار القصة عليهم وحيث ورد بلفظ لتثنية فأما أن يكون لآدم وزوجه اذها للذان باسرا الاكل من الشجرة وأقدا على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وابليس اذها أبوا الثقلين وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما وقد حكيت القوانين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله اهبطا منها جميعا لآدم وابليس أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفردها آدم دون زوجته فقال «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى» قال اهبطا منها جميعاً وهذا يدل على أن المخاطب بالالهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخات الزوجة تبعاً فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبييهما من شؤم المعصية ومخالفة الامر فذكر أبييهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الانس فقط وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الاكلة فلم أن يحكم الزوجة كذلك وأنها صارت الى ما صار اليه آدم وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده الى ذكر أبى الانس وأمههم فتأمل . وبالحجة فقوله « اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ظاهر في الجمع فلا يسوغ جملة على الاثنين في قوله «اهبطا» من غير موجب . قلوا وأيضا لجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله «اسكن أنت وزوجك الجنة» ونظائره ولاجنة يعيها المخاطبون ويعرفونها الاجنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها حيث ورد لفظها معرفة انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين وأما أن أريد بهجنة غيرها فأنها تجيء منكورة أو مقيدة بالاضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنهاجنة في الارض فالاول كقوله «جنتين من أعناب» والثاني كقوله «ولولا اذ دخلت جنتك» والثالث كقوله «انا بنونا هم كما بلونا أصحاب الجنة» قلوا او بما يدل على أنجنة آدم هيجنة المأوى ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الاشعري قل : «ان الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء

فما رآكم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير» قالوا وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له أن تاب إليه وأُتِيبَ أن يعيده اليها كما روى المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» قال (يا رب ألم تخلفني بيدك؟) بل بلى، قال أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى، قال أي رب ألم تسكني جنتك؟ بل بلى، قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال بلى، قال أرايت أن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال بلى، قال فهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه (وله طرق من ابن عباس وفي بعضها «كان آدم قال لربه اذ عصاه رب ان أنا تبت وأصلحت فقال له ربه اني راجعك الى الجنة» فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ونحن نسوق حجج الآخرين

(الباب الرابع)

في سياق حجج الطائفة التي ذلت ليست جنة الخلد وانما هي جنة في الارض قالوا هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها قالوا قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد انما يكون الدخول اليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفتها ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها قالوا فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمؤمنين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى. ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للابوين فيها من الخوف والحزن ما حصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الا بوان من النعمة. ودار القرار ولم يستقرافيها وقال في داخلها «وما هم منها بمخرجين» وقد أخرج منها الا بوان. وقال «لا يسمهم فيها نصب» وقد ند فيها آدم هارباً قاراً وطلق يخفض ورق الجنة على نفسه وهذا النص بعينه، وأخبر أنه لا لغوف فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغوا بليلس وأثمه وأخبر أنه لا يسمم فيها لغوا ولا كذاب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذاب

إبليس وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه وقد قال تعالى للملائكة «إني جاعل في الأرض خليفة» ولم يقل إني جاعل في جنة المأوى «فقال الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» ومحل أن يكون هذا في جنة المأوى وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لا آدم «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فان كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقول له كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد قولا ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس (١) النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين وأيضا فبعد أن قيل له اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها أفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والابعاد له والزجر والطرد بعثوه واستكباره به وهل هذا يلائم قوله «ما يكون لك أن تتكبر فيها» فان كانت مخاطبته لا آدم بما خاطبه به وقامته عليه ليست تكبرا فالتكبر بعدهذا فان فتنم فلعل وسوسته وصلت إلى الابوين وهو في الارض وهما فوق السماء في عليين فهذا غير معقول لغة ولا حسا ولا عرفا وان زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل اليهما الوسوسة فأبطل وأبطل: إذ كيف يرتقى بعد الاهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن امنية وإذا قلتم إنه دخل في قلوبهما ووسوس اليهما فالخذور قائم وأيضا فان الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاما معاه شفاهما «فقال ما نكاريكما عن هذه الشجرة» وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له «ألم أنهما عن تلك الشجرة» ولم يقل عن هذه الشجرة فعند ما قل لهما ما نكاريكما عن هذه الشجرة لما أطمعهما في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الاشارة بلفظ الحضور تقريبا لها واحضارا لها عندهما وربهما تعالى قال لهما ألم أنهما عن

تلكما الشجرة؟ ولما أراد اخراجها منها فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة
كانهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها وأيضاً فإنه
سبحانه قال: «إليه يصعد الكلام الطيب» ووسوسة اللعين من أخبث الكلام فلا
تصعد إلى محل القدس . قال منذر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن
آدم عليه السلام نام في جنته » وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين
فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل « أينام أهل الجنة في الجنة؟ قل لا النوم أخو
الموت والنوم وفاة » وقد نطق به القرآن والوفاة تقاب حال ودار السلام
مسلمة من تقلب الاحوال والنائم ميت أو كالميت (قات) الحديث الذي
أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد قال
« خلقت حواء من قصيرى آدم وهونائم » وقال اسباط عن السدي « أسكن آدم عليه
السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ
فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت ؟ قالت امرأة قال
ولم خلقت ؟ قالت لتسكن الى » وقال ابن اسحاق عن ابن عباس « ألقى الله على آدم
عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما
وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خاق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها
امرأة يسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال لحى
ودمى وروحى (١) فسكن اليها » قلوا ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خاق آدم في الارض
ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بهد
ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لانه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه
فانه كان معراجاً بيده وروحه من الارض إلى فوق السموات قلوا وكيف
ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاده في الارض خليفة
وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها قل تعالى « وما هم منها
بمخرجين » قلوا ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط ابليس من
السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع
خلافه ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا فان الامر بالسجود كان عقب
خلقه من غير فصل فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لا بليس سبيل إلى صعوده

(١) نسخة وزوجى . ع

اليها وقد أهبط منها وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفت ظاهرة كقول من قال يجوز أن يصعد اليها صعوداً طارداً لاستقرا وقول من قل أدخلته الحية وقول من قل دخل في أجوافها وقول من قل يجوز أن تصل وسوسته اليهما وهو في الارض وهما فوق السماء ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد وهذا بخلاف قولنا فانه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيدته وغروره في اخراجه منها والله أعلم . قلوا ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي اليه وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خاق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بأذنه فقال ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام انخ ثم رجع إلى ربه فقال ان هذه تحميتك وتحية بنيك بينهم فقال الله ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يا رب ما هؤلاء؟ قال ذريتك فإذا كل انسان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فهم رجل ضروهم قال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك داود قد كتب له عمرا أربعين سنة قال يا رب زدني عمره قال ذلك الذي كتبت له قل أي رب فاني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال أنت وذلك قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه قل فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد جعلت قد كتبت لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته . ونسى فنسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود» قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة قالوا فهذا صريح في أن آدم عليه السلام لم يخاق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها وإنما خاق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولساكنها أجلا معلوما وفيها تسكن . «فان قيل» فذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمرا مقدرا وأجلا ينتهي اليه وأنه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله «هل أدلك على شجرة الخلد» وقوله «أو تكونا من الخالدين» فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المنك

الطويل كما سيأتي (الثاني) ان إبليس لم يحلف له وغره وطعمه في الخلود نسي ما قدر له من عمره . قلوا وأيضاً فمن المعلوم الذي لا ينزع فيه مسلم أن الله سبحانه خالق آدم عليه السلام من تراب هذه الأرض وأخبر أنه خلقه من سلاله من دُين وأنه خلقه من صاقل من حمأ مسنون فقل هو الذي له صلصلة ليمسه وقيل هو الذي تغيرت رائحته من قولهم صل اللحم إذا تغير . والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصبوب وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الاول كما أخبر عن أطوار خالق الذرية من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به . قلوا ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد اتن من تغيره وانما محل هذا الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات وأما ما فوق الافلاك فلا ياحقه تغير ولا اتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء . قلوا وقد قل الله تعالى : «وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ قلوا فاذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض وجعله خليفة في الأرض وان إبليس وسوس اليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام وأن الله حرمها على الكافرين . وإبليس رأس الكفر فاذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل فشم رائحة ورأى بنفسه عن حضيض التقايد تبين له الصواب والله الموفق قلوا ولو لم يكن في المسألة الا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الابوين نهيهم عن الاكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد . فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم

(الباب الخامس)

(في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الاول)

قلوا أما قولكم ان قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف الا بأخبار الرسل ونحن وأنتم انما نأقينا هذا من القرآن لا من

المعقول ولا من الفطرة فلتتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تأم أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التي أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل على خلافه ولكن لما وردت الجنة مطابقة في هذه القصة ووافقت اسم الجنة التي أعدها الله لعباده في أوصافها وبعض أوصافها فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها فان أردتم بالفطرة هذا القدر لم يقدم شيئا وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحبات وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وقول آدم وهل أخرجكم منها الاخطيئة أبيكم فانما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التي قد تقدمت منه في دار الدنيا وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما في اللفظ الآخر أني نهيت عن أكل الشجرة فاكلت منها فاين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام وكذلك قول موسى له أخرجتنا ونفسك من الجنة فانه لم يقل له أخرجتنا من جنة الخلد، وقولكم انهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التي في الأرض فاسم الجنة وان أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم لا يعلمه إلا الله وهي كالسجن بالنسبة اليها واشتراكها في كونها في الأرض لا ينفي تفاوتها أعظم تفاوت في جميع الأشياء، وأما استدلالكم بقوله تعالى وقلنا اهبطوا عقيب اخرجهم من الجنة فلنظا لهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غاية أنه يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فانها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض وقد بينا ان الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد اهبطه الاول لما أبي السجود لآدم عليه السلام فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تنفي عنكم وجود التعسفات والتكاثفات التي قدرتموها وقد تقدمت وأما قوله تعالى: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فان الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور، والجنة التي اسكنها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا اذى والأرض التي اهبطوا اليها هي محل التعب

والنصب والاذى وانواع المنكارة، وأما قولهم إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي اهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي اهبطوا منها؟ وأما قولكم إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب الباطل في قوله هل أدلك على شجرة الخلد؟ فجوابه من وجهين (أحدهما) أن اللغز إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له فإنه في اللغة المكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم رجل مخلص إذا أسن وكبر، ومنه قولهم لأنثى في الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأدلال قال

الارمادا هـامدا دفعت عنه الريح خوالد سحج
ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقدم عهدوه وإن كان له أول كما قال تعالى «كل مرجون القديم» «وإنك لفي ضلالك القديم» «وإفك قديم» وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس وأطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على قاتل نفسه (الوجه الثاني) أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه صحفاً كما في حديث أبي ذر لكن هذا بعد اهبطه إلى الأرض بنص القرآن قال تعالى: «اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى» وكذلك في سورة البقرة: «قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى» الآية. وأما قولكم إن الجنة وردت معرفة باللام التي لا يهد فتتصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى «إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين» وقولكم إن السياق هاهنا يدل على أنها جنة في الأرض «قلنا» والآلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح. وأما استدلالكم بأثر أبي موسى «أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن الاتزود منها وهذا لا يقتضي أن تكون جنة الخلد. وقولكم إن هذه تتغير وتلك لا تتغير فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم» أي لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله سبحانه وتعالى

في هذا العالم طعام العزيز وشرابه مئة سنة لم يتغير . وأما قولكم ان الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام ان تاب أن يعيده إلى الجنة فلا ريب أن الامر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عودته إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى الجنة الخلد فقد وفي سبحانه بضمانه حق الوفاء وانظروا العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قل شعيب لقومه «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا» وقد جعل الله سبحانه المظاهر طائداً بارادته الوطاء ثانياً أو بنسب الوطاء أو بالامساك وكل منها غير الاول لا عينه فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها

﴿ الباب السادس ﴾

(في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم)

(قلوا) اما قولكم ان الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول اليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الاسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة ، قد دخول الخلود إنما يكون يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد ؟ قلوا أما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الاسلام ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوي الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الامر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الامرين (وأما) قولكم انها دار جزاء وثواب لادار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهي عن الاكل من تلك الشجرة فدل على ان تلك الجنة دار تكليف لادار خلود جوازه من وجهين (أحدهما) أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف (وأما) وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل على

امتناعه البتة . كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فראيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقالت لمن أنت » الحديث وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم اقيامة بل هذا هو الواقع فان من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يسم (الوجه الثاني) ان التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها وإنما كان حجراً عليها في شجرة واحدة من جملة أشجارها إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا التقدير لا يمتنع وقوعه في دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فان أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الاوقات فلا دليل عليه ، وان أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فيوحق ولأن لا يدل على مطلوبكم . وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا ان ثبت النقص بنوم آدم فتم ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا . وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهبطه واخراجه من السماء فلمصر الله انه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعميمات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد اهبط الله له منها لا يرتضيها منصف . ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه وان لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون اليه مع قوله تعالى « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل والله أعلم . وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام بمقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه ، لجوابه أن إعلامه بذلك لا ينافي ادخاله الجنة الخلد واسكانه فيها مدة . وأما اخباره سبحانه ان دخالها لا يموت وأنه لا يخرج منها فهذا يوم القيامة . وأما احتجاجكم بكونه خلق من الارض فلا ريب في ذلك ولكن من أين لكم انه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار « أن الله

سبحانه ألفاه على باب الجنة أربعين صباحاً فجعل إبليس يطوف به ويقول لا امر ما خلقت فلما رآه أجوف علم أنه خاق لا يتمالك فقال لئن سلطت عليه لا هلكته ولئن ساط على لا عصيته» مع أن قوله سبحانه «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلو اسبحناك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قل يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض» يدل على انه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الاسماء والافهم لم ينزلوا كلهم إلى الارض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الارض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لامر دبره وقدره ثم يعيده إلى الارض فقد أصدق المسيح ﷺ إلى السماء ثم ينزله إلى الارض قبل يوم القيامة وقد أسرى بيدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنارعيهم والله أعلم

﴿الباب السابع﴾

(في ذكر شبه من زعم ان الجنة لم تحاق بعد)

قلوا لو كانت الجنة مخلوقة الا لوجب اضطرار ان تنفى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: «كل شيء هالك الا وجهه» و«كل نفس ذائقة الموت» فتموت الحور العين التي فيها والولدان وقد أخبر الله سبحانه ان الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يحوز عليه خالف ولا نسخ قالوا وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت ابراهيم ليلة أسرى بي فقال يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» قال هذا حديث حسن غريب وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» قال هذا حديث حسن صحيح قالوا فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لهذا الغرس معنى قالوا وقد قال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت رب ابني لي عندك بيتاً في الجنة ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً أن نسج لي ثوباً وابن لي بيتاً وأصرح من هذا قول النبي ﷺ: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» متفق عليه وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط باع جماً

أهل العربية وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب ولوا وقد جادت آثار بان الملائكة تغرس فيها وتبني للعبد مدام يعمل فإذا فتر فتر الملك عن العمل . ذلوا وقد روى ابن حبان في صحيحه والامم أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قبض الله ولد العبد قل يملك الموت قبضت ولد عبدي، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده» قال نعم قال في قل؟ قل حمدك واسترجع قل ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد» وفي المسند من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حلى في يوم وليلة ثلثي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتا في الجنة» قلوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهذا ابن مزين قد ذكر في تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة مخلوقة هي؟ فقال السكوت عن هذا أفضل والله أعلم

— الباب الثامن —

(في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة)

قد تقدم في الباب الاول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن فيه كفاية فنقول ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد بل هي بمنزلة المنخ في الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يردده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها وهذا قول لم يقله أحد من الساف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكاملها، وجميع ما أعد الله فيها لاهلها وانها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورا أخر فهذا حق لا يمكن رده ، وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا التقدير وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشئ الله سبحانه لقائه منه غراسا في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة وكلما عمل خيرا غرس له به هناك غراس وبنى له بناء. وأنشئ له من عمله أنواع مما يتحتم به فهذا التقدير لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك، وأما احتجاجكم بقوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » فإنما أتيت من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج اخوانكم بها على فنائها

وخرابهم وموت أهلهم فلا تتم وفقتهم لهم معناه ولا أخوانكم وانما وفق لهم معناه السلف وثمة الاسلام ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية قل البخرى في صحبه يقال كل شيء هالك الا وجهه الاما كنهه ويقل الاما يريد به وجهه (١) وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله فاما السماء والارض فقد زالتا لان أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار واما العرش فلا يبد ولا يذهب لانه سقف الجنة والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبد. واما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فذلك ان الله سبحانه وتعالى أنزل «كل من عليها فان» فقالت الملائكة هلك أهل الارض وطمعوا في البقاء فاخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون فقال كل شيء هالك يعني ميت الا وجهه لانه حتى لا يموت فابتدعت الملائكة عند ذلك بالوت انتهى كلامه وقل في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر ابن يعقوب الاصطخرى ذكره أبو الحسين في كتاب الطبقة قال قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين بمرورها المعروفين بها القمدي منهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو ذاب قائمها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وساق أقرأهم إلى أن قال وقد خاقت الجنة ومفيتها وخاقت النار ومفيتها خلقهم الله عز وجل وخلق الخاق لهما ولا يفنيان ولا يفنى مفيهما أبدا فان امتنع مبتدع أو زندق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك الا وجهه) ويندعو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك ه لك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدا لان الله عز وجل خلقهم للبقاء لا للفناء ولهم كتب عليهم الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن واء السبيل . وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع ارضين بعضها أسفل من بعض وبين الارض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء وان الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والارضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل

شعر ذو شجرة وكل زرع وكل نبات ومسطح كل ورقة وعدد كل نكدة وعدد الحصى والتراب والرمل وشماتيل الجبال وأعمال النجد وآثارهم وكلامهم وأناسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وم هو أعلم بها فان احتج مبتدع بحجب الف بقول الله عز وجل «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» وقوله «وهو معكم أينما كنتم» وقوله «الاهو معهم أينما كانوا» وقوله «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم» ونحو ذلك من متشابه القرآن فقل انما يعني بذلك العلم لان الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بمن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، وقل في رواية أبي جعفر الطائفي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي قال الخلال حافظه ثم في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان احمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده قال املى على احمد ابن حنبل فذكر رسالة في السنة ثم قال في ثنائها وان الجنة والنار مخلوقتان قد خلقنا كما جاء الخبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دحات الجنة فرأيت فيها قصيرا ورأيت الكواثر» وادخلت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فن زعم انهما لم يخلتا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن كافر بالجنة والنار يستتاب فان تاب والا قتل . وقال في رواية عبدوس بن مالك البطار وذكر رسالة في السنة قال فيها الجنة والنار مخلوقتان قد خلقنا كما جاء عن رسول الله ﷺ «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فن زعم انهما لم يخالقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار فتأمل هذه الابواب وما تضمنته من المقول والمباحث والنكت والنوائد التي لا تظفر بها في غير هذا الكتاب البتة ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو بسطناه لقم منه سفر ضخيم والله المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب

❦ الباب التاسع ❦

(في ذكر عدد أبواب الجنة)

قال الله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين »

وقال في صفة النار : « حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها » بغير واو فقالت طائفة هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو. وهذا قول ضعيف لادليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين ، وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف فان زيادة الواو غير معروف في كلامهم ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة وقالت طائفة ثالثة الجواب محذوف وقوله وفتحت أبوابها عطف على قوله جاؤها وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم قال المبرد وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم قال أبو المتح بن جني : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجوزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به . بقي أن يقال فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكر في آية أهل النار ؟ فيقول هذا أبلغ في الموضعين فان الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى اذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فينفجأهم العذاب بغته فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة فان هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فانها دار الالهانة والحزى فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول ، وأما الجنة فانها دار الله ودار كرامته ومحل خواجه وأوليائه فاذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضاهم فيقول أنا لها فيأتني إلى تحت العرش ويخرساجدا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه ، وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبهم من الاطباق طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل انها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية بين الناس وبينها من العقبات والمنازل والاعطار مالا تنال إلا به فمن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ولهذه الدار فليبعد

عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له وهيباً له، وتأمل م في سوق القرينين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بأخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرة بهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء ألقوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤاس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرا يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض وذلك ألمع في الحزى والنفضيحة والهميكة من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله زمراً، وقال خزنة أهل الجنة لأهلها سلام عليكم فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكره أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قلوا لهم دُبتُم فدخلوها خالدين أي سلامتكم ودخلوها بطيبكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود وأما أهل النار فانهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليها توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا» فاعترفوا وقالوا بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وانها ببئس المثلوى لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها ادخلوها وقول خزنة النار لأهلها ادخلوا أبواب جهنم، تجد تحتها سرا طيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفضع شيء واشده حراً وأعظمه غماً يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ويدنو من الهم والحزى والكرب بدخول الأبواب نقيلاً ادخلوا أبوابها صغراً لهم واذلالاً وخزياً ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود في النار وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأولياته فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها وتأمل قوله سبحانه: «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» كيف تجد تحتها معنى بديعاً وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: «إنها عليهم مؤصدة» أي مطبقة مغلقة ومنه سمي الباب وصيداً وهي «مؤصدة في عمد ممددة» قد جعلت العمدة ممسكة للأبواب من خلفها كالخجر العظيم الذي يجعل خاف الباب

قل مقاتل يعنى ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتحها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد وأبدان في تفتح الابواب لهم اشارة الى تصرفهم وذهابهم وادبهم وتبوءهم في الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والالطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضا اشارة إلى انها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الابواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة إلى الموصوف في هذه الجملة فقل الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب تعقب بين الالف واللام والاضافة فيقولون مررت برجل حسن العين أى عينه ومنه قوله تعالى : «فإن الجحيم هي المأوى» أى مأواه وقال بعض البصريين التقدير مفتحة لهم الابواب منها حذف الضمير وما اتصل به قال وهذا التقدير في العربية أبود من أن يجعل الالف واللام بدلا من الهاء والالف لان معنى الالف واللام ليس معنى الهاء والالف في شيء لان الهاء والالف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه. قالوا وأيضا لو كانت الالف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون في «مفتحة» ضمير الجملات ويكون المعنى مفتحة هي ثم ابدل منها الابواب ولو كن كذلك لوجب نصب الابواب لتكون مفتحة قد رفع ضمير الناعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد فلما ارتفع الابواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والابواب مرافقة به وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه وفوت حسنا لم يحز فالالف واللام إذا للتعريف ليس الا فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنت عدن ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الابواب منها وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين فانهم لم يريدوا بالبدل الا ان الالف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه. واجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك وقد قالوا ان التنوين بدل من الالف واللام بمعنى انهما لا يجتمعان وكذلك المضاف اليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الاضافة بمعنى التعقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يأتون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر فالكوفيون أرادوا ان الالف واللام في الابواب اغنت عن الضمير لوقيل أبوابها وهذا صحيح

فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجمعها له لا مستقلة فيما كان الضمير عائداً على الموصوف في توضح الاستقلال وكذلك لأن التعريف فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا يعين مفسره وهذا يعين ما دخل عليه وقد قلوا في زيد نعم الرجل إن الألف واللام اثبتت عن الضمير والله أعلم. وقد اعراب الزمخشري هذه الآية اعراباً اعترض عليه فيه فقال جنات عدن معرفة كقول «جنات عدن التي عند الرحمن عباده بالغيب» وانتم اجمعها على انها عطف بيان لحسن مأب ومفتحة حال والعامل فيها في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات. والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال؛ هذا اعرابه فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ميقن تعريفها وأما قوله «التي عند الرحمن عباده» فبدل لاصفة وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بين الحسن مأب عن قوله لأن جريان المعرفة على التكرار عطف بيان لا قول به فن اقتل قتلاً واحداً أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين والثاني أنه يكون في المعارف والتكررات بشرط المطابقة كقول الكوفيين وأبي على الفارسي وقوله ان في مفتحة ضمير الجنات فالظاهر خلافه وان الابواب مرتفع به ولا ضمير فيه وقوله ان الابواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وان نازعهم فيه آخرون ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به وان يكون مقدرأ وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أي الابواب منها فاذا كان التقدير مفتحة لهم هي الابواب منها كان فيه تأثير للاضمار وتقليله أولى. وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون». وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتق زوجين في شيء من الاشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الرياء فقال أبو بكر يا بني أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعى من تلك الابواب من ضرورة فهل

يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم» وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» زادناترمذي بعد التشهد (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) زاد أبو داود والامام احمد ثم رفع نظره الى السماء فقال . وعند الامام أحمد من رواية أنس يرفعه «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» . وعن عتبة بن عبد الله السامي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبد الله بن احمد عن ابن نمير ثنا (١) اسحق بن سليمان ثنا جرير ابن عثمان عن شرحيل ابن شفعة عن عتبة

﴿الباب العاشر﴾

(في ذكر سعة أبوابها)

عن أبي هريرة قال: «وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة اليه فنهش نهشة وقال أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال أنا سيد الناس يوم القيامة فإما رأى أصحابه لا يسألونه قال ألا تقولون كيف؟ قالوا كيف يا رسول الله؟ قال يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر فقد كر حديث الشناعة بطوله وقال في آخره فأناطق فأتى تحت العرش فقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاما لم يقمه أحداً قبلي ولن يقيمه أحداً بعدي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة» وفي لفظ «لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» متفق على صحته . وفي لفظ خارج الصحيح باسناده «از ما بين بغداد الى الباب لكما بين مكة وهجر» وعن خالد بن عمير العاوي قال: «خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء (١)، ولم يبق منها الاصابة كصباية الاناء يصطبها صاحبها، وانكم منقلبون منها إلى دار لازوال لها فانقلبوا بخير ما يحضر تكم، ولقد ذكر لنا ان مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، فهذا موقف والذي قبله مرفوع فان كن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الاعظم، وان كن الذاكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم ولكن قد روى الامام احمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قل سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليه يوم وله كظيظ» وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا اسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه رفعه: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين» وروينا في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السرح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة» وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم. وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن احمد بن قرس أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجذ ثلاثاً، ثم انهم ليضطغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول» رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «ان ما بين المصراعين كما بين مكذوبصري» فان الراكب المجذ غاية الاجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا اقدر أو قريب منه. وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواه خماذين سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبي الهيثم. قال الامام احمد: أحاديث دراج منا كبير وقال أبو حاتم الرازي

(١) الصرم بضم الصاد القطيعة، وحذاء بتشديد الدال مسرعه. ع
(م — ٤ — حادي الارواح)

ضعيف وقال النسائي ليس بالقوى فلصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب
والشدوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته . على أن حديث حكيم
ابن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل انه مدرج في الحديث موقوف
فيكون كحديث عتبة بن غزوان

﴿الباب الحادى عشر﴾

(فى صفة أبوابها وانها ذات حلق)

روى الوليد بن مسلم عن خميد بن الحسن (مفتحة لهم الابواب) قال
ابواب ترى وذكر ايضاً عن خميد عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من
باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحي
انغلقى . وقال أبو الشيخ انبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيصى انبأنا
محمد بن اسحق انبأنا احمد بن أبي الحواري انبأنا عبد الله بن غياث عن
الفرزاري قال : « لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره
من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه ازواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه
وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر اليهم لتعظيم النعمة عليه ، وباب فيما بينه
وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء » وقد روى سهيل بن أبى صالح عن
زياد النميرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول
من يأخذ بحاقة باب الجنة ولا فخر » وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية
ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها) وهذا صريح فى أنها حاقة حسية تحرك وتقعقع .
وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آخذ بحلقة
باب الجنة فيؤذنلى » ويذكر عن على رضى الله عنه : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق
المبين فى كل يوم مائة مرة كن له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب
به الغنى واستقرع به باب الجنة »

(فصل لى)

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب
الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه
وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين

مصراتى الباب فان أبوابها بعضها أعلى من بعض. ولهذا الامة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الامم كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ثم انهم ليضطغطون حتى تكاد منا كبهم تزول» وفيه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أتانى جبريل فأخذ بيدي فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى». الحديث وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى. وقيل خالف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبى اسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبى طالب قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداها فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً ثم قرأ طبتهم فادخلوها خالد بن فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويلتصق بهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالخير يقدم من الغيبة فيمنظلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بما ينتمون فتقول أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكى على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على التواب ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته لئلا أنه خاف له لا التمع (١) بصره فيقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» والله أعلم

﴿الباب الثانى عشر﴾

(فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب)

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى قالا أنبأنا إبراهيم ابن المنذر الحرامى ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى حدثنا دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتقى . قال دهم وحدثني أيضاً أبو الاسود عن عاصم ابن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قلت يا رسول الله! ما الجنة والنار؟ قال لعمر الهلك ان للنار سبعة أبواب مامنهن بابان الايسر الراكب بينهما سبعين طاماً وان للجنة ثمانية أبواب مامنهن بابان الايسر

(١) أى اختلس يقال ألمعت بالشئ إذا اختلسته واختطفته بسرعة . ع

الراكب ينتهي سبعين عاماً» وذكر الحديث بطوله وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ولا يمكن حمله على باب معين لقوله «منهن بابان والله أعلم

باب الثالث عشر

(في مكان الجنة وأين هو؟)

قل الله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وتحت بذلك لأنها يفتحها إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يبعد اليه فيقبض منها وقل تعالى « وفي السماء رزقكم وما توعدون » قال ابن أبي نجيع عن مجاهد هو الجنة وكذلك تألقه الناس عنه وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قل هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماء ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيع عنه وقوله أبو صالح عن ابن عباس الخير والشر كلاهما يأتي من السماء وعلى هذا فمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله . وقال الحارث بن أبي أسامة حدثنا عبد العزيز بن أبي حزن حدثنا مهيدي بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شفاف قل سمعت عبد الله بن سلام يقول : « أن أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وإن الجنة في السماء » رواه أبو نعيم عنه قل ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ثم ساقه من طريق ابن منيع قل لنا عمر والناس قد لنا عمرو بن عثمان لنا موسى بن أعين عن معمر بن مرفوعاً . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل لنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قل : « الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة » وقل ابن منده لنا أحمد بن إسحاق قل لنا أبو أحمد الزبيري لنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء . والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد : « قلت لابن عباس أين الجنة قال فوق سبع سموات ؟ قلت فإن النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة » رواه ابن منده عن أحمد ابن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد . وأم الآثار

الذى رواه أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عيسى بن يونس عن نويرة بن يزيد عن خالد
ابن معدان عن عبد الله بن عمرو قال: « الجنة، طوبة معاقبة بقرون الشمس تنشر في
كل عام مرة وإن أرواح المؤمنين في طير كلزراذير يتعارفون ويرزقون من ثمر
الجنة » فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه فإن الجنة
المعاقبة بقرون الشمس ما يحمدنه الله سبحانه وتعالى بالاحسن في كل سنة مرة من
أنواع الشر والفواحش والنبات جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية داللة عليها
كما جعل هذه النار مذكورة بتلك وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض
ليست معاقبة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها وقد ثبت في الصحيحين
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء
والأرض » وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم. والحديث المذكور
هذا أحدهما والثاني « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض
أعدها الله للمجاهدين في سبيل » وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينبغي أن
يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح « إن لله تسعة
وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أى من جملة أسمائه هذا القدر فيكون
الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه
وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة أبس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد
أمتة بالجهد والجنة مقربة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفة العرش
كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: « إذا سألت الله فاسأله الفردوس
فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أبواب الجنة » قال شيخنا
أبو الحجج المرى والمواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم
لا ظرف أى وسقفة عرش الرحمن « ذن قيل » فالجنة جميعها تحت العرش والعرش
سقفها فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه « قيل » لما كان
العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لاجنة فوقه دون
العرش كان سقفه له دون ما تحته من الجنات ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها
يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة
كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها، وهذا
يحتمل شيئين أن تكون منزلة عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته
لحفظه والله أعلم

— الباب الرابع عشر —

(في مفتاح الجنة)

قال الحسن بن عرفة ثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» رواه الامام أحمد في مسنده ولفظه «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» وذكر البخاري في صحيحه عن وهب ابن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح» وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال أعرابي: «يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال لا إله إلا الله» وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سبخرة قال: «إن السيف من مناقب الجنة» وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت بلى، قال لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور» ومفتاح الحج الاحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الاجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الايمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله اسلام القلب وسلامته له والاخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالاسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الاحسان في عبادة الخالق والسعى في نفع عبده، ومفتاح الرزق السعي من الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد الآخرة قصر الامل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الامل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفة ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه فان الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وباباً يدخل منه اليه كما جعل

الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، وكما جعل الخرم مفتاح كل اثم. وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل اضلاق النظر في الصور مفتاح الطاب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح الخفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، وهذه الامور لا يصدق بها الاكل من له بصيرة صحيحة ونقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشرف فينبغي للعبد ان يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المنافع وما جعلت المنافع له والله من وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والتفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

(الباب الخامس عشر)

(في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لاصحابها عند الموت وعند دخولها) قال تعالى : « كتاب الان كتاب الابرار لى سابين ، وما أدراك ما علمون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » فاخبر تعالى ان كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقة وخص تعالى كتاب الابرار بأنه يكتب ويوقع لهم به عشهد المقربين من الملائكة والنبين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنوياً بكتاب الابرار وما وقع لهم به ، واشهاراً له واظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الامراء وخواص أهل المملكة تنوياً باسم المكتوب له واشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده ، وروى الامام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسناني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة خاس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو ياجد له ، فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا تنزلت اليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكنن فجلسوا منه مد بصره ثم يحىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها

في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب تفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملائكة من الملائكة لا قلوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجاسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربى الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته، قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويقسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يحمىء بالخير؟ فيقول أنا عمالك الصالح، فيقول رب اقم الساعة، رب اقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجاسون منه مد البصر، ثم يحمىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الحبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (١) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنين ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة من الملائكة الا قلوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في المختار (السفود) بوزن التنوير الحديدية التي يشوى بها اللحم. ع

(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملاكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه!!! لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي مجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة، ورواه أبو داود بطوله بنحوه فهذا التوقيع والمنشور الاول

﴿فصل وأما المنشور الثاني﴾

فقال الطبراني في معجمه: حدثنا اسحاق بن ابراهيم الديري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة أحد الا بحوار بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر النخعي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراق حدثنا محمد بن اسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد ابن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» قلت وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة قاله المستعان .

﴿الباب السادس عشر﴾

(في توحيد طريق الجنة وأنه ليس له الا طريق واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم (وأما)

طارق الجحيم فأكثروا من أن تحصي ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبيل النار كقوله
 تعالى: «وأن هذا صراطى مستقيماً تتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»
 وقال: «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر» أى ومن السبيل جائز عن القصد وهى سبيل
 النفي وقال: «هذا صراط على مستقيم» وقال ابن مسعود: «خط لنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خطاً وقال هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم
 قال هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ وأن هذا صراطى
 مستقيماً فاتبعوه و«اتبعوا السبل» الآية فإن قيل فقد قال الله تعالى: «قد جاءكم
 من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام» قيل هى
 سبيل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم فهذه
 هى شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها،
 وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره وطريق الجنة هى إجابة
 الداعى إليها ليس إلا، وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال: «جاءت ملائكة
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان
 فقالوا إن صاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل
 فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن
 لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال
 بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان: الدار الجنة والداعى محمد، نعمن أطاع محمداً
 فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس» ورواه
 الترمذى عنه وألفظه «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال إني
 رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه
 اضرب له مثلاً فقال اسمع سمعت أذنك، وأعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل
 أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل مأدبة ثم بعث رسولا يدعو
 الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، والله هو الملك والدار الإسلام
 والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل
 الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها» وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال
 «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فاخذ بيدي حتى خرج إلى
 إلى بطحاء مكة فاجلسنى ثم خط على خطا ثم قال لا تبرحن خطك فإنه سينتهى
 إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيث أراد فبينما أنا جالس في خطي إذا ثنائي رجل كأنهم الزط (١) أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون إلى لا يجاوزون الخط ثم يصعدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل (٢) لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال لقد رأيته منذ الليلة ثم دخل علي في خطي فتوسد نخذي فرقد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رقد نفخ فبينما أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد نخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمل فانتبهوا إلى مجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا ما رأينا عبداً قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي إن عيفيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً، مثل سيد بني قصراً ثم جعل مأدبة فدطا الناس إلى طعامه وشرابه فن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يحبه طاقبه أو قال عذبه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال سمعت ما قل هؤلاء؟ وهل تدري من هم؟ قلت الله ورسوله أعلم قال هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت الله ورسوله أعلم قال الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده فن أجابه دخل الجنة ومن لم يحبه عذبه»

— الباب السابع عشر —

(في درجات الجنة)

قال تعالى: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً» ذكر ابن جرير عن هشام ابن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيرز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه قال هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضر سبعين عاماً» وقال ابن المبارك أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى (لهم درجات عند ربهم قال بعضهم أنزل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات

(١) الزط بالضم جيل من الناس الواحد (زطى) وهم جنس من السودا والهنود كما في النهاية (٢) من قوله لنأخ كذفى النسخ ولعل في الحديث تحريفاً فليراجع . ع

ف قيل الاول بين القاعد المعذور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد
وقال تعالى : « أَلَمْ يَتَّبِعِ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ » درجات عند الله والله بصير بما يعملون » وقال تعالى
: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ » وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء
ابن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن
أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر
من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يا رسول الله تلك منازل
الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
بالمرسلين » ولنظ البخاري في الأفق وهو أمين والغابر هو الذهب الماضي الذي
قد تدلى للغروب . وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى وثمانان
(احدهما) بعد عن النبيون (والثانية) أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن
لم تسامت العليا السفلى كلبساتين المعتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم .
وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما ترون الكوكب في أفق
السماء » . وقال الإمام أحمد حدثنا فرات أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي
عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن أهل الجنة
ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع
في تفاضل الدرجات » قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى والذي نفسي
بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا بالمرسلين » ورجال هذا الإسناد احتج بهم
البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث الغارب وفي حديث أبي سعيد الخدري
الغابر ، وقوله الطالع صفة للكوكب وصفه يكونه غارباً ويكونه طالعا وقد صرح
بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال ابن
علي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أن أهل الجنة ليتراءون
في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات ،
قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله

وصدقوا المرسلين» وهذا على شرط البخاري أيضاً . وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المتحابين لتري غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى فيقال من هؤلاء؟ فيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » . وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم » وفي المسند عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه » وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وإذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أبواب الجنة » فأما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درجة دونها ، ويبدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى هؤلاء الصلوات الخمس رصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له ما جاز أو قعد حيث ولدته أمه » قلت يا رسول الله ألا أخرج فأرذن الناس ؟ ذل لا يذرن الناس يعملون وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض ، وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفرج أبواب الجنة ، وإذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي هكذا المنقح وروى أيضاً من حديث عطاء عن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو حديث معاذ وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام » قل هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لو سعتهم » ورواه أحمد بدو ولمدة في كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بالمنقح في وبدونها وإن كان

المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجاتها. وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج
الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم. ولا تناقض بين تقدير ما بين
الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسائة لاختلاف السير في السرعة والبطء وانبغي
صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للفهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان
حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانيء التميمي سمعت أبا علي التميمي
سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
: «مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو بعد ما بين السماء
والأرض. قلت يا رسول الله لمن؟ قال للمجاهدين في سبيل الله»

❦ الباب الثامن عشر ❦

(في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة)

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا
سمعتهم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة
صلى الله عليه عشر آثم سلوا الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله
و أرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل الى الوسيلة حلت عليه شفاعتي» وقال أحمد
أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم فسلوا الله الى الوسيلة قيل يا رسول الله
وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا
هو» هكذا الرواية (أن أكون أنا هو) ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان
المستتر فيها ولا يكون أنا فصلاً ولا توكيداً بل مبتدأ . وفي الصحيحين من
حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وابعته مقاماً محموداً الذي وعدته : الا حلت له الشناعة يوم القيامة » .
هكذا لفظ الحديث «مقاماً» بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولانه لما تعين وانحصر
نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهذا
الطف من جعل الذي وعدته بدلاً فتأمله . وفي المسند من حديث عمار بن غزوة
عن مرسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة» وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه «درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق» وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبد الله بن عمران العابدی حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله أنك لأحب إلى من نفسي وإنك لأحب إلى من أهلي وأحب إلى من ولدي وإنى لا كون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)» قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى لا أعلم بأسناد هذا الحديث بأسا . وسُميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من التقرب وهي فعيلة من وصل إليه إذا تقرب إليه قال لمبيد * بلى كل ذى رأى إلى الله واسل * ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نورا . وقال صالح بن عبد العزيز قال لنا فضيل بن عياض أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفتها . وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس «نور سقف مساكنكم نور عرشه» وقال بكر عن أشعث عن الحسن: «إنما سميت عدن لأن فوقها العرش ومنها تنجر أنهار الجنة وللحور العذرية الفضل على سائر الحور والقربى والزلفى واحد، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل» وقال الكاظمي : «اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة» وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب» فقوله أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعظمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كنت منزلته أقرب المنازل إلى

الله وهي أعلى درجة في الجنة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أئمة أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيدة الايمان وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بسبب (منها) دعاء أئمة له بها بما ألوه على يده من الايمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه . وقوله: «حلت عليه يروى عليه» و«له» فمن رواد باللام فعناهم حصلت له ومن رواد بعلى فعناهم وقعت عليه شفاعتى والله أعلم

باب التاسع عشر

(في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده ونعمها الذي طلبه منهم وعقد التبائع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم)

قال تعالى: «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث اذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكد به أنواع من التأكيد (أحدها) اخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد باداة ان (الثاني) الاخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر (الثالث) اضافة هذا العقد الى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع (الرابع) أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه (الخامس) أنه أتى بصيغة على التي للوجوب اعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه (السابع) أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والانجيل والقرآن (الثامن) اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشروا به بعضهم بعضاً إشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسد (العاشر) أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله بايعتم به أى عاوضتم ونامنتم به ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون

مما يكره العابدون له بما يحب الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون السائحون
وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طاب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت
بدوام الطاعة. والتمحيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبهه والانابة اليه
والشوق الى لقاءه ويترب عاينها كل ما ذكر من الافعال ولذلك وصف الله
سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم الاتي لو طاق أزواجه بدله بهن بأنهن
سائحات وليست سياحتهن جهادا ولا سفراً في طاب علم ولا إقامة صيام، وانما هي
سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والانابة اليه وذكره . وتأمل كيف جعل
الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب،
والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه باوصاف كماله ، وسياحة اللسان في
أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره واجلاله ، كما جعل سبحانه
العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب
وجعل الاسلام والايمان قرينين فهذا علانية وهذا في القلب كما في المسند عنه
صلى الله عليه وسلم « الاسلام علانية ، والايمان في القلب » وجعل القنوت
والتوبة قرينين هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره ، وجعل الثبوت
والبكارة قرينتين فهذه قد وطئت وارتاضت وذلت صعوبتها. وهذه روضة انف
لم يرتفع فيها بعد ، وجعل الركوع والسجود قرينين وجعل الاله بالمعروف والنهي
عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا ياتي
حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده فهذا حفظها في نفس
الانسان وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الانسانية وشرفها
وعظم مقدارها فان السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر الى المشتري لها من هو ،
ونظر الى الثمن المبذول فيها ما هو ، وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع
فالسلمة النفس والله سبحانه المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم والسنيير في
هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم
عليه .

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع العمل
وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قل قل رسول الله صلى
الله عليه وسلم: « من خاف أدج ومن أدج بلغ المنزل ألا ان سلمة الله غالية، ألا إن
(م-ه- حادي الارواح)

مسلمة الله الجنة» قال هذا حديث حسن غريب ، وفي كتاب صفة الجنة لابي نعيم من حديث ابن عن أنس قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما نحن الجنة؟ قال لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله داني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه : فلما ولى قال من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليتنظر إلى هذا » وفي صحيح مسلم عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم » وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أني آت من ربي فأخبرني أو قل فبشرني انه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت وان زنى وازسرق ؟ قل وان زنى وان سرق . » وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة شاء » وفي لفظ « أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » وفي صحيح مسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا هريرة نعليه فقال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة . » وقال روح ابن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : « ثمن الجنة لا إله إلا الله . » وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل أحدكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا

إلا بتوحيد الله تعالى» واسناده على شرط مسلم وأصل الحديث في الصحيح

﴿فصل﴾

وهنا أمر يجب التنبية عليه ودو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله بما كنتم تعملون، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال بقوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ولا تنافي بين الأمرين لوجهين (أحدهما) ما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بمفوء الله، ودخول الجنة برحمته. واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال وبذل على هذا حديث أبي هريرة الذي سيأتي أن شاء الله تعالى أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بنفضل أعمالهم، رواه الترمذي (والثاني) أن الباء التي نقت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بمحصوله وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله «سدوداً وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله. قلوا ولا أنت يا رسول الله. قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» ومن عرف الله تعالى وشهد حقه عليه وشهد نقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقائه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان

﴿الباب العشرون﴾

(في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتهم فيهم إلى ربها عز وجل) قال الله تعالى حكاية عن أولى الالباب من عباده قولهم: «ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخاف الميعاد» والمعنى وآتتنا ما وعدتنا على السنة رسلك من دخول الجنة. وقلت طائفة

معناه وآتناما وعدتنا على الايمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً
إلا أن يتقدم على تصديق رسلك وطاعة رسلك وحينئذ فيتكافأ التقديران، ويترجح
الاول بانه قد تقدم قولهم ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم
فآمننا وهذا صريح في الايمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا اليه بأيمانهم أن يؤتيهم
ما وعدهم على السنة الرسل فانهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك
أيضاً يتضمن التصديق بهم وانهم بلغوه وعدده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم
إياه. وهذا هو الذي ذكره السالف والخالف في الآية. وقيل المعنى آتناما وعدتنا من النصر
والغفر على السنة الرسل. والاول أعم وأكمل (وتأمل) كيف تضمن ايمانهم به
الايمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده
والخوف من وعيده واستجاباتهم لأمره. فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم
فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه . وقد أشكل
على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد. وأجاب
بأن هذا تعبد محض كقوله « رب احكم بالحق » وقول الملائكة « فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك » وخفي على هؤلاء أن الوعد معاق بشروط منها الرغبة اليه
سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معاق بالايمان وموافاتهم به. وأن لا
يلحقه ما يحبطه. فاذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم
ونشيتهم واعانتهم على الاسباب التي ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من
أهم الادعية وأنفعها وهم أحوج اليه من كثير من الادعية. وأما قوله رب احكم
فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر
والغلبة وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الاسباب التي يوجب
بها لهم المغفرة فهو سبحانه نصب الاسباب التي يفعل بها ما يريد بوليائه
وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فله السبب
والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الاسباب التي توجب محبته
وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الاسباب التي خلقها وشاءها
فالشكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائده إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم
من أبواب التوحيد لا يلججه الا العالمون بالله . ونظير هذه الآية في سؤاله ما
وعده به قوله تعالى: « قل أذلك خيراً أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء

ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً» يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسول يسألونه إياها لهم ولا تبعاهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه وظهور رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وأعطائه ما سئل، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب إليه، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله، وبذلك تحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وظلمهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضاهم له سؤالاً، وهو يحب المالحين في الدعاء وكما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه، وفي الحديث «من لم يسأل الله يغضب عليه» فلا إله إلا هو، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الأيمان وحالات بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله!! والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. قال أبو ذؤيب الفاضل حدثنا يونس هو ابن أبي إسحاق حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار اللهم أجره من النار» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبي الاحوص عن أبي إسحاق عن يزيد بن. وقال الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبي حزم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب ان عبدك فلانا يسألني فأدخلني» وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار ان عبدك فلانا استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب ان عبدك فلانا سألتني فأدخله

الجنة» واسناده على شرط الصحيحين . وقال أبو داود في مسنده حدثنا شعبة حدثني يونس بن حبان سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال أسأل الله الجنة سبعاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة » وقال الحسن بن سفيان حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا مسألة الله الجنة واستعينوا به من النار فأنهما شافعتان مشفعتان : وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة يارب عبدك هذا الذي سألتك فأسكنه إياي . وتقول النار يارب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فاعذه » وقد كان جماعة من الساف لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبننا أن يحيرنا من النار فمنهم أبو الصهباء صله بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال اللهم أجرني من النار أو مثلي يحترى . أن يسألك الجنة . ومنهم عطاء السلمي كان لا يسأل الجنة فقال له صالح المري أن أبان حدثني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألتني الجنة أعطيته ومن استعذ بي من النار أعذته » فقال عطاء كنتاني أن يحيرني من النار ، ذكرها أبو نعيم وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للفتى يعنى الذى شكاه « كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت ؟ قال أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وإنى لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنى ومعاذا حولها ندندن » وفي سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه عن أحمد بن عمرو العصفري حدثنا يعقوب بن اسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك ابن أبي بشير يرفع الحديث : « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يارب قد طابت ثماري ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائي ، فعجل إلى باهلي » الحديث فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذبا . والنار كذلك وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرها ولا ننساها كما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا اسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا أيوب بن أبي

شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لأنتموا العظيمنتين قلنا وما العظيمنتان يا رسول الله؟ قال الجنة والنار» وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اطلبوا الجنة جهداً واهربوا من النار جهداً؛ فإن الجنة لا ينام طالبها وإن النار لا ينام هاربها وإن الآخرة اليوم مخوفة بالملكاء وإن الدنيا مخوفة بالذات والشهوات فلا تاهينكم عن الآخرة»

— الباب الحادي والعشرون —

(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومنها ما واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رساله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار)

(الاسم الاول) الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة الالعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والجن لستره ووقايته الوجه، والجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجاز وهي الحية المغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر

فدقت وجات واسبكرت (١) وأكملت فلو جن إنسان من الحدن جنت
أي لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك. ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره، ومنه قوله تعالى: «اتخذوا أيمانهم جنة» أي يستترون بها من انكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى: «من الجنة والناس» وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى: «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا» ولوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجعوا هذا القول بوجهين (أحدهما) أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن

وبينه (الثاني) قوله تعالى: « ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب اليه هؤلاء ، وإن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى « من الجنة والناس » وعلى هذا فنى الآية قولان (أحدهما) قول مجاهد قال قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن . وقال السكابي: قالوا تزوج من الجن نخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة قالوا صاهر الجن (والقول الثاني هو) قول الحسن قال: « شركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الاول ليس بمسلّم لصحة قولهم فانهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الابداد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن وأما قوله « ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ » فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلاً لدعوائهم الكاذبة وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى ابطال قولهم من التقدير الاول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة

(فصل)

(الاسم الثانى) دار السلام وقد سهاها الله بهذا الاسم فى قوله « لهم دار السلام عند ربهم » وقوله « والله يدعون الى دار السلام » وهى أحق بهذا الاسم فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سألها وسلم أهلها « وتحيتهم فيها سلام » والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم « والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم » كما قال تعالى: « لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم » وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة: وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ولا خش ولا باطل ، كما قال تعالى: « لا يسمعون فيها لغواً ولا سلاماً » وأما قوله تعالى: « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود . وإنما معنى الآية والله أعلم فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين

أى فسلامه لك كائننا من أصحاب التبيين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار ونذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وتدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «بشرى روح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة

(فصل)

(الاسم الثالث) دار الخلد وسميت بذلك لان أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : «عطاء غير مجدوذ» وقال : «ان هذا لرزقنا ما له من نقاد» وقال : «كلما دائم وظلها» وقال : «وما هم منها بمخرجين» وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها ان شاء الله تعالى

(فصل)

(الاسم الرابع) دار المقامة قال تعالى حكاية عن أهلها : «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور» الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسن فيها نصب « قال مقاتل أنزلنا دار الخلود» أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً قال الفراء والزجاج المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بلمكان إقامة ومقامة ومقاما

﴿فصل﴾

(الاسم الخامس) جنة المأوى قال تعالى : «عندها جنة المأوى» والمأوى مفعول من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به وقال عطاء عن ابن عباس هي الجنة التي يأوى إليها جبريل والملائكة: وقال مقاتل والسلمى هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء، وقال كعب جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حديش: هي جنة من الجنان، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى « وقال في النار فان الجحيم هي المأوى» وقال «ومأواكم النار»

فصل

(الاسم السادس) جنات عدن: فقبل هي اسم الجنة من الجنان والصحيح انه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى: «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب» وقال تعالى: «جنات عدن يدخلونها يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير» وقال تعالى: «ومساكن طيبة في جنات عدن» والاشتقاق يدل على ان جميعها جنات عدن فانه من الاقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد تو دامت وعذنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه قال الجوهري ومنه جنات عدن أي اقامة ومنه معنى المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء. ومركز كل شيء معدنه. والعدن المساقاة المقيمة في المرعى

(فصل)

(الاسم السابع) دار الحيوان: قال تعالى: «وان الدار الآخرة لهي الحيوان» والمراد الجنة عند أهل التفسير قالوا وان الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان هي دار الحياة التي لاموت فيها فقال الكاكي هي حياة لا موت فيها وقال الزجاج هي دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على ان الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان قال أبو عبيد الحياة والحيوان والحي معنى بكسر الحاء واحد قال أبو على يعني أنها مصادر فالحياة فملة كالجلبة والحيوان كالنروان والغليان والحي كالعوى قال الزجاج * كسناها إذا الحياة حي * أي إذا الحياة حياة. وأما أبو زيد فقالهم وقال: الحيوان ما فيه روح. والموتان والموات ما لا روح فيه. والصواب أن الحيوان يقع على ضربين (أحدهما) مصدر كما حكاه أبو عبيدة (والثاني) وصف كما حكاه أبو زيد وعلى قول أبي زيد الحيوان مثل الحي خلاف الميت ورجح القول الاول بأن الفعلان بابيه المصادر كالنروان والغليان بخلاف الصفات فان بابها فعلان كسكران وغضبان. وأجاب من رجح القول الثاني بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضاً قولوا رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان قال في الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الارسال للسهم فيجتمعل قوله تعالى: «وان الدار الآخرة لهي الحيوان» معنيين (أحدهما) ان حياة الآخرة هي الحياة لانها لا تنغيص فيها ولا نقاد لها

أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار فيكون الحيوان مصدر اعلى هذا. (الثانى)
أن يكون المعنى انها الدار التى لا تنفى ولا تنقطع ولا تبسّد كما يفنى الاحياء فى
هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت

فصل

(الاسم الثامن) الفردوس قال تعالى: «أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون» وقال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها» والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على
أفضلها وأعلاها، كانه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس
البستان والفردايس البساتين قال كعب هو البستان الذى فيه الاعناب، وقال
الليث الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أى معمرش وقال النضر كهى
الجنة الملتنة بالاشجار وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت من كلام
العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفردايس قال ولهذا سمي باب
الفردايس بالشام وأنشد لجرير

فقلت للركب إذ جدد المسير بنا يا بعد سيرين من باب الفردايس
وقل مجاهد: هذا البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال هو بلرومية منقول
إلى لفظ العربية قال وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين
قال حسان

وان ثواب الله كل مخلص جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

(الاسم التاسع) جنات النعيم قال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم» وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الانواع التى
يتنعم بها من الماء كولد والمشروب والمأبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج
والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن

فصل

(الاسم العاشر) المقام الامين قال تعالى: «ان المتقين فى مقام أمين» والمقام موضع
الاقامة والامين الآمن من كل سوء وآفة ومأروه وهو الذى قد جمع صفات الامن كلها

فهو آمن من الزلزال والخراب وانواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والتكد (والبلد الامين) الذى قد آمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الامن فى قوله تعالى : «ان المتقين فى مقام أمين» وفى قوله تعالى : «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا

ـ (فصل)

الاسم (الحادى عشر) (والثانى عشر) مقعد الصدق وقدم الصدق :قال تعالى : «ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق» فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحمة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصدق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال لارجل الشجاع انه لدو مصدق أى صادق الحجة وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ومنه الصداقة لثناء المودة والخالة ، ومنه صدقنى انقتال وصدقنى المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شئ تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط، وفسر قوم قدم صدق بالجنة، وفسر بالاعمال التى تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك، والتحقيق أن الجميع حق فانهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أى بالاسباب التى قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الافعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق اشارة إلى مطابقتها للواقع وأنه ثناء بحق لا باطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله والله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فانه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجاً من أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان

﴿الباب الثاني والعشرون﴾

(في عدد الجنات وأنها نوطان جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الجنة اسم شامل لجميع ما حوتها من البساتين والمساكن واقصودوهي جنات كثيرة جدا كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله ألا تمدني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب. فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال يا أم حارثة انها جنان في الجنة وإن ابك أصاب الفردوس الأعلى. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جنتان من ذهب آيتيهما وحليتهما وما فيهما» وفي رواية: «جنتان من ذهب آيتيهما وحليتهما وما فيهما» وفي رواية: «جنتان من فضة آيتيهما وحليتهما وما فيهما» وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وقد ذل تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فذكرهما ثم قال: «ومن دونهما جنتان» فهذه أربع وقد اختلف في قوله ومن دونهما هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين فقالت طائفة من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما. وقالت طائفة بل معنى من دونهما تحتهما قلوا وهذا المنقول في لغة العرب إذا قلوا هذا دون هذا أي دونه في المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وفي الصحاح دون تقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم قال ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه. (أحدها) قوله «ذوات أفنان» وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني أنه جمع فن وهو الصنف أي ذوات أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدها (الثاني) قوله (فيهما عينان تجريان) وفي الآخرين (فيهما عينان نضاختان) والنضاخة هي الفؤارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفؤارة قلنا تتغذى النوران والجريان (الثالث) أنه قال: «فيهما من كل فاكهة زوجان» وفي الآخرين: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنمان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى

وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكاه غريب وقالت طائفة نوطان ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والابيض والاحمر وذلك لان اختلاف اصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين وانعم (الرابع) انه قال «متكئين على فرش بطائنتها من إستبرق» وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الآخرين قال «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصنع بما وصف به فرش الجنتين الاوليين (الخامس) انه قال «وجنى الجنتين دان أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ولم يذكر ذلك فى الآخرين (السادس) انه قال: «فيهن قاصرات الطرف» أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهن لرضاهن بهن ومحبتهم لهن وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الآخرين «حور مقصورات فى الخيام ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها (السابع) انه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون واثرائه وحسنه ولم يذكر ذلك فى التى بعدها (الثامن) أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الاوليين: «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» وهذا يقتضى ان أصحابهما من أهل الاحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم باحسان كامل (التاسع) انه بدأ بوصف الجنتين الاوليين وجهيهما جزءا لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهم أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين (العاشر) أنه قال «ومن دونهما جنتان» والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى فان قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الاربع على من خاف مقام ربه قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما . فان قيل فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثانى بوجهين (أحدهما) من جهة النقل (الثانى) من جهة المعنى . فأما الذى من جهة النقل فان أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه و . لم أنه قال : «هما بستانان فى رياض الجنة» وأما الذى

من جهة المعنى فإن إحدى الجنةين جزاء أداء الاوامر . والثانية جزاء اجتناب المحارم «فإن قيل» فكيف قال في ذكر النساء «فيهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قل «فيهما» قيل لما ذكر الفرشة قل بعدها فيهن خيرات حسان ثم أعاده في الجنةين الآخرتين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى والله أعلم

﴿الباب الثالث والعشرون﴾

(في خالق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان) وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيادة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أغلاده وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ومن السموات العليا ومن البلاد مكة ومن الأشهر الحرم ومن الليالي ليلة القدر ومن الأيام يوم الجمعة ومن الليل وسطه. ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى «يخافق ما شاء ويختار» وقال الطبراني في معجمه حدثنا مطاب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث . قال الطبراني في معجمه . وحدثنا أبو الزباع روح بن القرج حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الانصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه، ولا يأتون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تره عين أحد، ولا خطر على قاب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيته؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر» قل تعالى: «وقرآ الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً» فيشهد الله تعالى وملائكته . قال الحسن بن سفيان حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قل حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله بنى الفردوس بيده وحطرها على كل منترك وكل مدمن خمر ومتكبر» وقد ذكر الدارمي والنجاشي وغيرهما من حديث

أبي معشر نجيب بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مد من خمر ولا الديوث. قالوا يا رسول الله قد عرفنا مد من الخمر فما الديوث؟ قال الذي يقر السوء في أهله» فأت المحفوظ أنه موقوف قال الدارمي حدثنا موسى بن اسماعيل - حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام» ثم قال لسائر الخلق كن فكان» وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: «إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده» حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده. ثم قال لها تكلمي. قالت قد أفلح المؤمنون» وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عمار بن عطية قال: «خلق الله الجنة الفردوس بيده فهو يتجها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيباً لا ولياً لي. ازدادي حسناً لا ولياً لي» وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: «إن الله تعالى غرس جنة عدن بيده فلما تكلمت أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون» وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري حدثنا عدي بن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة. وغرس عرشها بيده» وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون. فقال طوبى لك منزل الملوك» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن أبي المنثري البزار حدثنا محمد بن زياد الكوفي حدثنا بشير بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء بلا طها المسك وحبهاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها

انطقتي قلت قد أفلح المؤمنون. فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون « وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولا فضل ذريته اعتناء وتشريفاً واطهاراً لنضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان. وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبه عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال رجل يحبني بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب، فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله وأردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» ومصادقه من كتب الله «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين»

— الباب الرابع والعشرون —

(في ذكر بواب الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)

قال تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم» والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤمن على الشيء الذي قد استخذه. وروى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت بن أفسر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بلى أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه «من أتفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فلهم. قال أبو بكر يا رسول الله ذلك الذى لا توى (١) عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن تكون منهم» وفي لفظ «هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم» لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان.

(١) بفتح التاء لاضياع ولا خسارة وهو من القوى الهلاك. ع

وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الابواب كلها سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحمل ذلك لاحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخره بمحصله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال هل تكمل لاحد هذه المراتب فيدعى يوم اقيامة من ابوابها كلها؟ فله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمي الله سبحانه وتعالى كبير هذه الحزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار ملكا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفته حروفه

❦ الباب الخامس والعشرون ❦

(في ذكر أول من يقرع باب الجنة)

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لاحد قبلك ولا أقوم لاحد بعدك » وذلك أن قيامه اليه صلى الله عليه وسلم خاصة انظاراً لمزيتته ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالمملك عليهم وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى اليه وفتح له الباب . وقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح باب الجنة الا أن امرأة تبادرني فقول لها مالك ومن أنت ؟ فتقول أنا امرأة قدمت على يتامي » وفي انترمذي من حديث ابن عباس قال : « جالس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً ان الله من خلقه خائلاً اتخذ ابراهيم خليلاً وقال آخر ما ذلك بأعجب من كايمة موسى كايمة تكليماً قال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خائيل الله وهو كذلك : وموسى نجي الله وهو كذلك : وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك : وآدم اصطفاه الله وهو كذلك : ألا وأنا حبيب الله ولا فخر : وأنا أول شافع وأول مشفع يوم اقيامة ولا فخر : وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر : وأنا أول من يحرك حائقة الجنة فيفتح لي فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر : وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر » وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا

خطيبهم إذا أُنصتوا، وقائدهم إذا وُفدوا، وشافهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا
 أيسوا، لواء الخدم بيدي، ومنافيتج الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم
 يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللاؤلؤ المكنون، رَوَاهُ الترمذی
 والبيهقي واللفظه وفي صحيح مسلم من حديث أشتار بن ثعلبة عن أنس قال
 قال رسول الله ﷺ: «أنا أكرم الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع
 باب الجنة»

﴿الباب السادس والعشرون﴾

(في ذكر أول الامم دخولا الجنة)

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال: «رسول
 الله صلى الله عليه وسلم نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الساتب
 من قبلنا وأوتينا من بعدهم» أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فعني بيد معنى سوى
 وغيره والا ونحوها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون الاولون يوم القيامة، ونحن
 أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم،
 فاختلنا فهدانا الله لما اختلنا وأتينا من الحق بأذنه» وفي الصحيحين من حديث
 ماوس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن الآخرون
 الاولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الساتب من
 قبلنا وأوتينا من بعدهم» وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد
 الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى
 أدخلها، وحُرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال الدارقطني غريب عن الزهري
 ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ولا
 رواه الا عمرو بن أبي سلمة عن زهير، فهذه الاممة أسبق الامم خروجاً من
 الارض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم
 إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول
 الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم، ومحرمة على
 الامم حتى تدخلها أمتي، وأما أول الامة دخولا فقال أبو داود في سننه حدثنا

هناد بن السري عن عبد الرحمن بن محمد المخاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جمعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وقوله «وددت أني كنت معك» حرصاً منه على زيادة اليقين وإن يصير الخبر عياناً كما قال إبراهيم الخليل «رب أرني كيف تحيي الموتى» قال أولم تؤمن قل بلى ولكن ليطمئن قلبي» وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه حدثنا اسماعيل بن صمر الطلحي أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول من يصاحبه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذه بيده فيدخله الجنة» فهو حديث منكر جداً قال الامام احمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث

❦ الباب السابع والعشرون ❦

(في ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفتهم)

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آثيتهم وأمشاطهم الذهب والنضة، ومجامرهم الالوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الخادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء» وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض على أول ثلاثة من أمي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشبيد وعبد مملوك لم يشغله ريق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمر مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور» وروى الامام احمد في مسنده والطبراني في معجمه والنظ له من حديث أبي عشة المصافري انه سمع عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا الله ورسوله أعلم » قال فقراء المهاجرين الذين تنقوا بهم المكار، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبانا، فيقول عبادي لا يشركون بي شيئاً تنقوا بهم المكار يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال «والسابقون السابقون» واختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال (أحدها) انه من باب التوكيد اللغوي ويكون الخبر قوله «أولئك المقربون» (والثاني) أن يكون السابقون الاول مبدءاً والثاني خبر له على حد قولك زيد زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال * أنا أبو النجم وشعري شعري * وكقول الآخر * إذ الناس ناس والزمان زمان * قال ابن عطية وهذا قول سيديويه و(الثالث) أن يكون الاول غير الثاني ويكون المعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الايمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم «فان قيل» فما تقول في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالاً فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خيخشتك أمامي، ودخلت البارحة فسمعت

خشخشنتك أماحي، أتيت على قصر مريع مشرف من ذهب : فقات لمن هذا القصر؟ قالوا لرحل من أمة محمد : قات أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر ابن الخطاب فقال بلال بإرسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك قبل تلتقاد بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان فيتم تقدم أذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم وقد روى في حديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان» فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله وأظهاراً لشرفه وفضله لاسبقاً من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه والله أعلم .

﴿الباب الثامن والعشرون﴾

(في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام» وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورجال اسناده احتج بهم مسلم في صحيحه . وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب بن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً» وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً»» وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن ساييم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول

أى أخى انى حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً، ما وصات اليك حتى سال منى العرق . قالو ورده الف بغير كلها أكلة حمض لصدرت عنه» وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبد الله الرازى قالا حدثنا على بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام» وذكر الحديث بطوله والذى فى الصحيح ان سبقهم لهم بأربعين خريفا . فأما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر . كث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم والله أعلم ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وان سبقه غيره فى الدخول ، والدليل على هذا أن من الأئمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغنى اذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب اليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الاعمال ولا سيما اذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . فلمزية مزيان مزية سبق ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعد بهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة . ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب مقتضى الأمرين أو لاحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق

﴿الباب التاسع والعشرون﴾

(فى ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم)

قال تعالى : «وسارعوا الى مغفرة من ربكم . وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم

يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دوز غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار فهذا حالهم مع الله وذلك حالهم مع خلقه . وقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » فأخبر تعالى انه أعدها للمهاجرين والانصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقهم فيها . وقال تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجات قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زلتهم ايماها وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » فوصفهم باقامة حقه باطنا وظاهرا وبأداء حق عبادته . وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا انى رأيت في النار في بردة غلما أو عباءة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن الخطاب اذهب فننادى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » قال فخرجت فنناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) والبخارى معناه . وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى في الناس : « انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة » وفي بعض طرقه مؤمنة ، وفي الحديث قصة . وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار الجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى من يومى هذا : كل مال نحلته عبدا لحلال ، وإنى خلقت عبادى خنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فخرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم

وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : انما بعثتك لابتليكم وأبلى بك . وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب اذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة : قال استخرجهم كما أخرج جوك وأغزم نعنك ، وانفق فسينفق عليك وابث جيشا نبعت خمسة مائة ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، قال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون فيكم أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وان دق إلا خانته ، ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل ، أو الكذب والشنظير الفحاش وان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد « وفي الصحيحين من حديث «ارثة بن وهب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق قال أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن علي بن رباح قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة . النبي في الجنة والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره الا لله في الجنة . ونساءكم من أهل الجنة الودود الولود التي اذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يذرونها ثم تقول لا أذوق غمضا حتى ترضى » أخرجه النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقي الحديث على شرطه ، وروى الامام أحمد في مسنده باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » وقال ابن ماجه في سننه حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أكرم قال أنبأنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو هلال الرايسي حدثنا عقبة بن أبي ثببت الراسي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ان

أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع : وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع » وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « مر بمجنازة فأثنى عليها خيرا فقال نبي الله وجبت وجبت وجبت ومر بمجنازة فأثنى عليها شرا فقال وجبت وجبت وجبت . فقال عمر فذاك أبي وأمي ، مر بمجنازة فأثنى عليها خيرا فقال وجبت وجبت وجبت ، ومر بمجنازة فأثنى عليها شرا فقالت وجبت وجبت وجبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أثبتتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثبتتم عليه شرا وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض » وفي الحديث الآخر « يوشك أن تلعنوا أهل الجنة من أهل النار قلوا كيف يا رسول الله ؟ قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » فنسأل الله أن يجمعنا منهم بمنه وكرمه .

— الباب الثلاثون —

(في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم)

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال اني لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشجرة بيضاء في ثور أسود أو كشجرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ مسلم ، وعند البخاري : « وكشجرة سوداء في ثور أبيض » بغير الف (١) ، وعن يزيد بن الحبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا » رواه الامام أحمد والترمذي واسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عباس وفي اسناده خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث انقاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال كيف أنتم ولثلاثها ؟ قالوا ذلك أكثر ، قال كيف أنتم والشرط لكم ؟ قالوا ذلك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً قل الطبراني لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، الا الحرث بن خزيمة تفرد به عبد الواحد بن زياد . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن غنم حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو . عن أبيه عن أبي هريرة قل : « لما نزلت (ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتم ربع أهل الجنة ، أتم ثلث أهل الجنة ، أتم نصف أهل الجنة أتم ثلثنا أهل الجنة » قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وقال خزيمة بن سليمان القرشي حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكر الصيرفي حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثوري عن هز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قل : « أهل الجنة عشرون ومائة صف أتم منها ثمانون صفاً » وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه صلى الله عليه وسلم رجا أولاً ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاها الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر . وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا ، ثم قال فارجو أن تكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم

﴿ الباب الحادي والثلاثون ﴾

(في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار)
 ثبت في الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ » فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر واتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء لسكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، يوم في الجنة عزب فان كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر ، من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر . والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين . عن

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » فإن قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه « شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العید صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة » ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة ، قال فجعلت المرأة تلقى خاتمها ، وخرصها والشئ كذلك ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فجتمع ما هناك ، قال إن منكن في الجنة ليسير . فقالت امرأة يا رسول الله لم ؟ قال إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير . وفي الحديث الآخر « أن أقل ساكني الجنة النساء » قيل هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار ، أما كونهن أكثر أهل النار فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وروى الامام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفي المسند أيضا من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن خذلة (١) وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكهن ، قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل

بشهادة رجل بهذا نقصان العقل ، وثمكت الايام لا تهلى وتفتقر فهذا نقصان الدين» وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله « أنه كانت له امرأتان فجاء من عند احدهما فقالت الاخرى جئت من عند فلانة فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أقل ساكني الجنة النساء » فان قيل « فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديثا طويلا وفيه « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى وثنيتين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا » وذكر الحديث قيل هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف الا من حديث اسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي أماديه كلها مما فيه نظر . وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال سمعت محمدا يقول فيه هو نقة مثارب الحديث « قلت » ولكن اذاروى مثل هذا ما يخالف الاحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته وأيضا فلرجل الذي روى عنه القرظي لا يدري من هو . وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال « كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى اذا كنا بمر الظهران فاذا امرأة في هودجها قال فالدخل الشعب فدخلنا معه فقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فاذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعدم أحمر المنقار والرجلين : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب في هذه الغربان » والاعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء قال الجوهري ويقال هذا كقولهم : الاباق العقوق وبيض الانوق . لكل شيء عيز وجوده . وفي النهاية الغراب الاعصم هو الابيض الجناحين وقيل الابيض الرجل أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لان هذا الوصف في الغربان قاييل عزيز . وفي حديث آخر « المرأة الصالحة مثل الغراب الاعصم . قيل وما الغراب الاعصم يا رسول الله ؟ قال

الذى إحدى رجليه بيضاء» وفي حديث آخر «عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغراب»

❦ الباب الثانى والثلاثون ❦

(فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم)
 ثبت في الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال :
 « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضىء
 وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه ، فقال
 يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
 اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم
 فقال سبقك بها عكاشة » وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليذخاں الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب
 أو سبعين ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم
 على صورة القمر ليلة البدر » فهذه هى الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب
 والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسام حدثنا سعيد بن منصور
 حدثنا هشام أنبأنا خصيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال :
 « أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارح ؟ » قات أنا ، ثم قلت أما انى لم أكن
 فى صلاة ولا كنى لدغت ، قل فما صنعت ؟ قات استرقيت . قال فما حملك على ذلك ؟
 قات حديث حدثناه الشعبي . قال وما حدثكم الشعبي ؟ قلت حدثنا عن بريدة
 ابن الحصيب الاسلمى أنه قال : لارقية الامن عين أوحمة فقال قد أحسن من
 انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
 عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبى ومعه الرجل والرجلان
 والنبى وليس معه أحد ، ورفع الى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقبل لى هذا
 موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقبل لى هذه
 أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض
 فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
 فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم
 فلعلمهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج

عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه
فقال هم المذنب لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام
عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجمعاني منهم فقال أنت منهم . ثم قام رجل
آخر فقال ادع الله أن يجمعاني منهم فقال : سبقك بها عكاشة « وليس عند البخاري
لا يرقون قال شيخنا وهو الصواب وهذه اللقطة وقعت مقحمة في الحديث
وهي غلط من بعض الرواة قن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذي
يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا
يسألون غيرهم أن يرقهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من
الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من
تم التوكل على الله كما في الحديث « الطيرة شرك » قال ابن مسعود : وما منا الا من
تطير ، ولكن الله يذهب بالتوكل ، فالتوكل ينافي التطير وأما رقية العيين فهي
احسان من الرقي قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن في الرقي
وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك واستأذنه فيها فقال من استطاع منكم
أن ينفع أخاه فلينفعه ، وهذا يدل على أنها نفع واحسان وذلك مستحب مطلوب
لله ورسوله فالراقي محسن والمسترق سائل راج نفع الخير والتوكل ينافي ذلك
« وإن قيل » فإثنية قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقاها
« قيل » أجل ولكن هو لم يسترق وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل ولا يرقهم راق
وانما قال لا يغالبون من أحد أن يرقهم ، وفي امتناع صلى الله عليه وسلم أن
يدنو للرجل إثنائي سد باب الطلب فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فرعاً ولله
من ليس من أهله والله أعلم وفي صحيح مسلم بن حديث محمد بن سيرين عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي
سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب . قيل ومن هم ؟ قال هم الذين لا يكتوون ولا
يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وفي صحيحه أيضا من حديث ابن
الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر
حديثا طويلا وفيه فتنة جوا أول زمرة وجوهم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا
لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأصوا نجم في السماء ، ثم كذلك » وذكر تمام
الحديث وقال أحمد بن منيع في مسنده حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد

عن عاصم بن زر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« عرضت على الامم بالموسم فترأيت على امتي ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم .
وهيئتهم قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد ؟ فقلت نعم فقال ان مع
هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون . ولا
يسكتون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله
أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم فقام رجل
آخر فقال سيقتك بها عكاشة » واسناده على شرط مسلم

— الباب الثالث والثلاثون —

(في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة)

قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد
قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « وعدني ربّي أن يدخل الجنة من امتي سبعين ألفاً بغير حساب مع كل
الف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب : وثلاث حثيات من حثيات ربّي »
قلت واسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه فأما تدليسه فقد قال
الطبراني حدثنا أحمد بن المولى الدمشقي والحسين بن اسحاق التستري قالوا
حدثنا هشام بن صمار قال حدثنا اسماعيل بن عياش قال أخبرني محمد بن زياد
الاهلاني قال سمعت أبا أمامة فذكره وأما ضعفه فأنما هو في غير حديث الشاميين
وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه . قال أبو بكر
ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن
سليم بن عامر عن أبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة . عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « ان الله وعدني أن يدخل الجنة من امتي سبعين ألفاً بغير حساب
قل يزيد بن الاخنس والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الزباب
الأصفر في الذباب : قال رسول الله ﷺ فأنا والله وعدني سبعين ألفاً مع كل
ألف سبعون ألفاً وزاد في ثلاث حثيات » قال أبو عبد الله المقدسي أبو اليمان
اسمه عامر بن عبد الله بن الحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن ابراهيم
القاضي شيخ البخاري ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح الا
الهوزني . وما علمت فيه جرحاً قال الطبراني حدثنا أحمد بن خليد حدثنا

أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن يزيد البجلي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ثم يشفع كل ألف لسمعين الثناء ثم يحني ربي تبارك وتعالى بكفيهم ثلاث حشيات فكبر عمر وقال إن السبعين الأول يشفعهم الله في آباءهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعاني الله في إحدى الحشيات الأواخر» قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد لا أعلم لهذا الإسناد صلة قال الطبراني وحدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنباري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع لكل ألف سبعين ألفاً ثم يحني ربي ثلاث حشيات بكفيهم ذلك ابن قيس فكانت لأبي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم بأذني ووعاه قلبي قال أبو سعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفي الله عز وجل بقيته من أعرابنا» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنباري إلا بهذا الإسناد وتورده معاوية ابن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه قال أبو سعيد شرب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربع مائة ألف ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمتي قال الطبراني حدثنا محمد بن صالح بن الوليد القسري ومحمد بن يحيى بن منده الأصمعيان قالا أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله زدنا فقال كذلك يده فقال عمر يا رسول الله زدنا فقال عمر حسبك يا عمر قال والله لو أن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة فقال عمر إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحشية واحدة فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر» قال

(م - ٧ - حادي الارواح)

محمد بن عبيد الواحد لأعرف لعمر حديثاً غيره . وفي الحلية من حديث سليمان ابن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مئة ألف فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قل وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يارسول الله زدنا فقال عمر إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحنة واحدة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر » رواه عنه أبو ابراهيم بن الهيثم البلدي وفيه ضعف تنرد به . أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليمان وقال عبد الرزاق أبانا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربع مئة ألف، قال أبو بكر زدنا يارسول الله قال وهكذا وجمع بين يديه قل زدنا يارسول الله قال وهكذا، فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا!! فقال عمر إن شاء الله أدخل خاتمه الجنة بكف واحدة؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر » تفرد به عبد الرازي وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا قلوا زدنا يارسول الله فقال وهكذا وحشي بيده: قلوا يا نبي الله أبعده الله من دخل النار بعد هذا » قال محمد بن عبد الواحد لا أعلمه روى عن أنس بهذا الطريق وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين . «فان قيل» فكيف كانوا أولا قبضاً واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور «قيل» الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روى أنهم كانوا كالذر وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقه وأكمل أجساما ، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين والله أعلم

— الباب الرابع والثلثون —

(في ذكر تربة الجنة ودينتها وحصبائها وبنائها)

قل الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا أنبأنا زهير حدثنا سعيد الطائي حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: «قالنا يارسول

الله إذا رأيته رقت لموتنا وكننا من أهل الآخرة، وإذا فرقتك أعجبنا الدنيا وشحننا النساء والأولاد، قل لو تذكرون عن كل حال عن الحال التي أنتم عليها عندى لصاغتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم. ولولم تذبوا لجناء الله يقوم يذبون كي يغفر الله لهم، قل فلما يرسل الله حدثا عن الجنة ما يذوها؟ قل لينة ذهب ولينة فضة، وملاطها (١) المسك، وحصباؤها الأولو والياء قوت، وتراها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفتنى شبابه، ثلاثة لا ترد دينهم إلا مأم الأعدل والأصائم حتى ينظر، ودعوة المقام تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب ونزلى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين، وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه، قيل يرسل الله كيف يذوها؟ قل لينة من ذهب ولينة من فضة، وملاطها مسك أذخر وحصباؤها الأولو والياء قوت، وتراها الزعفران» هذا جاء في هذه الأحاديث أن تراها الزعفران وكذلك روى عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة لينة من ذهب ولينة من فضة وتراها الزعفران وطينها المسك» وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: «كأن أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنازة (٢) الأولو وإذا تراها المسك» وهو قطعة من حديث المعراج وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء (٣) مسك خالص» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق «ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الحريري عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص» وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشامي عن جابر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد قد غاب أصحابك اليوم قل وبأى شيء غابوا؟ قل سألهم اليهود كم عدد خزنة النار

(١) ملاطها طينها (٢) الجنابذ جمع جنبذة وهي اقبة (٣) في النهاية الدرمة

هو الدقيق الحواري أى بتشديد الواو ويقال له الدرمة وكأنها واحدة في

المعنى اهـ ع

فقالوا لا ندري. حتى نسال نبينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائعلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسال نبينا؟ ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يرهم الله جرة. على بأعداء الله فأنى سألهم عن تربة الجنة وأنها درمكة فلما أن جؤرقلوا رأبا القاسم كم عدة خزنة النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه كلتيهما هكذا وهذا وقبض واحدة فنى تسعة عشر. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تربة الجنة؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقلوا خبزة ياأبا القاسم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمة. فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها فذهبت طائفة من السلف الى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران. قل أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن أبى عبيد عن أبىه عن الاعمش عن مالك بن الحارث قل قل معتب بن سعى: الجنة ترابها المسك والزعفران. ويحمل معنيين آخرين (أحدهما) أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا والطين يسمى ترابا ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر ملاطها المسك والملاط الطين ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد «ترابها الزعفران والطينها المسك» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما الى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا (المعنى الثانى) أن يكون زعفرانا باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة. وهذا من أحسن شىء يكون. البهجة والاشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك. وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه الى صفرة مع لينها ونعومتها وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا أرض الجنة من فضة وترابها المسك فاللون فى البياض لون انفضة والرائحة رائحة المسك وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم ابن المغيرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قل: «أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كشبان الرمل. فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة. دناءهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتخرج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل الى زوجته وقد ازداد سنوا وطيبا فتقول لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد اعجابا» وقال ابن أبى شيبة حدثنا معاوية ابن هشام حدثنا على بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال «قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قل لبننة من فضة ولبننة من ذهب وملاطها

مسك أذفر (١) وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران » وقال أبو الشيخ حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضي حدثنا عدي بن الفضل حدثنا سعيد الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «ان الله بنى جنات عدن بيده وبهاؤها لينة من ذهب ولينة من فضة وجعل ملاطها المسك الأذفر وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ » ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون: فقلت الملائكة طوبى لك منزل المونث » وقال أبو الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريح عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قات ليلة أمرى بي يا جبريل أنهم سيسألونى عن الجنة. قل فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأنها أرضها عقيان الذهب فان كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنة الذهبيتين فيلدون جبريل أخبره بأعلى الجنة وأفضاهما والله أعلم

باب الخامس والثلاثون

(في ذكر نورها وبياضها)

قال أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدم عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله الجنة بيضاء وأحب الزى إلى الله البياض فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » ثم أمر برعاء النساء فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء: فجاءته امرأة فقالت يا رسول الله انى اتخذت غنما سودا فلا تراها تنمو قال عفري » وقوله «عفري» أى بيضى وذكر أبو ذؤيم من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: «ان الله خلق الجنة بيضاء وان أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالبياض فان الله خالق الجنة بيضاء فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » وروينا من طريق البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفى عن خله الزميل بن السجك أنه

(١) فى النهاية مسك أذفر أى طيب الريح والأذفر بالتحريك يقع على الطيب

والسكرية ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . ع

سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال
«يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال مرمررة بيضاء من فضة كأنها مرآة، ثلث فم نورها؟
قال ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل ولوع الشمس فذلك نورها إلا أنه
ليس فيها شمس ولا زهرير» وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله تعالى وفي حديث
لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وقال «وتحتبش الشمس والقمر فلا يرون
منهما واحداً» قال قلت يا رسول الله فهم يبصرون؟ قال مثل بصرك في ساعتك هذه
وذلك مع ولوع الشمس في يوم أشرفته الأرض وواجهته الجبال « وفي سنن
ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المغافري
عن سايان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله
ولي الله عايبه وسلم: «الاهل مشعر للجنة فان الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة
نوريت لألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء
جميلة، وحال كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في
محلة عالية بهية، تلوا نعم يا رسول الله نحن المشعرون لها، قل قولوا إن شاء الله قال
القوم إن شاء الله »

﴿الباب السادس والثلاثون﴾

(في ذكر غرفها وقصورها ومقاميرها)

قال الله تعالى: «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية» ناخبر
أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لثلاثتهم النفوس أن ذلك تمثيل
وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرف مبنية كالملاهي بعضها فوق بعض حتى
كأنها ينظر إليها عياناً ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أي لهم منازل مرتفعة وفوقها
منازل أرفع منها وقال تعالى: «أولئك يحوزون الغرفة بما صبروا» والغرفة جنس كالجنة
وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله
الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا
بذلك سلام الله وملائكته عليهم . وقال تعالى: «وما أمروا أن يولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
وهم في الغرفات آمنون» وقال تعالى: «يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن» وقال تعالى

عن امرأة فرعون أنها قالت «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» وروى الترمذي في جامعه من حديث عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي بن أبي حمزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقال أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي؟ قال لمن أطعم الناس الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق . وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال حدثني أبو سلام حدثني أبو معاذ الأشعري حدثني أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وقال ابن وهب حدثنا يحيى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام» قال محمد بن عبد الواحد وهو عندي اسناد حسن وذكر أبي مالك فيه يدل على صحته لأن أبا مالك قد رواه واسناده أيضاً حسن وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق» وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمؤمن في الجنة نخيلة من لؤلؤة واحدة مجروفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطرف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله بيتاً في الجنة» وقوله في حديث أبي موسى: «يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم هذه خديجة اقرأها السلام من ربها وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» والقصب هنا قصب اللؤلؤ الخوف، وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لقصرًا من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا ومن أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم» وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلت الجنة فأذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لشاب من قريش فظننت أني أنا هو. فقلت ومن هو؟ قالوا لعمر بن الخطاب» وهو فيهما من حديث جابر ولفظه «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» وقد تقدم وقال ابن أبي الدنيا حدثنا شجاع بن الأشرس أن سمعت عبد العزيز بن أبي سامة الماحشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال قات لجبريل لمن هذا القصر؟ قال لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا فقلت لاي قريش؟ قال لعمر بن الخطاب» وهذا إن كان محفوظًا فبما ضاه نوره واشراقه وضيأؤه والله أعلم. وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته. وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصرًا من ذهب وقصورًا من فضة وقصورًا من لؤلؤ وقصورًا من ياقوت وقصورًا من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لقرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه ماقبها» قيل لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام. قال وما طيب الكلام؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعدات. قيل وما واصل الصيام؟ قال من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه. قيل وما أطعم الطعام؟ قال من قات عياله وأطعمهم. قيل وما أفشى السلام؟ قال مصالحة أخيك وتحيمته. قيل وما الصلاة والناس نيام؟ قال صلاة العشاء الآخرة» قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب فيما أعلم قات هذا يلقب بالكفر بفتح الكاف وسكون الفاء وقد روى عنه محمد بن غالب تمام وعلي ابن حرب وهما نقتان ولكن ضعفه ابن عدي وابن حبان وحديثه هذا له شواهد

والله أعلم وفي فوائد ابن السك حديثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا
أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن
بن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟»
قال قلنا بلى يا رسول الله بآيينا أنت وأمناء. قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر
كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. فيها من النعم واللذات ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت. قال قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال لمن أفشى
السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام. قال قلنا يا رسول الله ومن
يطيق ذلك؟ قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه فقد
أفشى السلام. ومن أطعم أهله وعباله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام.
ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام. ومن صلى صلاة
العشاء الأخيرة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام. اليهود والنصارى والمجوس.
وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده إذا انضم إليه. تقدم استفاد قوة مع
أنه قد روى بأسنادين آخرين

- الباب السابع والثلاثون -

(في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة
وإن لم يروها قبل ذلك)

قال تعالى : (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يغفر الله لهم سيئاتهم ويصلح
بالهم ويدخلكم الجنة عرفها لهم) قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم
لا يخطئون كما أنهم ما كانوا منذ خالقوا لا يستدلون عليها أحداً وقال ابن عباس
في رواية أبي صالح هم أعرف بمنازلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم. وقال
محمد بن كعب يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا
قول جمهور المفسرين والتأخير أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أي أينها لهم حتى
عرفوها من غير استدلال وقل مقاتل ابن حيان بلغنا أن الملوك الموكل بحفظ بني آدم
يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه
الله في الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملوك عنه . وقال سلمة بن
كهيل طرقتهم ومعنى هذا أنه طرقتهم حتى يهتدوا إليها وقال الحسن وصف الله
الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفاتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع

في الدنيا ويكون المني بدخولهم الجنة التي عرفها لهم وعلى القول الاول يكون التعريف واقعاً في الآخرة هذا كله اذا قيل انه من التعريف وفيها قول آخر انه من العرف وهو الرائحة الطيبة وهذا اختيار الزجاج أي دليلها ومنه لعدم معرف أي مطيب وقيل هو من العرف وهو التتابع أي تابع لهم دليلاتها وملاذها والقول هو الاول وانه سبحانه أنزلها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعمده إلى غيره . وفي صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة والذي نفسي بيده ان أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كن في الدنيا » وفي مسند آخر من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة »

❦ الباب الثامن والثلاثون ❦

(في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها)

قد تقدم قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) وذلك تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا اسماعيل بن عبد الله المكي حدثنا أبو عبد الله انه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن أنس عن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال قلت يا رسول الله ما الوجد إلا ركب قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رجال الذهب شرك نالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صنائج الذهب وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشمارهم أبداء يضرربون الحلقة بالصنيجة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتستخفها

المجلة فتبعته قيعها فيفتح له الباب فلولا ان الله عز وجل عرفه نفسه لخر له
ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول أنا قيعك الذى وكنت بأمرك ، فيتبعه
فيقفو أثره فيأتى زوجته فتستخفها المجلة فتخرج من الخيمة فتأمله وتقول
أنت حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً
والخالدة فلا أظعن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على
جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفراء ، منها طريقة
تشاكل صاحبها ، فيأتى الأريكة فاذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون
زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجملديةضى جماعهن في مقدار
ليلة ، تجرى من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار
من عسل ، صفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خر لذة للشاربين لم تعصره
الرجال باقداً منها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فاذا
اشتبهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى
اللون شاءوا ثم تطير فلذهب ، فيها ثمار متداية إذا اشتبهوا الشب (١) الغصن اليهم
فيأكلون من أى الثمار شاءوا ان شاء قنما وان شاء متكئاً ، وذلك قوله عز وجل
(وجنى الجنة دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ ، هذا حديث غريب وفي أسناده ضعف
وفي رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على علي بن ابي النعمان ، محمد بن عمر بن
سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سمدة في هذه
الآية (يرم نحش الممتقين إلى الرحمن وفداً) قال : «أم والله لا يحشر الوفد على أرجاءهم
ولكن يؤقون في بنوق لم تر الخلائق منها ، عليها رجال الذهب ، وأزمعتها الزبرجد
فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة» وقال علي بن الجعد في الجعديات أنبأنا
زهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن ابي اسحاق الذين
اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده
شجرة يخرج من تحت ساقها عيذان تجريان فعمدوا إلى احدهما كأنما أمروا بها
فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس ثم عمدوا إلى الأخرى
فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النسيم فان تغير أباشارهم أو تغير بعدها أبداً
وان تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام
عاليكم طبتهم فدخلوها خالد بن قال ثم تلقاهم الولدان يعطفون بهم كما يعطف ولدان

أهل الدنيا بالحيم يقدم من غيبته، فيقولون ابشري أعد الله لك من الكرامة
 كذا قال ثم يثاق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين
 فيقول قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول
 أنا رأيته وهو ذا بأثرى فيستخف أحداه الفرح حتى تقوم على أسكنة بابها فإذا
 انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جنبد الأولو فوقه صرح أخضر
 وافر وأحمر ومن كل لون ثم رفع رأسه فنظر إلى سقته فإذا مثل البرق فلولا
 أن الله قدره له لآلم أن يذهب بعصره ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب
 مرسومة وغارق مصفوفة وزرابي مبنونة فنظروا إلى تلك النعمة ثم انكأوا
 وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم ينادى
 مناد تحيون فلا تموتن أبداء وتقيمون فلا تظمنون أبداء وتصحون فلا تضررن
 أبداء» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ساجان بن المنيرة عن حميد بن هلال قال
 «ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلى
 حللهم وأرى أزواجه وخدمه ويأخذهم سوار فرح (١) لو كان يذبحني أن يموت لمات
 من سوار فرحه فيقال له أرايت سوار فرحتك هذه فنها قائمة لك أبداء» قال
 ابن المبارك وأخبرنا راشد بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشي عن أبي عبد
 الرحمن الجبلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم
 الأولو» قال ابن المبارك وأنبأنا يحيى بن أيوب حدثني جبير الله بن زحر عن
 محمد بن أبي أيوب الحرزمي عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: «إنه ليصف للرجل
 من أهل الجنة سلطان لا يرى طرفهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال
 أبو نعيم أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: «إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه
 ملك فأخذه في أسكنها فيقول له أنظر ما ترى قال أرى أكثر قصور رأيتهما
 من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك فأن هذا أجمع لك حتى إذا رفع
 إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك ثم يقول امش
 فيقول ماذا ترى فيقول أرى أكثر عما كر رأيتهما من خيام وأكثر أنيس قل
 فأن هذا أجمع لك فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا نحن لك نحن لك وفي الصحيحين من
 حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليدخلن الجنة من

(١) في النهاية أخذ سوار فرح السوار بالضم ديبب الشراب في الرأس أى

دب فيه فيه الشراب . ع

أمتى سبعون ألفاً أو سبع مئة ألف مما سيكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»

(الباب التاسع والثلاثون)

(في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وظواهرهم وعرضهم وما تدار أسنانهم.)
 قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قل له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحويونك فلما تحييتك وتحيمة ذريتك: قل فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذهب فقال من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن» متفق على صحته . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون وعفان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جندب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مردأً أيضاً جماداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع» قيل نفرد به حماد عن علي بن زيد وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مردأً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمود بن خالد ونباس بن الوليد قال حدثنا معمر عن الأوزاعي عن هرون بن رباب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبيت أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرذاً مردأً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفتن شبابهم» وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجاً اب السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» فإن كان هذا محققاً لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم أربعين تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه وهذا معروف في كلامهم وخطاب

غيرهم من الأمم . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أنقاسم بن هشام حدثنا صفوان
ابن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا لاوزاعي عن هارون بن رباب
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة
على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث
والأربعين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد ما حلون . وقال ابن وهب حدثنا معاوية
ابن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن أبي الزاد عن الأعرج عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم
ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سرورهم » وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة
اقمر ليلة البدر وأن الذين يلونهم على ضراء أشد كوكب في السماء أضائة . وأما
الآخلاق فقد قال تعالى : « ونزّلنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين »
فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم وفي الصحيحين « أخلاقهم على خالق رجل واحد
على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء » والرواية على خالق بفتح
الخاء وسكون اللام والآخلاق كما تكون جمعا للخلق بالضم فهي جمع للخلق
بالفتح والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تناوتوا في الحسن والجل
ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء . وأما
أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أول زمرة لمج الجنة »
الحديث وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل
واحد يسبحون الله بكرة وعشية وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم
بأنهن آراب أي في سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب وفي هذا الطول
والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه
أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمور يكون كمال اللذة وقوتها بحيث
يصل في اليوم الواحد إلى مئة عذراء كما سيأتي إن شاء الله تعالى ولا يخفى التناسب
الذي بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأتى الاعتدال
وتناسب الخلقة يصير طولاً مع دقة أو غائظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب والله أعلم

﴿الباب الرابعون﴾

(في ذكر أنبياء أهل الجنة منزلة)

وأدناهم أعلام منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم

درجات وآتيناهم عيسى بن مريم البينات» قال مجاهد وغيره منهم ابن كاهن الله موسى ورفع بعضهم درجات هو محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث الاسراء المتفق على صحته أنه صلى الله عليه وسلم لما جاوز موسى قال رب لم أظن أن أرفع على أحدنا ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى . وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا ثم صلوا على الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبده من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو» فمن سأل عن الوسيلة حات له الشناعة» وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل مجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقول له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أتدنى أن يكون ذلك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضى رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضى رب فقال رب فعلام منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم يسدى وختمت عليهم فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شيبان بن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمته وسرر مسيرة ألف عام وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر غير مرفوع قال ورواه عبد الملك بن أبيجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا ورواه عبد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه» قلت» ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية عن عبد الملك بن أبيجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ما بين سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمته» الحديث . ورواه أبو نعيم عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال اسرائيل لا أعلم ثويرًا إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال

الامام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا
أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة
وفرقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة
ولا أعلمه قال إلا من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر وإنه ليلد أوله كما
يلد آخره ومن الأشربة بثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلد أوله
كما ليد آخره وإنه ليقول يارب لو أذنت لى لاطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص
مما عندي شيء ، وإن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أرواحه
من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » قالت
سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث
منكر يخالف الأحاديث الصحيحة فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعد
صاحبه بقدر ميل من الأرض والذي في الصحيحين في أول زمرة تلج الجنة
لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين فكيف يكون لادنهم اثنتان
وسبعون من الحور العين وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لادنى
أهل الجنة جماعة منهن وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الغضيتين فكيف
يكون أدناهم في الذهبيتين لالدولاني شهر بن حوشب لا يثبت حديثه حديث الناس
وذو ابن عرن بن حوشب شهراً تركوه وقال النسائي وابن عدى ليس بالقوى
وذو أبو حاتم لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد وهذان من أعلم الناس
بالحديث ورواياته وعلمه وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلا ريب أنه
إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم

﴿ الباب الحادى والاربعون ﴾

(فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال : « كنت قائماً عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أخبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته ،
دفعه كاد يصرع منها ، فقال لم تدفعنى أفقلت ألا تقول يا رسول الله ، فقال اليهودى
إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
ابنى محمداً الذى سماني به أهلى ، فقال اليهودى جئت أسألك ، فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم أينفعك بشيء إن حدثتك؟ فقال استمع بأذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود معه فقال سل؟ فقال اليهودي إن تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النظمة دون الجسر؟ قال فن أول الناس اجازة يوم القيامة؟ قال فقراء المهاجرين؟ قال اليهودي فما تحفة لهم حين يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النور؟ قال فما غذاؤهم على أثرها؟ قال ينحروهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها؟ قال فما شراهم؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيل؟ قال صدقت. قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلا؟ قال أينفعك إن حدثتك؟ قال أسمعتك بأذني؟ قال جئت أسألك عن الولد؟ قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعوا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، ومن علامتي المرأة منى الرجل أننا بإذن الله تعالى؟ قال اليهودي لقد صدقت وانك لني، ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألتني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به. وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في أرض يخرنف (١) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتني سائلك من ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول أشرط الساعة؟ ما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني من جبريل آتيا؟ قال جبريل؟ قال نعم، لذلك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع، قال تشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم ان يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال أفرايتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا شربنا وابن شربنا وانتقصوه، فقال هذا الذي كنت أخاف يا رسول

(١) يخرنف يجتني الثمر من الخرف وهو حائط النخل . ع

الله « وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر لاهل الجنة تأتي رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم الا أخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى ، قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال الا أخبرك بادامهم؟ قال بلى : قال ادامهم بالأدم والنون (١) قال وما هذا؟ قال ثور ونوزياً كل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً » وقال عبد الله بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب ان أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعباً يقول : « ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ادخلوها ان لكل ضيف جزوراً وانى أجزركم اليوم فيأتى بشوروحوت فيجزر لاهل الجنة »

باب الثاني والاربعون

(في ذكر ربح الجنة ومن مسيرة كم ينشق)

قال الطبراني حدثنا موسى بن حازم الاصبهاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قتل شهيداً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة مائتا عام » ورواه البخاري في الصحيح عن قيس بن خنص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو عن أنس بن مالك عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة وقال « ليوجد من مسيرة أربعين عام » وقال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي بن سليمان هو البصري عن ابن جبران عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » قال وفي الباب عن أبي بكرة وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد واسناده عندي على شرط الصحيح « قلت » وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس عن عوف الاعرابي عن محمد بن

سبرين عن أبي هريرة يرفعه «من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة .
وان ربح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وقال الطبراني حدثنا اسحق بن
اراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رياح الجنة يوجد من مسيرة
مائة عام» وهذه الالفاظ لا تعارض بينها بوجه وقد أخرجنا في الصحيحين من
حديث أنس قال: «لم يشهد عمي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأ قل فشق
عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فان أراني الله
مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أضع قل فهاب
أن يقول غيرها» قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال
فاستقبل سعد بن معاذ فقل له ابن؟ فقال واهل لرياح الجنة أجده دون أحد
قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة
ورمية. فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر فما عرفت أخى إلا بيناته ونزلت هذه
الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قل فكانوا يرون أنها
نزلت فيه وفي أصحابه» ورياح الجنة نوعان ريح يوجد في الدنيا تشمه الارواح
أحياناً لا تدركه العباد وريح يدرك بحاسة الشم للابدان كما تشم روائح الازهار
وغیرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد وأما في الدنيا
فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجدته أنس بن النضر
يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الاول والله أعلم . وقال أبو نعیم
حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث
أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هرون بن رباب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام»
وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن
طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد
ابن علي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رياح الجنة يوجد من
مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا ناطع رحم وقال أبو داود الطيالسي في
مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن

ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وقد أشهد الله سبحانه عبادَه في هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهية والمناظر البهية وانما كفة الحسنة والنعيم والسرور وقرّة العين ، وقد روى أبو نعيم من حديث الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل للجنة طيبى لأهلك فتزداد طيباً فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة قل تعالى في هذه النار نحن جعلناها تذكرة» وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرونها والله المستعان

* (الباب الثالث والأربعون) *

(فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبي سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «قال ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وان لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تأسكم الجنة أو تنعموا بما كنتم تعملون) قال عثمان بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبى اسحق عن الاغر عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «(ونودوا أن تأسكم الجنة أو تنعموا بما كنتم تعملون) قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً واخذلوا فلا تموتوا أبداً وانعموا فلا تبأسوا أبداً» وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اذ دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا فيه ولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم من النظر اليه» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا أبو بكر الالهاني أخبرني أبو تميم الهجيمي قال سمعت أبا موسى الاشعري يخطب على منبر البصرة يقول: «ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل

أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا ما وعدنا قالوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقى شيء: ان الله يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ؟ قالوا ربنا وإى شيء أفضل من ذلك ، قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً» ومن تراجم البخارى عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة وسياقنى فى هذا أحاديث تذكرها فى باب معقود لذلك ان شاء الله . وفى الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت، كل خالد فيما هو فيه» وهذا الاذان وان كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل اليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة اليها وذلك فى مقدار يوم الجمعة كما سياقنى مبيناً فى باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم

❦ الباب الرابع والاربعون ❦

(فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها)

قل تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطالح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وقال تعالى (ذواتا أفنان) وهو جمع فنان وهو الغصن وقال (فيهما فاكهة ونخل ورمان) والمخضود الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع فلا شوك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الاحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بمحبتين (أحدهما) ان الخضد فى اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته: وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد

على مثال الثمر وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض
وساب: والخضاد شجر رخو لاشوك فيه (الحجة الثانية) قال ابن أبي داود
حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ثور
ابن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال: «كنت جالسا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في
الجنة شجرة لا أتعلم شجرة أكثر شوكا منها يعني الطاح: فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله جعل مكان كل شوك ثمرة مثل خصوة التيس الملبود (١)
فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذي قد اجتمع شعره
بعضه على بعض وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن
عامر قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله لينفعا
بالأعراب ومسائهم: أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة
شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما هي؟ قال السدر فأذن له شوكا مؤذيا: قال أليس الله يقول في
سدر مخضود؟ الخضد الله شوكة فجعل مكان كل شوك ثمرة» وقالت طائفة
المخضود هو الموقر حملا وأنكر عليهم هذا القول وقالوا لا يعرف في اللغة الخضد
بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح
وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكة وأذهب وجعل مكان
كل شوك ثمرة أو قرت بالحل والحديثان المذكوران يجمعان القولين وكذلك
قول من قال المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه
فسره بلازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة
وفردا من أفراد تارة، ومثالا من أمثله فيحكيها أجماعون للفت والسمين أقوالا
مختلفة ولا اختلاف بينها

(فصل)

وأما الطاح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز قال مجاهد أعجبهم

(١) في النهاية خصوة التيس الملبود أي المكتنز اللحم الذي يؤم بعضه
بعضا فتلبد: اه قال شمر لم نسمع واحدا الخصى إلا خصية بالياء لأن أصله
من الياء كذا في اللسان في مادة خ ص ي ولم يتعرض له صاحب النهاية اه

طلح وج وحسنه فقليل لهم «وطلح منضود» وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري . وقلت مائة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم

بشرها دليلها وقالوا غدا ترين الطلح والجبالا
ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل وقد نضد بالحل والتمر مكان الشوك .
وقال ابن قتيبة هو الذي نضد بالحل أو بالورق والحل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخذود وقال الليث الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاء شوكا وأصلبه عوداً واجوده صمغاً . قال أبو اسحاق يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لأن له نورا طيب الرائحة حذاً فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الاسامي والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التعميل به لحسن نضده والا فطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤا إن شئتم وظل ممدود» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» قال أبو حازم حدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقل حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحак سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة جنة الخلد» وقال وكيع حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤا إن شئتم وظل ممدود» فبلغ ذلك كعباً فقال صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلاً ركب

جذعة أو جذعاً ثم دار بادل تلك الشجرة مائة عام ما باعها حتى يسقط هرما
 ان الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر
 الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا ابراهيم
 عن سعيد الجوهري حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة
 ابن وهبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود شجرة في الجنة على
 ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها فيخرج اليها
 أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها قال فيشتهي بعضهم ويذكره
 الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا»
 وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: «ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب» قال هذا حديث
 حسن . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله
 أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 اقرؤا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)
 وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم (وظل
 ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا ان شئتم (فمن زحزح
 عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)» رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي
 وابن ماجه وصدره في الصحيحين . وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن
 مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة لشجرة يسير الراكب
 في ظلها مائة عام لا يقطعها وان شئتم فاقرؤا وظل ممدود وماء مسكوب» وقال
 ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث ان دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن
 أبي سعيد الخدري قال: «قال رجل يا رسول الله ما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة
 مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمها» وقد رواه عنه حرمله بزيادة وقال
 أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي
 سعيد الخدري «ان رجلاً قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك؟ فقال طوبى
 لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني؟ فقال
 رجل يا رسول الله وما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل
 الجنة تخرج من أكمها» (قلت) وأول هذا الحديث في المسند واللفظه «طوبى لمن
 رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات» وقال ابن المبارك

حدثنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرها ذهب أحمر (١) أو سمعها كسوة لاهل الجنة منها مقطعة منهم وحللهم وثمرها مثل القلال والدلاء أشد بياضاً من لبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم» وقال الامام أحمد بن حنبل عن بحر حدثنا هشام ابن يوسف حدثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البجلي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الخوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة أقول نعم وفيها شجرة تدعى طوبى فقد كر شيئاً لا أدري ما هو؟ فقال أي شجرة أرضنا تشبهه؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت الشام؟ قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينتشر أعلاها؟ قال ما عظم أصلها؟ قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر تر قوتها هراماً؟ قال فيها عنب؟ قال نعم قال فما عظم العنقود؟ قال مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يلتصق؟ قال فما عظم الحبة؟ قال هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيم؟ قال نعم قال فساخ إهابه وعظامك وقال لها اتخذى لنا منه دلو؟ قال نعم؟ قال الأعرابي فان تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي؟ قال نعم ونامة عثرتك؟ قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد وابن اسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذ كر سدرة المنتهى فقال يسير في ظل الذين منها الراكب مائة سنة، أو قال يستظل في الفتن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها اقلال» ورواه الترمذي وقال شك يحيى وهو حديث حسن غريب. وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «أرض الجنة من ورق وتراها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورد والتمر تحت ذلك فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذوه ومن أكل مضطجاً لم يؤذه وذات قطوفها تذليل» وقال أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: «نزلنا الصناح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال

(١) في النهاية كربها ذهب هو بالتجريك أصل السعف وقيل ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراق اهـ

فقلت للغلام انطلق بهذا النظم فظنه قال فانطلق فأظنه قل استيقظ اذا هو سلمان
ذمته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة
يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا أدري، قل ظلم الناس بينهم
ثم أخذ عريداً لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال يا جرير إذا دلت مثل هذا في
الجنة لم تجده، قلت يا عبد الله فاين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب
وأعلاها الثمر»

﴿الباب الخامس والأربعون﴾

(في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به
متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة) وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل أى شبيهه
ونظيره لأعينه، هل المراد هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الثمرات والثمار
أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة؟ قيل فيه قولان في تفسير السدي عن أبي
مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرات في الجنة فلما
نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا قال مجاهد ما شبهه به وقال
ابن زيد هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وقال
آخرون هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهاة
بعضه بعضاً في اللون والطعم. واحتج أصحاب هذا القول بحجج (أحداها)
أن المشابهة التي بين ثمار الجنة وبعضها البعض أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا
ولشدة المشابهة قالوا هذا هو (الحجة الثانية) ما حكاه ابن جرير عنهم قال ومن علة
قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان
حدثنا ابن بشار حدثنا بن مهدي حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن
أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى (الحجة الثالثة)
قوله وأتوا به متشابهاً وهذا كالتعادل والسبب الموجب لقولهم هذا الذي
رزقنا من قبل (الحجة الرابعة) أن من المعلوم أنه ليس كل مافي الجنة من الثمار
قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت

طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوده قول ابن جرير
والذى يحقق صحة قول القائلين ان معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا
ان الله جل ثناؤه قال (كلوا رزقوا منها من ثمرة رزقا) يتولون هذا الذى رزقنا
من قبل ولم يخص ان ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض فاذا كان قد أخبر جل
ذكره عنهم ان ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك ان ذلك من قياهم فى أول
رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم
يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فاذا كان لا شك ان ذلك من قيلهم فى أوله كما هو
من قيلهم فى وسطه وما يتلوه فمعلوم انه محال ان يقولوا لأول رزق رزقوه
من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز ان
يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا
من قبل الا ان ينسبهم ذوغية وضلال الى قبل الكذب الذى قد طهرهم الله منه
أو يدفع دافع ان يكون ذلك من قياهم الاول رزق رزقونه من ثمارها فيدفع
صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك فى حل من أحوالهم
دون حال فقد تبين ان معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة
قلوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قلت أصحاب القول الاول يخصون
هذا العام بما عدا الرزق الاول لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا بيدع
من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات
(أحدها) ان كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا لا يقال فيها
ذلك (الثانى) ان كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى
الجنة (الثالث) انه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا انقول أبد الآباد كلما
أكلوا ثمرة واحدة قلوا هذا الذى رزقنا فى الدنيا ويستمرون على هذا الكلام
دائما إلى غير نهاية والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعنى بهم من
نعيمهم ولذتهم وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب ومعناه
انه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض
لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك
بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا فهذا
وجه قولهم ولا يلزم مخالفة مانصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة الى
الكذب بوجه ، والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله

أعلم . وأما قوله عز وجل : « وأتوا به متشابهها » قال الحسن خيار كاه لارذل ألم
 أتوا إلى ثمر الدنيا كيف تستردلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل
 وقال قتادة : خيار لارذل فيه فأن ثمار الدنيا ينتمى منها ويرذل منها
 وكذلك قال ابن جريج وجماعة: وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .
 وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم متشابهها في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم قال مجاهد
 متشابهها لونه مختلفا طعمه وكذا قال الربيع بن أنس وقال يحيى بن أبي كثير
 «عشب الجنة الزعفران وكشبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها
 ثم يأتونهم غلما فيقولون هذا الذي جئتمونا به آفءاء فيقول لهم الخدم كلوا فإن
 اللون واحد والطعم مختلف فهو قوله عز وجل كلوا من ثمره رزقا
 قلوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهها » وقالت طائفة وناس معنى الآية
 أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب قل ابن وهب قل عبد الرحمن
 ابن زيد يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قلوا في
 الجنة هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهها يعرفونه وليس هو مثله في الطعم
 واختار ابن جرير هذا القول قال ودليانا على فساد قول من قال ان معنى الآية
 هذا الذي رزقنا من قبل أى في الجنة وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي
 الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله وأتوا به متشابهها ان الله
 سبحانه وتعالى اخبر عن المعنى الذى من اجله قل القوم هذا الذى رزقنا من قبل
 وأتوا به متشابهها «قات» وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال : «جنات عدن
 مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» وقال تعالى
 «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها وقال
 تعالى «وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة» وقال
 تعالى «وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة» أى لا تكون في وقت دين وقت ولا تمنع
 ممن أرادها : «وقال فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية» وانقطوف جمع
 قطف وهو ما يقطف ، والقطف بالفتح الفعل أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها
 فيأخذها كيف يشاء قال البراء بن عازب يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى
 : «ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا» قال ابن عباس اذا هم أن يتناول من
 ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره قريب اليهم مذلة كيف شاؤا

فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين فيكون كقوله قطفوها دانية ومعنى
تذليل القطف تسهيل تناوله. وأهل المدينة يقولون ذلل النخل أى سوه عروقها
وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها. وفي نصب دانية وجه ز (أحدها) أنه على
الحال عطفاً على قوله متكئين و (الثاني) أنه صنعة الجنة وقول تعالى: «فبيها من كل فاكهة
زوجان» وفي الجنة الآخرين «فيها فاكهة ونخل ورمان» وخص النخل والرمان
من بين الفاكهة بالذكر لنظامها وشرفها كما نص على حدائق النخل
والاعناب (١) في سورة النبأ إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها
وقد قال تعالى: «ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» وقال الطبراني حدثنا
معاذ بن المنثري حدثنا علي بن المديني حدثنا ربحان بن سعيد عن عبادة بن منصور
عن أيوب عن أبي قلابة عن اسماعيل عن ثريان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» وقال عبد
الله بن الإمام أحمد حدثني عتبة بن مكرم العمي حدثنا ربعي بن إبراهيم بن
عالية حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: «أهبط الله آدم من الجنة عالية السلام وعلمه صنعة كل شيء وزوده
من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير» وقد تقدم
أن سدرة المنتهى نبتها مثل القلال . وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير
عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناوات منها
قطفاً أخذته» وفي لفظ «فتناولت منها قطناً فقصرت عنه يدي» وقال أبو خيثمة
حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينما
نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول
شيئاً ليأخذ به ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت
اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تفعله؟ قال إنه عرضت على الجنة وما فيها من
الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من غيب لا آتيكم به لحيل بيني وبينه ولو
أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» وقال ابن المبارك
أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمر الجنة أمثال
القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه
صجم» وقال سعيد بن منصور حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن
(١) لعله في سورة المؤمنين . «وأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب» الآية

تأرب قال: «ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال شاؤوا» وقال البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن الفرّج الحمصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك الممافرى عن سابان بن موسى قال حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا مشعر للجنة فإن الجنة لا حنار لها، هى ورب السكبة نور يتلألأ، وريحانة تهتر، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمررة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحنل كثيرة فى مقام أبدا فى دار سائمة، وفاكمة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية، قولوا نعم يا رسول الله نحن المشعرون لها، قولوا ان شاء الله قل القوم ان شاء الله» قال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا أسامة ولا نعلم له ماريقاً عن أسامة الا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك الممافرى الا هذا الرجل محمد بن مهاجر وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره «قلت يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة؟ قال على أنهار من غسل مصفى، وأنهار من كاس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وبفاكمة لعمر الله مما يعامون وخير من مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة» قال الحسن وأبو العالية هو ريحاننا هذا يؤتى بنصن من ريحان الجنة فنشمه

— الباب السادس والاربعون —

(فى زرع الجنة)

قال تعالى : « وفيها ما تشتهيه الانفس وتاذا الادين » وعن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له أولست فيما اشتيت؟ فقال بلى ولكنى أحب ان ازرع فأسرع، وبذر فبادر الطرف نباته واستوائه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شىء » فقال الاعرابى يا رسول الله لا نجد هذا الا قرشياً أو أنصاريًا فانهم اصحاب زرع فلما نحن فلسنا باصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضاً » هذا يدل على أن فى

الجنة زرعاً وذلك البذر منه وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع فن قيل فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فاخبره أنه في غنية عنه قيل لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفى مؤونته ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم .
وروى إبراهيم بن الحارث عن أبيه عن عكرمة قال « بينما رجل في الجنة فقال في نفسه لو أن الله يأذن لي لزرعت ، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون سلام عليكم يقول لك ربك تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم فن ابن آدم لا يشبع » والله أعلم

— الباب السابع والأربعون —

(في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجرى عليه)
وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى « جنات تجري من تحتها الأنهار » وفي موضع « تجري تحتها الأنهار » وفي موضع « تجري من تحتهم الأنهار » وهذا يدل على أمور (أحدها) وجود الأنهار فيها حقيقة (الثاني) أنها جارية لا واقفة (الثالث) أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعمود في أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال « ألم يروا كم أهلكنا من قباهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم » فهذا على ما هو المعمود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون « وهذه الأنهار تجري من تحتي » وقال تعالى « فيها عينان نضاختان » قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يمان عن شعيب عن جعفر بن سميد قال « نضاختان بالماء والنواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال « نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا » وحدثنا

عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء قل اللتان تجريان أفضل من
النضاختين أو قل تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى
ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» فذكر سبحانه هذه الاجناس الاربعة
ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن
من طول مكثه. وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً وآفة
الحمر كراهة مذاقها المذاق في اللذة شربها وآفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات
الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا باجرائها ويجريها
في غير أخلود وينفى عنها الآفات التي تمنع كاللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع
آفات خمر الدنيا من السداع والغول واللغو والانزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات
من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشاربها ذلك
الابللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس
من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة
وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنات والاخت وذوات المحارم
وتذهب النيرة وترث الخزي والندامة والتضيعة وتلحق شاربها بانقراض نزع
الانسان وهم الجبانين وتسلمه أحسن الاسماء والسمات وتكسوه أقيح الاسماء
والصفات وتهل قتل النفس وافشاء السر الذي في افشاءه مضرته أو هلاكه
ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته وتهتك
الاستر وتظهر الاسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم
وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب
وانقرت من غنى، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسابت من نعمة
وجابت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته
فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت
في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت
من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من
سنة فهي جماع الاثم ومفتاح الشر وسلاية النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من
رذائها الا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال: «من شرب الحمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» لكفى. وآفات
الحمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة فان قيل فقد وصف

سبحانه الانهار بأنها جارية ومعلم أن الماء الجارى لا يأسن فما وثدة قوله غير اسن قيل الماء الجارى وان كان لا يأسن فانه إذا أخذ منه شئ يودل مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال. وتأمل اجتماع هذه الانهار الاربعة التى هى أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وظهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم

﴿فصل﴾

وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة الى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن؟ ومنه تنفجر أنهار الجنة» وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولنظ حديث عبادة «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الانهار الاربعة والعرش فوقها فان سألتهم الله فاسألوه الفردوس الاعلى» وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تنفجر أنهار الجنة» وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رفعت الى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفى صحيحه أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الأولئ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر». وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربي عز وجل» وقال محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام الأولئ، فضربت

(م - ٩ - حادى الارواح)

يدى الى ما يجري فيه من الماء فاذا أنا بمسك أذفر: فقلت لمن هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل» قال الترمذى: حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجره على الدر والياقوت، تربته اطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج» قال هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضل حدثنا أبو جعفر هو الرازي حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد (أنا أعطيناك الكوثر) قال الخیر الكثير وقال أنس بن مالك: نهر فى الجنة وقالت عائشة هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر: وهذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل أصبعيه فى أذنيه: وفى جامع الترمذى من حديث الحريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الانهار بعد» قال هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قره عن عبد الله بن سمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، ومن سره أن يكسبه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحمله الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا» وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك» وهذا موقوف صحيح وذكر ابن مردويه فى مسنده حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه الانهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا». وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيدة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الحريري عن معاوية بن قره عن أنس بن مالك قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة اخذود فى الارض؟ لا والله أنها لم تفتح على وجه الارض احدى حافتيها الأولو والاخرى الياقوت، وطينها

المسك الاذفر ؛ قل قلت ما الاذفر ؟ قل الذي لا خاط له » ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا مهدي ابن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رواه مرفوعا وقل أبو خيثمة حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (انا أعطيناك الكوثر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فاذا هو يجري ولم يشق شقاء ، واذا حافتاه قباب الأولاء فضربت يدي الى تربته فاذا مسك اذفر واذا احصياؤه الأولاء » وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى : « وماء مسكوب » قل أنهار تجري في غير أخذود قال « ونخل ظلعها ضيم » قل من أصابها الى فروعها أو كلمة نحوها . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيجان وجيجان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيجون وهو نهر الهند ، وجيجون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهران العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم فاستودعها الجبال وأجرأها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم ، فذلك قوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض) وانا على ذهاب به لقادرون) فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فرفع ذلك كله الى السماء ، فذلك قوله تعالى (وانا على ذهاب به لقادرون) فاذا رفعت هذه الاشياء من الأرض فقد حرم أهلها خيري الدنيا والآخرة » ورواه أحمد بن عدي في ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وبالجملة فهو من الضعفاء قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال أبو حاتم لا تستعمل به . وقال عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أبي أيوب

عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهرا يقال له البيدج عليه قباب من ياقوت تحته جوار يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فاذا أعجب رجلا منهم جارية من معصمها فتتبعه»

﴿فصل﴾

وأما العيون فقد قال تعالى: «ان المتقين في جنات وعيون» وقال تعالى: «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيра» قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حينما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله يشرب بها فقال الكوفيون الباء بمعنى من أى يشرب منها وقال آخرون بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها أى يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما نقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هذا التضمن قوله تعالى: «ومن يرد فيه بالحماذ بظلم» ضمن معنى بهم فعدى تعديته وقال تعالى: «ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا» فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الابرار يمزج منها لان أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: «ان الابرار لفي نعم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» وهما مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون» فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها، فان فى الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ومجيئ أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى: كمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها فان شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيئ، الزنجبيل بعده فيعدل له، والظاهر ان الكأس الثانية غير الاولى وانهما نوعان لذيان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور و(الثاني) مزج بزنجبيل

وأيضاً فإنه سبحانه أخبر بن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والايثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو ما أوجبه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال «وجزائهم بما صبروا جنة وحريراً» فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا جال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الاسلام وبواطنهم بحقائق الايمان، ونظيره قوله في آخر السورة «عاليمهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة» فهذه زينة الظاهر ثم قال «وسقاهم ربهم شراباً طهوراً» فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظيره قوله تعالى لا يهيم آدم عليه السلام: «إن لك أن لا تنجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضجى» فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضجى ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سواآتهم ويزين ظواهرهم ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف «فذلكن الذي لمتني فيه» فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير في القرآن لمتأماه

— الباب الثامن والأربعون —

(في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قل تعالى : «ان المتقين في ظلال وعيون، وفواكه مما يشتهون، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» وقال تعالى : «فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه، انى ظننت انى ملاق حسابه، فهو فى عيشة راضية، فى جنة عالية قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية» وقال تعالى : «واتلك

الجنة التي أورتهموها بما كنتم تعملون: لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» وقال تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها» وقال تعالى: «وأمددناهم بغاكة ولحم مما يشتهون: يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم» وقال تعالى: «يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك» وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون. طعامهم ذلك جشاء كريج المسك، ياهمون التسبيح والتكبير كما تاهمون النفس» ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه «قلوا فإبال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك ياهمون التسبيح والحمد» وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة ابن عتبة عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة» قال فان الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه» ورواه الحاكم في صحيحه وانظره «أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وسو يقول لأصحابه إن أقر لي بهذا خصمته» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودي فان الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر» وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا» وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله ابن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبي سعيد الخدري «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة» وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا إبراهيم بن منقذ حدثنا إدريس

ابن يحيى حدثني الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة طيرا أمثال البخاتي فقل أبو بكر انها لناعمة يارسول الله» قل أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر» قال الحاكم وأنبأنا الأصبم حدثنا يحيى بن أبي طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: «ولحم طير مما يشتهون» قل ذكر لنا ان أبا بكر» قل «يارسول الله اني لأرى طير الجنة ناعمة كما ان أهلها ناعمون» قال من يأكلها أنعم منها وانها أمثال البخاتي واني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر وبهذا الاسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: «يطاف عليهم بحفاف من ذهب وأكواب» قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة منها فيها لون ليس في الاخرى» وقال الدراوردي حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضا من اللبن» وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال عمر بن الخطاب انها يارسول الله لناعمة» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها» تابعه ابراهيم بن سعيد عن ابن أخي ابن شهاب وقال فقال أبو بكر بدل عمر. وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا عبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى «وكأس من معين» يقول الخمر لافيه اغول يقول ليس فيها صداع وفي قوله تعالى «ولا هم عنها يزفون» يقول لا تذهب عقولهم وقوله تعالى «وكأسا دهاقا» يقول ممتلئة وقوله «رحيق مختوم» يقول الخمر ختم بالمسك وقل علقمة عن ابن مسعود: (ختامه مسك) قال خلطه وليس بخاتم ثم يختم فأت يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى «ختامه مسك» فقراؤها (خاتمه مسك) فقال لي ليست خاتمه ولكن اقراه (ختامه مسك) قال علقمة ختامه خلطه ألم تر أن المرأة من نسائك تقول للطيب ان خلطه من مسك لكذا وكذا» وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق الرحيق الخمر المختوم يجدون

حاقبتها طعم المسك وبهذا الاسناد عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى «ومزاجه من تسنيم» قال تمزج لاصحاب اليمين وإشربها المقربون صرفاً وكذلك قال ابن عباس يشرب منها المقربون صرفاً وتمزج لمن دونهم وقال مجاهد ختامه مسك يقول طائفة وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدردى وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله (ختامه مسك) قال هو شراب أبيض مثل النضة يخمون به آخر شرايبهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . قال آدم وحدثنا أبو شيبه عن عطاء قال «التسنيم» اسم العين التي تمزج بها الخمر . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وكأساً دهاقاً) قال هي المتتابعة الممتلئة قال وربما سمعت العباس يقول اسقنا وادهق لنا وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: «ان الارار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً» وعلى قوله «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً» فتألت فرقة سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل وسببيل منصوب على المفعول أى سل سببيلاً اليها وليس هذا بشيء وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا وهذا من الاشتقاق الأكبر، وقال مجاهد سلسلة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية والمقابلان تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها، وقال آخرون معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو اسحاق سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة فسميت العين بذلك وقال ابن الأنبارى الصواب فى سلسبيل انه صفة للماء وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين (احدهما) ان سلسبيلاً مصروف ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية (الثانية) أن ابن عباس قال معناه أنها تنسل فى خلوقهم انسلالاً، «قلت» ولا حاجة له فى واحدة منهما، أما الصرف فلاقتضاء رؤس الآى له كمنظائره، وأما قول ابن عباس فانما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاطة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الاشربة من

الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فأن قيل فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ«كن» وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به إليهم والصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لانضاجه واصلاحه كما قدر هناك أسبابا لانضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قل: «بجامرهم الآلوة» و(الجامر) جمع مجمر وهو البخور الذي يتبخر باحراقه و(الآلوة) العود المطري فاخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون باحراقه لتسطع لهم رائحته وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا وظلال لا بد أن تفىء مما يقابلها فقال: «هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون» وقال: «ان المتقين في ظلال وعيون» وقال: «وندخاها ظلا ظليلا» فالاطعمة والحنوى والتجمر تستدعى أسبابا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذى يفيض من جلودهم، فهذا سبب اخراجه وذاك سبب انضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها قرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلق في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولاكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم والا فليمت قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب آخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا باهون عليه من ذلك ولعل النشأة الاولى التى أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمباشرة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تآمها اللبيب ولعل اخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من اخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها، ولعل اخراج هذه الاشربة التى هى غذاء

ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قىء ذباب أعجب من اجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل اخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من انشائها هناك من أسباب أخر، ولعل اخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحر والصفر أحكم بناء أعجب من اخراجه من أكام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والارض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيتته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والالهية، ثم وزن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها وتجدها من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدا لقوم لا يؤمنون

﴿الباب التاسع والاربعون﴾

(في ذكر آياتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها)
 قال تعالى: «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» فالصحاف جمع صحيفة ذل الكابي بقصاع من ذهب وقال الليث الصحيفة قصعة مسانطحة عريضة، الجمع صحاف، قال الأعشى

والمكايك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال
 وأما الاكواب فجمع كوب، قال الفراء الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد لعدي

متصكنا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب
 وقال أبو عبيد الاكواب الابريق التي لا خراطيم لها قال أبو اسحاق واحدها كوب وهو اناء مستدير لاعروة له، وقال ابن عباس هي الابريق التي ليست لها آذان، وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى، وقال البخاري في صحيحه الاكواب الابريق التي لها خراطيم وقال تعالى «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين» الابريق هي الاكواب التي لها خراطيم فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب، وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل ما كان على

شكله ابريقا وان لم يكن صافيا: وأباريق الجنة من انقضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها والعرب تسمى السيف ابريقا لبريق لونه، ومنه قول ابن أحرر

تعلقت ابريقا وعلقت جفنه ليهالك حيا ذا زهاء وحامل

وفي نوادر الحياتي امرأة ابريق اذا كانت برافة، وقال تعالى «يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا» فلقوارير هي الزجاج فاخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال (قوارير من فضة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسكبي والشعبي: قوارير الجنة من انقضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال ابن قتيبة كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها يخالف لما في الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فاعلمنا الله أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة وهذا كقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة: «ومن» وهنا لبيان الجنس كما تقول خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة ولعله أشكل عليه ككونها من فضة وهي قوارير وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه. وقوله (قدروها تقديرا) التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصانع هذه الآنية على قدرهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ في لذة الشارب فلو نقص عن ربه لنقص التذاده ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامة من الباقي هذا قول جماعة من المفسرين: قال الفراء قدروا الكأس على قدر ربي أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ربه وهو ألد الشراب. وقال الزجاج جعلوا الاناء على قدر ما يحتاجون اليه ويريدونه. وقال أبو عبيد يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها ثم يسقون يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة

كما تقدم، وقالت طائفة الضمير يعود على الشاربين أى قدروا فى أنفسهم شيئاً
 فجاءهم الامر بحسب ما قدرود وأرادوه، ووقول الجمهور أحسن وأبلغ وهو مستلزم
 لهذا القول والله أعلم * وأما الكأس فقال أبو عبيدة هو الأناء بما فيه وقال
 أبو اسحاق الكأس الأناء إذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل أناء مع شرابه
 والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والسكبي ومقاتل؟ حتى قال
 الضحاك كل كأس فى القرآن فالأنا عنى به الخمر وهذا نظر منهم الى المعنى والمقصود
 فان المقصود ما فى الكأس لا الأناء نفسه . وأيضاً فان من الاسماء ما يكون اسماً
 للحال والحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فان النهر اسم للماء والحل معاً
 ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجىء لفظ القرية مراداً
 به الساكن فقط والمسكن فقط والامران معاً وقد أخرجنا فى الصحيحين من
 حديث أبى موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « جنتان من ذهب
 آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن
 ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » وفيهما أيضاً من
 حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أول زمرة يدخلون
 الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء
 اضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتشطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب
 ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خاق رجل
 واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء » وفى الصحيحين
 من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تشربوا فى آنية
 الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » وقال
 أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت
 قال قال أنس: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل
 الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أثبتى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه
 فأنته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنى آتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت
 الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان
 فسمت اثنى عشر رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل
 ذلك فجئ بهم عليهم ثياب طلس (١) تشخب أوداجهم فقبل اذهبوا بهم الى نهر

البيدخ أو البيدح فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فاتوا بصحفة من ذهب فيها بسرفا كلوا من ذلك البسر ما شاؤوا فما يقبلونها من وجهه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال قصي رؤياك فقصتها وجعات تقول جئ بفلان وفلان كقول «رواه الامام أحمد في مسنده بنحوه واسناده على شرط مسلم

﴿الباب الخمسون﴾

(في ذكر لباسهم وحليهم ومنادياتهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمازهم ووزرايهم)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضراءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَكَئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ قال جماعة من المفسرين السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الأخضر وألبن اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف في المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من الساف والخلف أنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس أو أوم قوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) فمن العام المخصوص وقال الجمهور وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لما منع وقد دل النص والاجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسامين وشفاعة من يأذن الله في الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه فهذا الحديث نظير الحديث الآخر من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة . وقال تعالى: «وجزاهم بما

صبروا جنة وحريرا» وقال: «عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق» وتأمل ما دلت عليه لفظة «عاليهم» من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجعل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال . وقد اختلف القراء السبعة فى نصب «عاليهم» ورفع على قراءتين واختلاف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين واختلاف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف فان عاليا لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه ، قال أبو نى وهذا الوجه أبين وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفاً كما كان قوله والركب أسفل منكم كذلك وكما قلوا هو ناحية من الدار ، وإنما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا افراد عال وجمع الثياب لأن فاعلاً قد يراد به الكثرة كما قال

ألا ان جيرانى العشية رانح دعتهم دواعى من هوى ومناوح

وقال تعالى: «مستكبرين به سامراً تهجرون» ومن رفع خضر أجراء صفة للثياب وهو الاقيس من وجوه . (أحدها) المطابقة بينهما فى الجمع . (الثانى) موافقته لقوله تعالى «ويلبسون ثياباً خضراً» (الثالث) تخاصمه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراء صفة للسندس على ارادة الجنس كما يقال أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، وترجح القراءة الأولى بوجه رابع ايضاً وهو أن العرب تجىء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: «الذى جعل لكم من الشجر الا خضر نارا» وكقوله «كانهم أعجاز نخل منقعر» فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فافراد صفة الواحد وان كن فى معنى الجمع أولى . وفى استبرق قراءتان الرفع عطفاً على ثياب والجرج عطفاً على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً فجعل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالاساور ، والابدان بثياب الحرير . وقال تعالى ، «ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من

ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير» واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وبينه أن أحدهما أنه عطف على موضع قوله من أساور والثاني أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أي ويحملون لؤلؤا ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تدون الأساور مركبة من الأمرين مع الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد . قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن رزق حدثنا يزيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «إن لله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلل أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلل أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلل أهل الجنة» حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري . حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحللى في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدأ سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن بن أبي هريرة قال إن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلل أهل الجنة فقال: «مسورون بالذهب والنضة مكملون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب مرد مكملون» وقد أخرج في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ ابطة فقلت يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فروخ أتم ههنا؛ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء» سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف . وأما قوله (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي مسند الامام أحمد في هذا الحديث قال
نعم فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل، من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول هذه
اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ فإن الغرة لا تكون في اليد
لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك
غرة . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من
يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة مالا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» . وقوله لا تبلى ثيابه الظاهر أن المراد به
الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما
أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر والله أعلم . قال الامام
أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح حدثنا العلاء
ابن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: «جاء عرابي
حرمي فقال يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة؟ اليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم
إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسيرا ثم قال ابن السائل؟ فقال هاهو ذا يا رسول الله ، قال
الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم
انت مهاجروا ن مت بالحضر، فقام آخر فقال يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل
الجنة إن تخاق خاقا أم تنسج نسجا، قال فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: تضعحكون من جاهل يسأل علما!!! فاستأثرت النبي صلى الله عليه وسلم
ساعة ثم قال ابن السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال هاهو ذا يا رسول الله، قال
لا بل يشقق عنها ثمر الجنة، ثلاث مرات. وقال الطبراني في معجمه حدثنا أحمد بن
يحيى الحلواني والحسن بن علي النسوي قالا حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل
ابن مرزوق عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر
والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل واحد منهم زوجتان
من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى من وراء لحومها
وحملها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء، وهذا الإسناد على شرط

الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخوارجي بن عثمان السعدي حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنضيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قال يونس: «قال رسول الله وما النصيف؟» قال الخمر» وقال ابن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت؟ فتقول أنا المازيدة، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى فينقذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» وروى الترمذي ذكر التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو بن وهب . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا امامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى دربي فتفتح له أكلما فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل أنه سمع أباة قال: «قامت لابن عباس ما حالى الجنة قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانزلت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت» قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمع أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له يا رسول الله «طوبى لمن رآك وآمن بك فقال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى بى طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى» فقال له رجل وما طوبى؟ قال شجرة في (م - ١٠ - حادى الارواح)

الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها قال وحدثني يعقوب ابن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال قال أبو هريرة «دار المؤمن في الجنة لأولوة فيها شجرة تنبت الحلال فيأخذ الرجل باصبعيه وأشار بالسبابة والابهام - سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان» قال وحدثنا حمزة ابن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال قال كعب: «لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته أبصارهم» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقةكم هذا يرى مخ ساقها من وراء اللحم» وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «أهدى أ كيد ردومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس فتعجب الناس من حسننها فقال لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا» وفي الصحيحين أيضا من حديث البراء قال: «أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن من هذا» ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فإنه كان في الانصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته: فحق له أن تكون مناديله التي يمسخ بها يديه في الجنة أحسن من حلال الملوك

(فصل)

(ومن ملابسهم التيجان على رؤسهم)

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد ابن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن اسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري وزيد بن أسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ القرآن فقام به آتاء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفر والكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له

حجيجاً، فقال يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا الا فلانا
 كان يقوم في آتاء الليل وأطراف النهار فيحلى حلالى ويحرم حرارى يقول يارب،
 فأعطه، فيمتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول هل رضيت؟
 فيقول يارب أرغب له في أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله
 ثم يقول له هل رضيت؟ فيقول نعم يارب» وذكر الامام أحمد في المسند من
 حديث أبى بريدة عن أبيه يرفعه «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها
 حسرة ولا تستطيعها البطلة» ثم سكت سادة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل
 عمران فانهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامان أو
 غيايتان أو فرقان من دبر صواف، وانقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق
 عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى؟ فيقول له ما أعرفتك، فيقول له
 القرآن أنا الذى أظلماتك فى الهواجر واسهرت ليلك، وان كل تاجر من وراء
 تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع
 على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بم
 كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما انقرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج
 الجنة وغرفها فهو فى صعود مادام يقرأ هدى كان أو تزيلا (البطلة) السحرة
 (والغياية) ما أظلل الانسان فوته . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن
 الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى
 الله عليه وآله وسلم «تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من
 أساور من ذهب) فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين
 المشرق والمغرب»

﴿فصل﴾

وأما الفرش فقد قال تعالى: «متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وقال تعالى
 : «وفرش مرفوعة» فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق وهذا يدل على أمرين
 (أحدهما) أن ظواهرها أعلى وأحسن من بطائنها لان بطائنها الارض وظواهرها
 للجهل والزينة والمباشرة، قل سفيان النورى عن أبى اسحاق عن أبى هبيرة
 ابن مريم عن عبد الله فى قوله بطائنها من استبرق قال هذه البطائن قد خبرتم
 بها فكيف بالظواهر؟ (الثانى) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشويين

البطانة والظاهرة وقد روى في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمرد ارتفاع محلها كما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (في قوله «وفرش مرفوعة» قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام) قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت رشدين بن سعد عنده من كبر قال الدار قطنى ليس بالقوى وقال أحمد لا يبالى عن روى وليس به بأس فى الرقاق وقال أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين ليس بشيء وقال أبو زرعة ضعيف وقال الجوزجاني: عنده من كبر ولا ريب أنه كان سيئ الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به وقد قال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السرح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قوله «وفرش مرفوعة» قال ما بين الفرائش كما بين السماء والأرض) وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالحق أعلم وقال الطبراني حدثنا المقدم بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب (في قوله عز وجل «وفرش مرفوعة» قال مسيرة أربعين سنة) قال الطبراني حدثنا إبراهيم بن زائلة حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قل: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فرائش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف» وفي رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا معاذ ابن هشام قال وجدت في كتاب أبي عن القاسم عن أبي أمامة (في قوله عز وجل «وفرش مرفوعة» قال لو ان أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً)

(فصل)

وأما البسط والزراى فقد قال تعالى: «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزراى مبثوثة» وذكر هشام عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال (الرفرف) رياض الجنة و(العبقري) عتاق الزراى وذكر اسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» قال هي

البسط قال وأهل المدينة يقولون هي البسط وأما النمارق فقال الواحدى هي
الوسائد فى قول الجيمع واحدها نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرهما
وأشدد أبو عبيدة

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاتة أنماطه ونمارقه
قال السكاكى وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وقال مقاتل هو الوسائد
مصفوفة على الطنافس وزراني بمعنى البسط والطنافس واحدها زريبة فى قول
جميع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة

(فصل)

وأما الرفرف فقال الليث ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة وقال
أبو عبيدة الرفارف البسط وأشدد لابن مقبل
وانا لئزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط ورفرف
وقال أبو اسحاق قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد
وقالوا الرفرف المحابس وقالوا فضول المحابس للفرش وقال المبرد هو فضول
الثياب التى تتخذ الملوكة فى الفرش وغيره قال الواحدى وكان الاقرب هذا لأن
العرب تسمى كسر الخباء والخزقة التى تحاط فى أسفل الخباء رفرفا ومنه الحديث
فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة» قال
ابن الاعرابى الرفرف ههنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته
بطرف النسطاط فسمى رفرفا «قلت» أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب
فنه الرفرف فى الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى
منها الواحد رفرفة، ومنه رفرف الطير اذا حرك جناحه حول الشئ يريد أن
يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحد رفرفة، وكل ما فضل
من شئ فثنى وعطف فهو رفرف (وفى حديث ابن مسعود، فى قوله عز وجل: «لقد
رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى رفرفا أخضر سد الافق) وهو فى الصحيحين

(فصل)

وأما العبقرى فقال أبو عبيدة كل شئ من البسط عبقرى قال ويرون أنها
أرض توشى فيها، وقال الليث عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن
عبقر قال أبو عبيدة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر فلم أر

عبقريا يفرى فريه ، وانما أصل هذا فيما يقال إنه نسب الى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوب الى شيء رفيع وأنشد لزهير

نخال نايها جبة عبقرية جديرون يومان ينالوا فيستعلوا
وقال أبو الحسن الواحدى وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى وذلك ان العرب إذا بالغت فى وصف شيء نسبته الى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد
جن الندار واسيا أقدامها وقال آخر يصف امرأة

جنية ولها جن يعلمها رمتى القلوب بقوس ما لها وتر
وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه اليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل ثم صار العبقرى اسماً وزعتاً لكل ما بولغ فى صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فانه نسب الجن الى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت الى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقرى وروى سامة عن القراء قال العبقرى السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب اليها غير الموشى وانما ينسب اليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب اليها كل ما بولغ فى وصفه قال ابن عباس وعبقرى يريد البسط والطنافس وقال الكلبي هى الطنافس المجملّة وقال قتادة هى عتاق الزرابى وقال مجاهد الديباج الغليظ وعبقرى جمع وانحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابى بأنها مبعوثّة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سبكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد اليها دائماً ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت والله أعلم

« الباب الحادى والخمسون »

(فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم)

قل تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان : « للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى

بعضهم بعضاً» وفي لفظ لها « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخري يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ آخر لها أيضا «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» وللبخاري وحده في لفظ «أولها ثلاثون ميلا» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت أبا سليمان قال: «ينشأ خلق الحور العين أنشأ ، فأذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام» وقال بعضهم لما كن ابكارا وعادة البكر ان تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلمها، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهم وبين أوليائهم في الجنة وقال ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عايبها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون» حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت أبا الاحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود (في قوله تعالى «حور مقصورات في الخيام» قال در مجوف) وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ساجان التيمي عن قتادة عن خليد القصري عن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة» قال ابن المبارك وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد «حور مقصورات في الخيام قال في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة» حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس حور مقصورات في الخيام قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل ، وذلك قوله «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب» والله أعلم وأما السرر فقال تعالى: «متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين» وقال تعالى: «ثلاثة من

الاولين وقايل من الآخريين على سرر موضوعه متكئين عليها متقباين» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة» فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصنوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خاف بعض ولا بعيداً من بعض وأخبر أنها موضوعة والوضن في اللغة التضيد والنسج المضاعف يقال وضن فلان الحجر أو الأجر بعضه فوق بعض فهو موضوعون وقال الليث الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع موضوعة مقاربة للنسج وقال رجل من العرب لامرأته ضنى متاع البيت أى قاربى بعضه من بعض قل أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة موضوعة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها في بعض وأنشدوا للاعشى ومن نسج داود موضوعة تساق مع الحى عيرا فعيرا

قلوا موضوعة منسوجة بضم الجيمان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قل هشيم أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قل مرمولة بالذهب وقل مجاهد موصولة بالذهب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس موضوعة مصنوفة فأخبر سبحانه أنها مرفوعة قل عطاء عن ابن عباس قل سرر من ذهب مكلفة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة وقال الكلبي طول السرير في السماء مائة ذراع فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه

(فصل)

(وأما الأرائك) فهي جمع أريكة قل مجاهد عن ابن عباس «متكئين فيها على الأرائك» قال لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجرة فإذا كان سريراً بغير حجرة لا يكون أريكة وإن كانت حجرة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجرة فإذا اجتمعا كانت أريكة وقال مجاهد هي الاسرة في الحجال قل الليث الأريكة سرير حجرة فالحجرة والسرير أريكة وجمعها أرائك وقال أبو اسحاق الأرائك الفرش في الحجال قلت ها هنا ثلاثة أشياء (أحدها) السرير و(الثانية) الحجرة وهي البشخانة التي تعلق فوقه و(الثالث) الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله وفي الصحاح الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجرة والجمع الأرائك وفي

الحديث ان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كن مثل زر الحجلة وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أضرارها والله أعلم

﴿الباب الثاني والخمسون﴾

(في ذكر خدمهم وغلماهم)

قال تعالى: «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين» وقال تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً» قال أبو عبيدة والقراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل هو مخلد، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطاة وفى أيديهم الاساور وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالمخلدة وجمعها خلد وهى القرطة، وروى عمرو عن أبيه خلد جاريته إذا حلاها بالمخلد وهى القرطة، وخذ إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بمحبتين (أحدهما) ان الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة (الحجة الثانية) قول الشاعر

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكشبان

وقال الاولون المخلد هو البقاء قال ابن عباس غلمان لا يموتون وقول ترجان القرآن فى هذا كاف وهو قول مجاهد والكأى ومقاتل قالوا لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين، وقالوا هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القرطاة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ان يكونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفى كونه منثوراً فئدتان (أحدهما) الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبشوثون فى خدمتهم وحوالهم (الثانى) ان اللؤلؤ إذا كان منشوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظرة وأبهى من كونه مجموطاً فى مكان واحد وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة انشاء على قولين؟ فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة

وولدانهم اذ الجنة لا اولاد فيها قال الحاكم انا عبد الرحمن بن الحسن ثنا ابراهيم
 ابن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن (في قوله « ولدان مخلدون »
 قال لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع »
 ومن اصحاب هذا القول من قال هم اطفال المشركين فجعلهم الله خدما لاهل
 الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن الثماري عن ابي حازم قال
 المديني عن يزيد الرقاشي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي
 اللاهين من ذرية البشر ان لا يعذبهم فاعطانيهم فهم خدما لاهل الجنة » يعنى الاطفال
 قال الدارقطني ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد
 الرقاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ورواه فضيل بن سليمان عن عبد
 الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن انس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه
 وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن اسحاق ضعيف قال ابن قتيبة
 واللاهون من لهيت عن الشيء اذا غفقت عنه وليس هو من لهوت واصحاب
 القول الاول لا يقولون ان هؤلاء اولاد ولدوا لاهل الجنة فيها وانما يقولون
 هم غلمان انشأهم الله في الجنة كما انشأ الحور العين قالوا واما ولدان اهل الدنيا
 فيكونون يوم القيامة ابناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب انا عمار بن
 الحارث ان دراجا ابا السمع حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات من اهل الجنة من صغير او كبير يردون
 بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عايبا ابداً وكذلك اهل النار » رواه الترمذي
 والاشبه ان هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلمانا
 كما قال تعالى : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » وهؤلاء غير اولادهم
 فان من تمام كرامة الله تعالى لهم ان يجعل اولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم
 غلمانا لهم وقد تقدم في حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انا اول الناس
 خروجا اذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون » والممكنون المستور
 المصون الذي لم تبتذله الايادي واذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم
 واعتبرتها بقوله ويطوف عليهم غلمان لهم وضمت ذلك الى حديث ابي سعيد المذكور
 آتينا علمت ان الولدان غلمان انشأهم الله تعالى في الجنة خدما لاهلها والله أعلم

الباب الثالث والخمسون

(في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه)

قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » فتأمل أجلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمته من أرسله اليك بهذه البشارة وقدر ما يشرك به وضعفه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقررة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه ، والأزواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة فان جرت صفة على الواحد فيجري صفة على جمع التكسير اجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى « مساكن طيبة » « وقرى ظاهرة » ونظائره ، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والخصاء والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فظهر مع ذلك بآثارها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به الى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم « لهم فيها أزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق « وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن ، وقال ابن عباس أيضا مطهرة من القذر والأذى ، وقال مجاهد لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمدن ولا يمتنن ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يبلن ، وقال قتادة مطهرة من الأثام والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما

عصت قال الله انى خلقتك مظهره وسأدميك كما دميت هذه الشجرة. وقال تعالى: «ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم» فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والانهار وحسن اللباس وكال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا والحور جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التى يحار فيها الطرف، وعين حسان العين، وقال مجاهد الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين، واختلاف فى اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس الحور فى كلام العرب البياض وكذلك قل قتادة الحور البياض وقال مقاتل الحور البياض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التى يحار فيها الطرف بأديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كبد احدها من المرأة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحويل التمييز والصحيح ان الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين وفى الصحاح الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور وقال أبو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لانهن شبهن بالظباء والبقر وقال الأصمعى ما أدرى ما الحور فى العين قلت خالف أبو عمر وأهل اللغة فى اشتقاق اللفظة ورد الحور الى السواد والناس غيره انما ردوه الى البياض أو الى بياض فى سواد، والحور فى العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر عين حوراء اذا اشتد بياض أبيضها وسواد اسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عيناء وهى العظيمة العين من النساء ورجل أعين اذا كان ضخمة العين وامرأة عيناء

والجمع عين والصحيح ان العين الثلاثي جمعت اثنين صفات الحسن والملاحة. قال مقاتل العين حسان الاعين ومن محسن المرأة اتساع عينيها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب وانما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع فها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها، وجهتها، ويستحب البياض منها في أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها ويستحب السواد منها في أربعة مواضع عينيها وحاجبها وهدبها وشعرها، ويستحب الطول منها في أربعة قوامها وعنقها وشعرها وبناها. ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينيها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله، وتستحب الرقة منها في أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها

﴿فصل﴾

وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا كما يزوج النمل بالنمل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس قرناهم بهن وليس من عقد التزويج نال والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: «فاما قضى زيد منها ودرا زوجنا كما ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاها الكسائي أيضاً وقال الازهرى تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» أي قرناهم وقال الفراء هي لغة في ازدشنوة قال الواحدى وقول أبى عبيدة في هذا أحسن لانه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشئ زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفعت بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمتنعها اذا كان بمعنى عقد التزويج «قلت» ولا يمتنع أن يراد الامران معا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أباع من حذفها والله أعلم» وقال تعالى (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربك انكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع

(أحدها) هذا وإثاني قوله تعالى في الصافات (وعندهم قاصرات الطرف عين) و(الثالث) قوله تعالى في ص (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمعن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عاينهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى التاءل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أى ليس بظامح متعدي قل آدم وحدثنا ورء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (قاصرات الطرف) قل يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبعين غير أزواجهن قل آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات، وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي تفسير سعيد عن قتادة قال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع ترب وهو لدة الإنسان قال أبو عبيدة وأبو اسحاق اقران أسنانهن واحدة قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد أتراب أمثال قال أبو اسحاق هن في غاية الشباب والحسن وسمى سن الإنسان وقرنه تربه (١) لأنه من تراب الأرض مع في وقت واحد والمعنى من الاختيار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقالت طائفة مفسره الجنان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة مفسره القرش المذكورة في قوله «متكئين على فرش بطائئهم استبرق» وفي بمعنى على، وقوله تعالى (لم يطمئنن أنفس قبلهم ولا جان) قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ما طمئت هذا البعير جبل قط أى ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جبل ما طمئت جبل قط أى ما مسه وقال انقراء الطمئت الافتضاض وهو الذكاح بالتدمية والطمئت هو الدم وفيه لغتان طمئت يطمئت ويطمئت قال الليث طمئت الجارية اذا افترعتها والطامئت في لغتهم هى الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمئت تطمئت إذا أدميت بالافتضاض وطمئت على فعات تطمئت اذا حاضت أول ما تحيض فهي طامت، وقال في قول الفرزدق

خرجن إلى لم يطمئن قبلي وهن أصبح من بيض النعام
 أى لم يحسن قال المفسرون لم يظأهن ولم يغشهن ولم يجامعن هذه الفاظهم
 وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها
 وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر ابكاراً كما وصفن قل الشعبي
 نساء من نساء الدنيا لم يحسن منذ أنشئن خلقاً وقال مقاتل لانهن خلقن في
 الجنة. وقال عطاء بن ابن عباس هن الآدميات اللاتي متن ابكاراً وقال السكابي
 لم يجامعن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه انس ولا جان قلت ظاهر القرآن أن
 هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين. وأما نساء الدنيا
 فقد طمئنهن الأنس ونساء الجن قد طمئنهن الجن والآية تدل على ذلك
 قل أبو اسحق وفي هذه الآية دليل على ان الجن يغشى كما أن الأنس يغشى
 ويدل على انهن الحور اللاتي خلقن في الجنة انه سبحانه جعلهن مما
 أعده الله في الجنة لاهلها من الفواكه والثمار والانهار والملابس وغيرها
 ويدل عليه أيضا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام)
 ثم قال (لم يطمئنهن انس قباهم ولا جان) قال الامام أحمد والحور العين لا يمتن
 عند النفخة للصوم لانهن خلقتن للبقاء وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ان
 مؤمن الجن في الجنة كما ان كافرهم في النار وبوب عليه البخاري في صحيحه
 فقال باب ثواب الجن وعقابهم. ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن
 حبيب وقد سئل هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قل الانسيات
 للانس والجنيات للجن. وقال مجاهد في هذه الآية اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى
 الجان على إحليله فجامع معه والضمير في قوله (قباهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم
 أزواج هؤلاء النسوة وقوله (كانهن الياقوت والمرجان) قل الحسن وعامة المفسرين
 أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت
 والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله ان المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها
 سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بان الله يقول (كانهن
 الياقوت والمرجان ألا وان الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته
 نظرت إلى السلك من وراء الحجر

(فصل)

وقال تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام) المقصورات المحبوسات

قال أبو عبيدة خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهم محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام ، وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يرون غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الثراء وقتاً ، وهذا معنى (قاصرات الطرف) لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله في الخيام على هذا القول صفة لحور أى هن في الخيام وليس معمولا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين ، وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المحدرات المصونات وذلك أجل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المحدرات المصونات لا يمنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتهى وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها. وأما مجاهد فقال مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام الأثلاث وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فانهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال

﴿فصل﴾

وقال تعالى (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيره كسيدة ولينة رحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والاخلاق والشيم، حسان الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات»

(فصل)

وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) أهاد الضمير إلى النساء ولم يحجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن

وقيل القرش في قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والازر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأتي هذا إلا أن يقال المراد رفعة أقدر وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرش وارتفاعها فالجواب أنها القرش نفسها ودلت على النساء لأنها محملين غالباً قل قتادة وسعيد بن جبير خلقناهن خلقاً جديداً وقال ابن عباس يريد نساء الآدميات وقول السكابي ومقاتل يعني نساء أهل الدنيا العجز الشحط يقول تعالى خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «هن عجائزكم العمش الرمش» رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «دخل عليهما وعندما تجوز فقال من هذه؟ فقالت إحدى خالاتي قال أما إنه لا يدخل الجنة العجوز، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أنشأناهن انشاء) خلقنا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أنشأناهن انشاء) قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله «إنا أنشأناهن انشاء» قال يعني الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة العجوز» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول (أنا أنشأناهن انشاء) «وقول ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الانصار فقالت يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة» فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد أنيت من كلمتك مشقة وشدة. فقال صلى الله عليه وسلم إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التي ذكرهن، قبل أنشاءهن الله عز

(١١ - حادي أرواح)

وجل لا ولي له لم يقع عليهم ولا ذنوب والظاهر أن المراد أنشاء من الله تعالى في الجنة انشاء ويدل عليه وحده (أحده) أنه قد قل في حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون يا كواب إلى قوله كما مثل الملائكة كنون) فذكر سرهم وأنيتهم وشراهم وفاكتهم وفعاهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميعنة وطعامهم وشراهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أن مثل نساء من قبلهم خالقن في الجنة (الثاني) أنه سبحانه قل (انا أنشاء من انشاء) وهذا ظاهر أنه انشاء أول لان لانه سبحانه حيث يريد الانشاء الثاني يقيده بذلك كقوله (وأن عليه انشاء الاخرى) وقوله (ولقد علمتم انشاء الاوى) (الثالث) أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) إلى آخره للذكور والاثاث والانشاء الثانية أيضا عامة للموعين وقوله (انا انشاءناهن انشاء) ظاهره اختصاصهن بهذا الانشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هي أحق به منهن فالانشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله (عربا) جمع عروب وهن المتحبيبات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابي العروب من النساء المطيعة لأزواجهن المتحبيبة اليه وقال ابو عبيدة العروب الحسنة التبعيل «قلت» يريد حسن موافقتها وملاقتها لأزواجهن عند الجماع وقل المبرد هي العاشقة لأزواجهن وأنشد للمبرد

وفي الحدوج (١) عروب غير ذنبة ربا الروادف يعشى دونها البصر
وذكر المفسرون في تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحبيبات الغنجات الشالات المتعشقات الغنيمات المنعوجات كل ذلك من الفاظهم وقل البخاري في صحيحه عربا منقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكاة «والعرب» المتحبيبات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق وقل في كتاب التفسير في سورة الواقعة عربا منقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكاة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتهما وحسن عشرتهما وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بين وفي قوله (لم يطمننن أنس قباهم ولا جان) اعلام بكال اللذة بين فان لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواء

(١) الحدوج جمع حدج بكسر الحاء مراكب النساء . ع

لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضا

﴿فصل﴾

وقال تعالى (إن المستقين منفردا حقائق وأعتابا وكواعب أنرابا) قال كواعب جمع كاعب وهي الباهد قل فتدة ومجاهد والمفسرون قل السكابي هن اللامحات اللواتي تكعب ثديهن وتفلك وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كلرمان ليست متدالية إلى أسفل وإسمين نواهد وكواعب

﴿فصل﴾

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها» وللقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوده من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطاعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملاّت ما بينهما ريحا ولا ضاعت ما بينهما ماء ولنضيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها « وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر» والتي تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وفى الجنة عزب» وقال الامام أحمد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» وقال الطبرانى حدثنا بكر ابن سهل الديلمى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قل حور بيض عين ضخم العينون شقر الحوراء بمنزلة جناح النسر» قالت أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهم لؤلؤ مكنون) قال صفائهن صفاء الدر الذى فى الاصداف الذى لم تمسه الايدى» قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه» قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال رفقتهن كرقعة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى» قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (عربا أنرابا) قل هن اللواتي قبضن فى دار الدنيا عجائز رمضا شحما خالقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى عربا متعشقات

متحبيبات اترابا على ميلاد واحد. قالت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة. قالت يا رسول الله وبم ذلك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجاهرهن الدر وأمشاطنهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظمن أبداً ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا. قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى حامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لا يعرف إلا بهذا السند. وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو حاتم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه «فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة» فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم» فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله ولتنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكال بالؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدتها ولحمها وأنه لينظر إلى منخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قبة الياقوت، كبدها امرأة وكبدها له امرأة فبينما هو عندها لا يملأ ولا تملأ ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتقر ذكره ولا يشتكى قبلها، فبينما هو كذلك إذ فودي إنا قد عرفنا أنك لاتمل ولا تمل إلا أنه لامنى ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج

فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك» هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به اسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه احمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدى عامة احاديثه فيها نظر وقال الترمذي ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعني البخاري يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة احاديث ساقه اسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الاحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن دراجا حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل: «ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمع بالطريق قل أحمد احاديثه منا كير وقال النسائي منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائي أيضا ليس بالقوى وساق له ابن عدى احاديث وقال عامتها لا يتابع عليها وقال الدارقطني ضعيف وقال مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني هو ثقة وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «كانهن الياقوت والمرجان» قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك» وقال الفريابي انبأنا أبو أيوب سليمان ابن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة الا ويزوج اثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل بيته من أهل الدنيا ليس منهم امرأة الا ولها قبل شهى وله ذكر لا يائثنى» قالت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين وقال أحمد ليس شيء وقال النسائي غير ثقة وقال الدارقطني ضعيف وذكر ابن عدى له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه

حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني ابراهيم ابن زهير عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة فلما يارسول الله أوله قوة على ذلك قال أنه يعطى قوة مائة رجل» قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدى وله منا كبر وألجاج هو ابن اربطة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبا نا محمد ابن أحمد بن هشام بن حسان السنجرى ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن ابان قالا حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «قيل يارسول الله هل نصل الى نسائنا في الجنة؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» قال الطبراني لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد الواحد المقدسى ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازى حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمى عن ابن عباس قال: «قيل يارسول الله أنقضى الى نسائنا في الجنة كما نقضى اليهن في الدنيا؟ قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل لينقض في الغداة الواحدة الى مائة عذراء» وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني صالح وضعفه النسائي وقال السعدى متمسك قلت وحسبه رواية شعبية عنه

(فصل)

والاحاديث الصحيحة انما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فان كانت هذه الاحاديث محفوظة فاما أن يراد بها ما لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة وقد روى الترمذى في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة» هذا حديث صحيح فلمل من رواه ينقض إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم ، ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في

الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للعبد المؤمن في الجنة خليفة من لؤلؤة مجوفة دونه ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً»

باب الرابع والخمسون

(في ذكر المادة التي خالق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهم ومعرفتهم اليوم بازواجهن)

فما المدة التي خالق منها الحور العين فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن خليفة حدثنا شعبة حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن مهزيب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: «الحور العين خلقن من الزعفران» قل البيهقي وهذا منكر بهذا الاسناد ولا يصح عن ابن علية «قلت» ولكن في حديث فيه شعبة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأفتاري حدثني الليث بن أبيه الليث عن أبي سليم قل حدثني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خالق الحور العين من الزعفران» قل الطبراني لا يروى إلا بهذا الاسناد نفرد به علي بن الحسن بن هارون قلت وقد رواه اسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قلت سمعت زوجي ليث بن سليم يحدث عن مجاهد فذكر مرفوعاً إليه وهو أشبه بالصواب ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله ولا يصح رفع الحديث وحسنه أن يصل إلى ابن عباس وقول أبو أمامة بن عبد الرحمن «إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلمها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروي عن صحابين واما ابن عباس وأنس وعن تابعين وعما أبو أمامة ومجاهد وبطلان حل فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين الآباء والامهات والله أعلم وقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن زيد عن الهيثم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الاسناد لا يمتنع به ورواه أبو نعيم حدثنا علي بن محمد الطرمي حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن اسماعيل الجسساني حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفعه «لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من ندوبة فمها» وخالق الحور العين من

الزعفران» وإذا كانت هذه الحلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك!!! والله المستعان، وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى ابن يوسف بن الطباع حدثنا حاس بن محمد الكلابي حدثنا سفيان الثوري حدثنا مغيرة حدثنا إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسطم نور في الجنة فرفعوا رؤسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجمر بن سعيّد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «أن من المرید أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطر كم فلا يتمنون شيئاً الا امطروا» قال يقول كثير لئن أشهدني الله ذلك لا قولن أمطرينا أجواري مزيّنات، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبي الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خدّاش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «ان في الجنة نهرأ يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الحوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه» وقال الليث ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لجبريل يا جبريل قف بى على الحور العين فأوقفه عليهن فقال من أنتين؟ فقان نحن حوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، وتقاوا فلم يدرنوا» وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زحر عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال: «كنا جلوسا مع كعب يوماً فقال لو أنيدا من الحور دليت من السماء لاضأت لها الارض كما تضىء الشمس لاهل الدنيا ثم قال انما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!» وفي مسند الامام احمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يذارك اليها» وفي مراسيل عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ان الحور العين لاكثر عدداً منك يمدعون لأزواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك الأرحم الراحمين» ذكره ابن أبى الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه

وذكر الازاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «ان في الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجب بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقانن طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك الجدواء بين عينيها مكتوب من كان يستغنى أن يكون له مثلي فليعمل براءء ربي» وقول عطاء السلمي لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوقنا قال يا عطاء ان في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لما اتوا من حسنها فلم يزل عطاء مكدا من قول مالك» وقال أحمد بن أبي الحواري حدثني جعفر بن محمد قال لقي حكيم حكيم فقال أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال لا. فقال فاشتق اليهن فان نور وجههن من نور الله عز وجل فغشي عليه فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً» وقال ربيعة ابن كاثوم نظر الينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: «يا معشر الشباب أه تشتاقون إلى الحور العين؟» وقال لي ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال «نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فتلت يا أبا حمزة ما رقدت الليلة» فقال اني لما اضطجعت تمثلت في حوراء حتى كاني أحسست بجملدها وقد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال هذا رجل كان مشتاقا» وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خاق الحور العين انشاء فاذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام» وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن زيد الرقاشي قال: «بلغني أن نورا سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل من ذلك النور فيه» فقليل ما هذا؟ قال حوراء ضحكت في وجه زوجها قال صالح فشرق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشرق حتى مات» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زريق عن عبد الملك الجوني عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس يقول: «لو ان حوراء اخرجت كنفها بين السماء والارض لافتن الخلائق بحسنها ولو اخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل القتيبة في الشمس لاضوء لها ولو اخرجت وجهها لاضاء حسنها ما بين السماء والارض» وقال ابن أبي الدنيا حدثني الحسين ابن يحيى وكثير العنبري حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثوري قال: «سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها» ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال حدثني عيسى بن يوسف الطباع

حدثني حاتم بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم عن عاتمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ساطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من نغم حور لم ينجس في وجهه ووجه زوجها» ووقل الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «إذا سبغت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة الا وردت» ووقل ابن المبارك حدثنا الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «ان الحور العين يتاقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقبضن ما انتظرنه فتمتن الراضيات فلا تسخط والمقييات فلا تظمن. والخالدان فلا تموت بحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنت حبيبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل»

❦ الباب الخامس والخمسون ❦

(في ذكر نكاح أهل الجنة وودعهم والنداء بذلك أو كل لذة ونزاهة ذلك عن المذنب والمثني والصفت وأنه لا يوجب غسلًا)

قد تقدم حديث أبي هريرة «قيل يارسول الله أنقض إلى نسائنا في الجنة» فقال ان الرجل ليسل في اليوم إلى مائة غداة «وان اسناد صحيح وتقدم حديث أبي موسى المثنى عن صحبه: «ان المؤمن في الجنة خيمة من أولوة واحده مجوفة طولها ستون ميلا له فيها أهلون يطوف عليهم» وحديث أنس «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء» وصحبه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن احمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال «يارسول الله اني ما يطلع من الجنة قول على أنهار من عمل مصفى وأنهار من كأس ما بها سدا ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لم يهر الهك مما تشاءون وخير من مثله وأرواج مطهرة» فأتى رسول الله أولنا فيها أزواج مصليات قال الصالحين فلندوزا بهن مثل لذاتكم في الدنيا ولندذككم غير ان لا تولد» ووقل ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يارسول الله انما في الجنة قول نعم ولدى تقى بيده دحما دحما (١) فإذا دحما رجعت مطهرة يسكرا» ووقل الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر التميمي حدثنا محمد بن عبد الملك الدققي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أهل الجنة إذا هموا النساء عدن أبكارا» قال الطبراني

(١) دحما دحما بفتح الدال وسكون الحاء أى دفعا أى يطؤون بدفع وإزعاج . ع

لم يروه عن عاصم الا شريك تفرد به يعلى ذل الطبراني وحدثنا عبدان بن أحمد
حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم
ابن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسئل «هل يتناكح أهل الجنة؟» قال لا يعمل وشهوة لا تنقطع دحاً دحاً»
قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى الخلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن
يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل
«أي جامع أهل الجنة؟» قال دحاً دحاً ولو كن لأمني ولا منية» وهاشم وخالد وان تسكاه
فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا مني ولا منية) أي لا انزال ولا موت وقول
أبو نعيم حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن
المقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟» قال نعم والذي
بعثني بالحق بذكر لا يعمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع» وقال الحسن بن سفيان
في مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة
عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
: «هل ينكح أهل الجنة؟» قال أي والذي بعثني بالحق دحاً دحاً وأشار بيده ولكن
لا مني ولا منية» وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان بن عمرو عن عكرمة في
قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال في افتقاض الابكار
وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد قال حدثنا يعقوب
ابن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شفيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود في قوله (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم
افتقاض العذارى وقال الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن
الوزاعي في قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم افتقاض
الابكار قال مقاتل شغلوا بافتقاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونها ولا
يهتمون لهم وقال أبو الاحوص شغلوا بافتقاض الابكار عن السرد في الحبال
وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى (ان أصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون) شغلهم قال افتقاض الابكار وقال ابن أبي الدنيا
حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو
عن عكرمة عن ابن عباس (في شغل فاكهون) قال في افتقاض العذارى حدثنا اسحاق

ابن ابراهيم حدثنا يحيى بن يعز عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير «إن شهوته
لتجري في جسده سبعين عاما يحد الأذة ولا ياحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى
التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل ومائهم وطه التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه
من الوجوه» وأكمل الناس فيه أوصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن
من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إنها لهم في الدنيا ولهم في الآخرة» فمن استوفى
طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب
طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك
أشد الخوف، وذكر الامام أحمد عن جابر بن عبد الله «أنه رآه عمر ومعه لحم
قد اشتراه لاهله بدرهم فقال ما هذا؟!! قل لحم اشتريته لاهلي بدرهم، فقال أو كلما
اشتبهى أحدكم شيئا اشتراه!! أما سمعت الله تعالى يقول (أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها)» وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن حذاف عن جابر بن حازم قال حدثنا
الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل
يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالحن وربما وافقناها مأدومة بالزيت
وربما وافقناها مأدومة بالبن وربما وافقناها القلائد اليابسة قد دقت ثم أغلى بها
وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل، فقال ذات يوم اني والله قد أرى
تقذيركم وكرهيتكم اطعمني اني والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعاما وأرقكم
عيشا ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غير قوما بأمر فعلوه
فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك الأذة المحرمة
لله استوفاه يوم القيامة أكل ما تكون، ومن استوفاه هنا حرمها هناك
أو نقص كالمها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك
شهوته لله أبدا» والله أعلم

❦ الباب السادس والخمسون ❦

(في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا)

قال الترمذي في جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي
عن عامر الاحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : «المؤمن إذا اشتبهى الولد في الجنة كان حملاً ووضعوه وسنه في ساعة كما يشتهى»
 قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في
 الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي
 وقال محمد يعني البخاري قال اسحاق بن إبراهيم في حديث النبي صلى الله
 عليه وسلم «إذا اشتبهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى ولكن
 لا يشتهى» قال محمد وقد روى عن أبي ذر بن العقبلي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : «ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» وأبو الصديق الناجي
 اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذي «قلت» اسناد حديث
 أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً وتأويل
 اسحاق فيه نظر فانه قال إذا اشتبهى المؤمن الولد وإذا للتحقق الوقوع ولو
 أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتبهى المؤمن الولد لسكان حملاً في ساعة
 فان ما لا يكون أحق باداة لو كما ان المتحقق الوقوع أحق باداة إذا ، وقد قال
 أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيري
 حدثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري
 قال : «قيل يا رسول الله أي ولد لأهل الجنة فان الولد من تمام السرور؟ فقال نعم
 والذي نفسي بيده وما هو الا كقدر ما يتخنى أحدكم فيكون حملاً ورضاعه
 وشبابه» حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد الرازي بمكة حدثنا عبد
 الرحمن بن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزازي حدثنا يحيى بن حفص
 الاسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدي عن
 أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** : «ان
 الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى فيكون حملاً وفصاله وشبابه في ساعة واحدة»
 وحديث معاذ بن هشام قال فيه بن مدار عامر الاحول وقل عمرو بن علي عاصم الاحول
 وقال الحاكم أنبأنا الاصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا
 سلام الطويل عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري
 يرفعه «ان الرجل من أهل الجنة ليشتبهى الولد في الجنة فيكون حملاً وفصاله
 وشبابه في ساعة واحدة» قال البيهقي وهذا اسناد ضعيف بمرة وأما حديث أبي
 رزين الذي أشار اليه البخاري فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجعل
 به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته قال عبد الله

ابن الامام أحمد في مسنده عليه كتب إلى ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة
عن مصعب بن زبير الزبيري كُتبت اليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته
على ما كتبت به اليك فحدث به عني حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي
حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمى الانصاري من بني عمرو بن عوف عن
دلهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن طاهر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه
لقيط بن طاهر قل دلهم وحدثني أبو الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً
خرج واقفاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك
ابن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس
خطيباً فقال: ألا أيها الناس اني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا أستمعنكم
الافهل من امرئ بعثه قرمه فقلوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم؟ الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال
الا اني مسئول. الاهل بلغت. الا اسمعوا تعيشوا. الا اجاسوا. الا اجاسوا قل
لجاس الناس وقت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يا رسول الله
ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم اني أبتغي سقطه، فقال
ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله وأشار بيده قلت وما هي؟
قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد ما أنت ذاعم
غدا ولا تعلمونه، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أدلين مشفقين فيظل
يضحك قد علم أنت غيركم الى قريب (١) قال لقيط قلت ان نعدم من رب يضحك
خيراً. وعلم يوم الساعة. قلت يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل
لا يصدقون تصديقنا أحد من مذبح التي تربوا علينا وختم التي توألينا وعشيرتنا التي
نحن منها، قل تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث
الصائحة لعمر الهك لا تدع على ظهرها شيئاً الامات والملائكة الذين مع ربك
عز وجل فأصبح ربك يطوف في الارضين وخلت عليه البلاد فأرسل ربك
السماء تهضب (٢) من عند العرش فلعمري الهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا
مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوى جالساً فيقول
ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمتي اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه

(١) كذا (٢) تهضب أي تمطر، والهضب المطر ويجمع على أهضاب. ع

حديثاً بأهله فقلت يا رسول الله كيف يحمدونك ما تروى في الروح والبول والسبح
فقلت أئتيك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض ثم أتت عابراً وهي ممدودة بزيادة فقلت
لا تخشوا ربكم عليمين ربك عليهم سبعاء فاهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى أشرقت
عليهم وهي شربة واحدة ١ أو لعمر الهك فهو أقدر على أن يجمع بين الساعة على أن يجمع
نبات الأرض فيخرجون من الأضواء ومن مصرهم فتتظرون إليه وينظرونكم
قال قلت يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا
وننظر إليه قل أئتيك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها
ويريانكم ساعة واحدة لا تظرون في رؤيتهما ولعمر الهك لهو أقدر على أن يراكم
وتروونه منهما قلت يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قل تعرضون عليه بآية
له صفحة تكلم لا تخشى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء
فيضع قبلكم بها فلعمر الهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قشرة فلما المسلم
فتدع وجهه مثل الرقيقة البيضاء وأما الكافر فتدع وجهه مثل الفحم الأسود إلا
ثم ينصرف فيكم رسول الله ﷺ وينصرف على أن يرد الصالحون فيسألون جبراً من
النار فيطأ أحدكم الحجر فيقول - س (٢) فيقول ربك أوليه فيطأون على حوض الرسول
عليه السلام على أفاء والله ذهلة قط رأيتها فلعمر الهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع
عليها قدح مطهرة من الطوف (٣) والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون
منها واحداً قل قلت يا رسول الله فيم أبعث ربك بمثل بعثك هذه وذلك
مع ملوح الشمس في يوم أشرقت الأرض ثم أوجبت الجبال قل قلت يا رسول الله
فيم نجزي من حسناتنا وسيئاتنا قل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن
يعفو قل قلت يا رسول الله ما الجنة النار قل الجنة أشرف الأماكن سبعة أبواب
وأمنهن باب الأيسر الراكب بينهما سبعين عاماً وإن الجنة ثمانية أبواب وأمنهن

(١) في النهاية هكذا رواه بعضهم شربة بآية أدا أن الأرض انضرت
بالنبات فكانها حنطة واحدة والرواية شربة بالباء الموحدة . اهـ (٢) حسن
بفتح الحاء وتشديد السين مكسورة كلمة يتسوها الإنسان إذا أدا به ما منه
وأحرقه غنلة كالحرق والضمرة ونحوهما (٣) في النهاية : الطرف الحدث من الطعام
والمعنى أن من شرب تلك الشربة دبر من الحدث والأذى وأنت قدح لأنه
ذهب بها إلى الشربة اهـ ع

بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قل قلت يا رسول الله فعلا ما نطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر الهلك مما نعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة، قلت يا رسول الله ولما فيها أزواج أو منهن صالحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد قال لقيط فقلت أفصى ما نحن بالغون ومنهون إليه فلم يحبه النبي صلى الله عليه وسلم فقامت يا رسول الله علاما أبايعك فبسط النبي ﷺ يده وقال على أقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإن لا تشرك بالله الها غيره، قال قلت وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشروط شيئا لا يعطينه. قال قلت نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على أمرى ولا تنفسه فبسط يده وقال ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك قال فأنصرفنا وقال ها إن ذين ها إن ذين لعمر الهلك إن حدثت الا أنهما من اتقى الناس في الاولى والاخرة، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بدار بن كلاب من هم يا رسول الله؟ قال بنو المنتفق أهل ذلك، قال فأنصرفنا وأقبلت عليه فقامت يا رسول الله هل لاحد مما مضى من خبر في جاهليتهم؟ قال قال رجل من عرض قریش والله إن أباك المنتفق لى النار، قال فلما كأنه قد وقع جزء من جلدى ووجهى ولحى مما قال لابی على رؤس الناس فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثم اذا الاخرى أجل فقلت يا رسول الله وأهلك؟ قال وأهل لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل ارسلنى اليك محمد صلى الله عليه وسلم فابشرك بما سوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار، قال قلت يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون الا اياه وكانوا يحسبونهم مصلحين قال ذلك بأن الله عز وجل بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا فنصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين «هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف الا من حديث أبى القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى ثم من رواية ابراهيم ابن حمزة الزبيرى المدنى عنه وهما من كبار علماء المدينة فقتان محتج بهما فى الحديث احتج بهما الامام محمد بن اسماعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه رواه ثمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن

الامام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم قال الحافظ أبو عبد الله بن منده روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعاني وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وغيرهم وقراءه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم يذكره أحد منهم ولم يتسكّم في اسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقل أبو الخير بن حمدان هذا حديث كبير ثابت مشهور وسألت شيخنا أبا الحجاج المري عنه فقال عليه جلالة النبوة وقل نعمة الابلاد فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة وقوله اذا اشتبهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعاليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، واذا وان كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لجرد التعليل العام من المحقق وغيره قلوا وفي هذا الموضوع يتعين ذلك لوجود (أحدها) حديث أبي زرعة (الثاني) قوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة » وهن الثلاثي ذهبن من الحيض والنفاس والأذى قل سفيان أثبتنا ابن أبي نجيع عن مجاهد مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول (الثالث) قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم ، والولد إنما يخاق من ماء الرجل فاذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا تدخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد (الرابع) انه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذل يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها حلتا يسكنهم ايها ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم (الخامس) ان الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى فتو كانت النساء يحببن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والانزال (السادس) ان الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لانه قدر الموت وأخرجهم الى هذه الدار قرنا بعد قرن وجعل لهم أمدا ينتهون اليه فلولا التناسل لبطل النوع الانساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فاهم لا يموتون كما تموت الانس والجن فأذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كما هم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون الى تناسل يحفظ النوع الانساني اذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار

(م - ١٢ - حادي الارواح)

(الماضي) أنه سبحانه وتعالى قال (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بألحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم
بهم في الدنيا ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم
الذين كانوا في الدنيا لأن قرّة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل
الدنيا (النامن) إنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع
وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى
واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسروره وهو محال ولا يمكن أن يقال
بتناسل بموت معه نسل ويخلقه نسل إذ لا موت هناك (التاسع)
أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون
ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء
أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة
حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين
من غير نمو يوضحه (الوجه العاشر) أن الله سبحانه وتعالى يذنب أهل الجنة
نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون
ويأبسون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الاحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر
الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما في المسئلة : فما قول بعضهم إن
القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين أن الجنة دار المكافئين التي يستحقونها
بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وبالله التوفيق قل
الحاكم قال الاستاذ أبو سهل أهل الزبير ينكرون هذا الحديث يعني حديث
الولادة في الجنة وقد روى فيه غير اسناد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول (وفيها
ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن
من شهواته المصنئ المقرب المساط على لذاته قرّة عين وثمرة فؤاد من الذين
أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة «فإن قيل» ففي الحديث أنهم لا يحضن ولا ينفسن
فأين يكون الولد؟ «قلت» الحيض سبب الولادة الممتد مدة الحمل على الكثرة
والوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على
ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه

وهذه خمرة الدنيا الحُرمة المستولية على كل بلية قد أعدّها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد !! انتهى كلامه «قالت» المنافون للولادة في الجنة لم ينفوها لربيع قلوبهم ولكن الحديث أبي رزين «غير أن لا توالد» وقد حكينا من قول عطاء وغيره أنهم «ظهرت من الحيض» الولد وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين وحكى قول أبي إسحاق بأنكاره وقل أبو أمامة في حديثه «غير أن لا مني ولا منية» والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه» وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيده اسناد الترمذي وقد حكم بفراجه وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروي عنه إذا اشتبه الولد وتارة أنه ليستهي الولد وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له، والله أعلم فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه وهذه الالفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض وحديث أبي رزين غير أن لا توالد إذ ذلك نفى لا توالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعها وسنه وشبابه في ساعة واحدة فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده في غير هذا الكتاب والله أعلم

﴿الباب السابع والخمسون﴾

(في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة)
قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) قال محمد بن جرير حدثني محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا عامر بن نَسَاف قال سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل (فهم في روضة يحبرون) قال الحبرة اللذة والجماع ، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتادة ينعمون فلذة الاذن بالجماع من الحبرة والنعيم وقل الترمذي حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن في الجنة

نجتمعوا للحدور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهما يقان نحن الخالدات
 فلا نبید ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ولو بی لمن كان
 لنا وكن له « وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث
 غريب قالت وفي الباب عن ابن أبي أوفى وإبي أمامة وعبد الله بن عمر أيضا فأما حديث
 أبي هريرة فقال جعفر الثوري حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي
 عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة
 قال : « ان في الجنة نهرأ مأل الجنة حافتاه العذاري قيام متقابلات يغنين
 بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلهما ، فقانا يا أبا هريرة
 وما ذاك الغناء ؟ قال ان شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب
 عز وجل » هكذا رواد موقوفا وروى أبو نعیم فی صفة الجنة من حديث مسلمة
 ابن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « ان في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد
 ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد منه »
 (وأما حديث أنس) فقال أبو نعیم انبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا
 اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا ابن أبي
 فديك عن ابن أبي ذئب عن عوز بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن
 أبي الاسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الحدور العين
 يغنين في الجنة يقان نحن الحدور الحسنات خالقن لآزواج كرام » ورواه ابن أبي
 الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي
 عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره (وأما حديث ابن أبي
 أوفى) فقال أبو نعیم حدثنا محمد بن جعفر عن أصله حدثنا موسى بن
 هارون حدثنا حامد بن يحيى الباخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب
 حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن
 ابن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يزوج كل واحد من أهل
 الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة
 أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبید ،
 ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا
 نظعن ، ولو بی ان كان لنا وكن له » (وأما حديث أبي أمامة) فقال جعفر

الفرجاني حدثنا ساجان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل: «ما من عبد يدخل الجنة الا ويحلس عند رأسه وعند رجليه ثلثان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان» (وما حديث ابن عمر) فقال الطبراني حدثنا أبو رفاعه عمارة بن وثيمة بن موسى بن القرات المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعين، وإن مما يغنين به نحن الخالدات فلا تمتنه، نحن الآمئات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نطمئن» قل الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم الا محمد تفرد به ابن أبي مريم وقل ابن وهب حدثني سعيد بن أبي أيوب قال وقل رجل من قريش لابن شهاب هل في الجنة سماع فانه حبيب الى السماع؟ فقال أي والذي نفس ابن شهاب بيده ان في الجنة لشجرا جملة اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقان نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صلق بعضه بعضاً فاجبن الحوارى فلاندرى أصوات الحوارى أحسن أم أصوات الشجر؟ قل ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ان الحور العين يغنين أزواجهن فيقان نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نطمئن، في صدر احدهن مكتوب أنت حبي وأنا حبيبك انتهت نفسي عندك لم تر عيناى مثلك» وقال ابن المبارك حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير «ان الحور العين يتاقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طالما انتظرناكم فنجن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نطمئن والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنا حبيبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل»

(فصل)

(ولهم سماع أعلى من هذا)

قال ابن أبي الدنيا حدثني دهثم بن النضل القرشي حدثنا رواد بن الجراح عن

الاوزاعي : « قال بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يثبت فيقول الله عز وجل وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري » وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماءهم وأنفسهم عن مجالس الله ومزامير الشيطان أسمئوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتمجيدى » وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودى يادادود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدنى به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الاسود عن شهر بن حوشب قال : « ان الله جل ثناؤه يقول للملائكة ان عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلى فاسمعوا عبادى فيأخذوا باصوات من تهليل وتسابيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط » وقال عبد الله بن الامام أحمد في كتاب الزهد لأبيه حدثني على بن مسلم الطوسى حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار « في قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول يادادود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول الهى كيف أمجدك وقد سلبتني في دار الدنيا قال فيقول الله عز وجل فاني أردته عليك قال فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة » وقال ابن أبي الدنيا حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني حدثنا مسكين بن بكير عن الاوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قال : « ان في الجنة شجرة تمر هازر جدد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع الله منها » حدثنا أبو بكر بن يزيد وابراهيم بن سعيد قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : « في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها فيشتمى بعضهم فيذكر لهُو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك

الشجرة بكل لهُوكن في الدنيا» حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد الحارثي قال حدثت «أن في الجنة آجاما من قصب من ذهب حماها المأولوا فإذا اشتبه أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا يمشي الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه»

(فصل)

ولهم سماع أعلى من هذا يسمع كل سمع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرتهم وهم يقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رجالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثاهل من الغد»

﴿الباب الثامن والخمسون﴾

(في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)

قال الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت، قل وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال فلم يقل ما قال لصاحبه قال إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه

بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودي حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة الاحمسي حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال يا رسول الله اني أحب الخيل افي الجنة خيل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت الجنة أتيت بفارس من ياقوتة له جناحان فجمات عليه ثم طار بك حيث شئت » قال الترمذي هذا حديث اسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبي أيوب الا من هذا الوجه وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث ضعفه ابن معين جداً وسمعت محمد بن اسماعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه « قلت » أما حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب فيه علقمة مرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبد الرحمن ابن سابط عن عمير بن ساعدة قال : « كنت أحب الخيل فقامت هل في الجنة خيل يا رسول الله » ومرة يقول قال رجل من الانصار يقال له عمير بن ساعدة يا رسول الله ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم والترمذي جعل هذا أصح من حديث المسعودي لان سفيان أحفظ منه وأثبت وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة « ان اعرابيا قال يا رسول الله افي الجنة ابل؟ قال يا اعرابي ان يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي تنسك وتلد عينك » ورواه أيضا من حديث علقمة عن يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال « والفر دوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني حبيب إلى الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال أي والذي نفسي بيده ان في الجنة خيلا وإبلا هنافاة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاؤا ، فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني حبيب إلى الابل » وذكر الحديث وأما حديث أبي سورة فلا يعرف الا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائي وقد أخرج له أبو داود حديث « ستفتح عليكم الامصار وتجنبدون اجنادا » وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توطأ فخلل لحيته » وحديثنا آخر في تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذي حديث « خيل الجنة » فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : « ان أهل الجنة ليتزاورون

على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والابل»
وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان
ابن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن
عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم
خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقمعدوا عليها ثم طارت
بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فإذا رآوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار
تعالى: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون
رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيباً فيمرون بكشبان المسك فيبعث الله على تلك
الكشبان ريحاً فتهميجهن عليهم حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم وأنهم لشعث غبر»
وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في
الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب»

(الباب التاسع والخمسون)

(في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)
قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون قال قائل منهم انى كان لى قرين
يقول أئنتك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، قال هل أنتم
مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت
من الخضرين) فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون
ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة
إلى أن قال قائل منهم انى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول
ما حكاه الله عنه يقول أئنتك لمن المصدقين بانا نبئت ونجازى بأعمالنا ونحاسب
بها بعد أن مزقنا البلى وكنا تراباً وعظاماً ثم يقول المؤمن لآخوانه فى الجنة هل
أنتم مطلعون فى النار لمنظر منزلة قرينى هذا وما صار اليه ، هذا أظهر الأقوال
وفيهما قولان آخران (أحدهما) أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث
بعضهم بعضاً هل أنتم مطلعون رواء عطاء عن ابن عباس (والثانى) انه من قول
الله عز وجل لاهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والصحيح القول الاول وأن
هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والاخبار عنه وعن حال قرينه
قال كعب بن الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا

اطلع من بعض تلك الناري (وقوله) فطاع أى أشرف قل مقابله لما قل لاهل الجنة هل أنتم مظلعون قالوا له أنت أعرف به منا فطاع أنت فأشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه أياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير فعندها قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أى إن كدت لتهاكنى ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك فى العذاب وقال تعالى (وَقَبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قُلُوبًا إنا كذا فقبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن أنقاسم عن أبى امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايتراور أهل الجنة ؟ قال يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاؤوا على الترق محققين الحشايا » (١) وقال الدورق حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا ساجان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى » وقد تقدم حديث عاقمة بن مرثد عن يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة وقال الطبرانى حدثنا محمد ابن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه « إن أهل الجنة يترأفون على النجائب » وقد تقدم فأهل الجنة يترأفون فيها ويستزير بعضهم بعضا وبذلك تم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله « كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا ، قل إن لكل حق حقيقة فى حقيقة إيمانك » قال عزفت (٢) نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظلمات نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وإلى أهل الجنة يترأفون فيها وإلى أهل النار يمدبون فيها ، فقال عبد نور الله قلبه » وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس قال دل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض قل فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعوا جميعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله

(١) أى جعلوا وراءهم العرش ، والحشايا الفرش واحدها حشية (٢) عزفت نفسى عن الدنيا أى كرهتها وطافتها ويروى عزفت بضم التاء أى منعته وصرفتها . ع

فغفر لنا» قال وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والمجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ماجة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينفثوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينفثوا ذلك فوق أمانهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتفسف كئائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك في نواص خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم حمة على ما اشتتهت نفسه فيتعاق ذلك المسك في تلك الجمال وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينفثوا إلى ما شاء الله تعالى فإذا المرأة تذدى بعض أولئك يا عبد الله أمالك فينا حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك فتقول المرأة أو ما علمت أن الله قل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فاعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة» حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين ابن سعد قال حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال «إن أهل الجنة ليتزاورن على العيس الجون (١) عليها رحال الميس (٢) تثير مناسمها (٣) غبار المسك خطام أوزمام أحدها خير من الدنيا وما فيها» وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسام عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (وتنخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) قال هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسياهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمته الدر الأبيض برحال الذهب أعناقها السندس والاستبرق وتمازقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خاقيه يضحك الله إليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر

(١) هي الابل البيض مع سواد يسير واحدها أعيس وعياماء (٢) الميس شجر

صلب تعمل منه أكوار الابل ورحالها (٣) أي اخفافها . ع

ابن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه
وامام يقول: إن في الجنة أشجرة يخرج من أعلاها حلال ومن أسفلها خيل من
ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها
مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم
درجة يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال فيقال لهم كانوا يصلون في الليل
وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون
وكانوا يقاتلون وكنتم تحبسون»

(فصل)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى
فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيجربك ذكر هذه الزيارة
من قريب إن شاء الله

— الباب الستون —

(في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها)

ذل مسلم في صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن
سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «إني في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم
ونياهم فيزدادون حسنا وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالاً فيقول
لهم أهلهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسنا وجمالاً فيقولون والله وأنتم لقد ازدادتم بعدنا
حسنا وجمالاً» ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال فيها
كتاب المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح» وقال ابن أبي عاصم في كتاب
السنة حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العسر عن
الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال
أبو هريرة: «سأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أو فيها
سوق؟ قل نعم، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن أهل الجنة إذا دخلوها
نزلوها بنخل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا فيزورون
الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة
فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت

ومناير من ذهب ومناير من فضة ويجلس أدنى وما فيها دنى على كشبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عز وجل؟ قل نعم ، قل هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا ، قل فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يرقى في ذلك الخناس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فمات كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول بلى أفلم تغفر لي ، فيقول بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، قال فبيناهم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم ديباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، قل ثم يقول ربنا تبارك وتعالى قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوها ما اشتهيتم ، قال فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشتري ، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قل فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقض آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقبلن مرحباً وأهلاً بحبنا فقد جاءت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فتقول أنا جالسنا اليوم : بنا الجبار عز وجل وبحبنا ان نقلب بمثل ما نلقينه ، ورواه الترمذي في صلاة الجنة عن محمد بن اسماعيل عن هشام بن عمار رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس في هذا الاسناد من ينظر فيه الا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الاوزاعي فلا تكثرنا فيه تفرده عن الاوزاعي بما لم يروه غيره وقد قل الامام أحمد وأبو حاتم الرازي هو ثقة وأما دحيم والنسائي فضعفاء ولا نعرف انه حدث عن غير الاوزاعي والترمذي قل في هذا الحديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه «قلت» وقد رواه ابن أبي الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعي قل؟ نبت ان سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره وقل الترمذي حدثنا ياحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن اسحاق عن الثماني بن سعد عن علي بن أبي طالب قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا انتهى الرجل الصورة دخل فيها » قال هذا حديث غريب وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي

عن أنس بن مالك قال: «يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كئيبان المسك فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن ، قال فيقلن لقد رجعتن بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا» قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: «ان في الجنة سوقا كئيبان مسك يخرجون اليها ويجتمعون اليها فيبعت الله ريحا فتدحهاها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم اذا رجعوا اليهم قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لاهليهم قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا» وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرى المعروف بمطين حدثنا أحمد بن محمد بن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين ان في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشتري الا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» والله اعلم

❦ الباب الحادى والستون ❦

(في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى)

قال الامام الشافعى رضى الله عنه في مسنده حدثنا ابراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة يبعثها فيها وكت (١) الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ﷺ : هذه ؟ قال الجمعة فضات بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيدي ، قال النبي ﷺ : يا جبريل وما يوم المزيدي ؟ قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كئيب المسك فاذا كان يوم القيامة انزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد انبيئين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورأهم على تلك الكئيب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلو في أعظكم ، فيقولون : ربنا نسئلك رضوانك ، فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي

(١) الوكت جمع وكثة وهي الاثر في الشيء . ع

استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة » ولهذا الحديث طرق سنشيرانها في باب المزيد ان شاء الله تعالى وروى ابو نعيم من حديث شيبان بن خبير بن فرقد عن الحسن عن ابي برزة الاسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان اهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدوا أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل » قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله وذكر ابو نعيم أيضا من حديث أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال: « اذا سكن اهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم ان الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق الا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال لهم لستم في دار عمل انما أنتم في دار جزاء » وقال ابن أبي الدنيا حدثنا ابو موسى اسحاق بن ابراهيم المروى حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي قال حدثني أبو الياس قال حدثني محمد بن علي بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنيس حدثنا ابراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا المدايني ابن عمران وكان من خيار الناس قال حدثني ادريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال ادريس ثم انيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة حدثني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى لوسخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر ، وأقامها سندس واستبرق ، وثمرها حالي وصفها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وثرابها مسك وحشيشها زعفران ، منيع والا لنجوج يؤججان من غير وقود ويتنجر من أصلها بها الساسيل والممين والرحيق وظلها محاسن من محاسن اهل الجنة يألونه ومتحدث بجمعهم ، فبينما هم يوما يتحدثون في ظلها اذ جاءتهم الملائكة يقولون نجبا جبات من الياقوت ثم تفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كن وجوها المصابيح انارة وحسنا ، وبرها خز أحمر ، ومرعزي أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها

عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت منقصة بالؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعقري والأرجوان فأناخوا اليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم ان ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا اليه وينظر اليكم وتحبونه ويحببكم ويكرمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله انه ذورحة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحته ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا لا يفوق منه شئ شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبته ولا تركب ناقة بركت صاحبته ولا يمرن بشجر من أشجار الجنة ألا أتخفتم بشمرها ورحات لهم عن طريقهم ، كراهية ان ينشلهم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما دفعوا الى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلي لهم في عظامته العظيمة فقالوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام ، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى اني السلام ومنى السلام ولي حق الجلال والاكرام مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي وراعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا منى على كل حال مشفقين قالوا وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا اليك كل حقك فإذن لنا بالسجود لك فقال لهم ربهم تبارك وتعالى انى قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وارتحت لكم أبدانكم فلما لما ما أتعبتم الى الأبدان وأعنتهم الى الوجوه فالآن أفضيتهم الى روحى ورحمتى وكرامتى فاسئلونى ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيتكم فانى ان أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شائى ، فلا يزالون فى الامانى والعطايا والمواهب حتى ان المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل لقد قصرتم فى أمانيتكم ورضيتكم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتهم ونمنيتهم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرتم عنه أمانيتكم ، ولا يصح رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وحسبه ان يكون من كلام محمد بن على فغاط فيه بعض هؤلاء الضعفاء لجعله من كلام النبى ﷺ وادريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى وقال الدار قطنى متروك وأما أبو الياس المتابع له فلا يدرى من هو وأما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فجهول أيضا ومثل هذا لا يصح رفعه والله أعلم وقال الضحاك فى قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال على النجائب عليها الرحال

﴿الباب الثاني والستون﴾

(في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة)

قد تقدم في حديث سوق الجنة انه يغشاهم يوم الزيادة سحابة من فوقهم فتسطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط، وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطر كم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا» وقال ابن أبي الدنيا حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليماني قال سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: «إنهم يقدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة، كل انسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم بحالهم قال الله تعالى: اطعموا عبادي وخلقى وجيراني ووفدى فيطعموا ثم يقول أسقوهم قال فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ثم يقول عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فكمهم فتجىء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاؤا ثم يقول عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا كسوها فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تذب إلا الحلل فتندثر عليهم حملا وقصا ثم يقول عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا وكسوا طيبوهم فيمتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول عبادي وجيراني وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا وكسوا وطيّبوا لا تنجبن لهم حتى ينظروا إلى فإذا تجلى لهم فنظروا إليه انضرت وجوههم، ثم يقال لهم ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرب وجوهنا» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شني بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من نعم أهل الجنة أنهم يزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ماحمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون امطري علينا

(١٣ - م - حادي الارواح)

فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتدسف كثباننا من مسك عن أيمنهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم حمة على ما اشتئت نفسه فيتماع ذلك المسك في تلك الحمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى يذهبوا إلى ما شاء الله فإذا المرأة تنادى بعض أولئك يا عبد الله أمالك فينا من حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم»

(فصل)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سببا للرحمة والحياة في هذه الدار ويجعله سببا لحياة الخلق في قبورهم حيث يطر على الأرض أربعين صباحاً . مطرا متداركا من تحت العرش فينبئون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش (١) عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ويثير لهم سحاباً في الجنة يطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يطر عليهم عذاباً إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً يطر عليهم عذاباً أهلكتهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب

— الباب الثالث والستون —

(في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها)

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) قال ابن أبي نجيع عن مجاهد « ملكا كبيرا قال عظيماء وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بأذن وقال كعب في قوله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بأذن ، وقال الحكم بن أبان عن نكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سفيان يقول في قوله عز وجل : « وإذا رأيت

(١) الطش والطشيش المطر الضعيف وهو فوق الرذاذاه قاموس

ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا قال الملك الكبير أن رسول الله يأتيه بالتحفة والالطف فلا يصل اليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولى الله فاني لست أصل اليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه الا باذن وهو يدخل على ربه بلا إذن، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم» حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنبيء من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم الا ومعه طرفة ليست مع صاحبه» وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد بن هلال : «قال ما من رجل من أهل الجنة الا وله ألف خازن ليس منهم خازن الا على عمل ليس عليه صاحبه» وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد ابن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : «ان العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ» حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال : «ان أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنبيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه» وقال عبد الله ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد الله بن رجز عن محمد بن أبي أيوب الخزومي عن أبي عبد الرحمن المغافري قال : «انه ليصف للرجل من أهل الجنة سباطان لا يرى طرفهما من غلما نه حتى اذا مر مشوا وراءه» وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ ويافوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج قال جلست

إلى أبي أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده
سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة
الله عز وجل يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن
فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ
المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه
للذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل
فيسلم ثم ينصرف» وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا
سليمان العنبري عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينما ولي الله في منزله إذ أتاه رسول
من الله عز وجل فقال للاذن استأذن لرسول الله على ولي الله فيدخل الآذن
فيقول له يا ولي الله هذا رسول من الله يستأذن عليك قال ائذن له فيأذن له
فيدخل على ولي الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك
السلام ويأمرك أن تأكل من هذه» قال فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول إنما كنت
هذا الآن فيقول إن ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعام
كل ثمرة في الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأنتوا به متشابهة) «وفي صحيح مسلم
من حديث المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه
ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يحىء بعد ما أدخل أهل الجنة
الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم
وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟
فيقول رضيت ربي فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في
الخامسة رضيت ربي فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولدت
عينك فيقول رضيت ربي» وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه (وقال البزار)
في مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الحريري
عن أبي بصرة عن أبي سعيد قال: «خاف الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب
وغرسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة
فقالت طوبى لك منزل الملوك» هكذا رواه وهيب عن الحريري موقوفا ورواه
عدي بن الفضل عن الحريري فرفعه وقال البزار ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدي
ابن الفضل بهذا الاسناد وعدي بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصري

قلت عدى ابن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم وإنما يلبسها الملوك

— الباب الرابع والستون —

(في ان الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وان موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)

قل تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخناه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الاعين في الجنة (وفي الصحيحين) من حديث أبي هريرة قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» صدق ذلك في كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفي لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً لله ما أطلعكم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس الآية » وفي بعض طرق البخاري « قل أبو هريرة: اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: «شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » (وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قل قال رسول الله ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا مشعر للجنة فمن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ و، بحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحال كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ومحلة عالية بهية) ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا انه لا يسأل بوجه الله غيرها لكناها

شرفاً وفضلاً كما في سنن أبي داود من محمد حديث سليمان بن معاذ عن بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسأل بوجه الله الجنة» وفي معجم الطبراني من حديث بقرية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خاق الله الجنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لهما تكلمي فتالت قد أفلح المؤمنون» وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (وقال الامام أحمد) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض» وهذا الاسناد على شرط الصحيحين وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب» قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من حديث ابن لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قات وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث ان سليمان بن حميد حدثه ان عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سليمان لا أعلم الا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: «لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض» وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله ابن عمرو بن العاص «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملأها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بمخايفه، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فان سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الاذفر،

وان سألت عن حصباؤها فهو اللؤلؤ والجوهر . وان سألت عن
بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب . وان سألت عن أشجارها فإ فيها
شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب . وإن سألت
عن ثمرها فأثمار القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . وان سألت عن ورقها
فاحسن ما يكون من رقة ثق الخلل . وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير
طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم
ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون . وان سألت عن شرابهم فالتسليم
والزنجبيل والكافور . وان سألت عن آنية الذهب والفضة في صفاء
القوارير . وان سألت عن سعة أبوابها فبين المصرعين مسيرة أربعين من
الاعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيم من الزحام ، وان سألت عن تصفيق الرياح
لأشجارها فأنها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وان سألت عن ظلها فأنها شجرة
واحدة يسير الركب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وان سألت عن سمعتها
فأذني أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام ، وان
سألت عن خيامها وقبابها فالحيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا
من تلك الخيام . وان سألت عن علائها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الأنهار . وان سألت عن ارتفاعها فانظر الى الكوكب
الطالع أو الغارب في الافق الذي لا تكاد تناله الابصار . وإن سألت عن لباس أهلها
فهو الحرير والذهب . وان سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى
الرقب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الاسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزودة
بازرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال . وان سألت عن حرمه أهلها وحسنهم
فعلى صورة القمر . وان سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم
عليه السلام أبي البشر * وإن سألت عن سمعهم ففناء أزواجهم من الحور العين
وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والتبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .
وان سألت عن مطاياهم اتى يتزاورون عليها فنجايب إن شاء الله مما شاء تسير
بهم حيث شاؤا من الجنان . وان سألت عن حلبيهم وشارتهم فساور الذهب
واللؤلؤ على الرأس ملابس التيجان * وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون
كأنهم لؤلؤ مكنون . وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواكب الاتراب

اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود. وللرمان
ما تضمنته النهود. وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور. وللرقة واللطافة ما دارت عليه
الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضئ البرق من بين ثناياها
إذا ابتسمت. إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة
الحبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى
المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستتره جلدها ولا
عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملاّت ما بين الأرض والسماء ريحا ، ولا استنطقت
أنفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسيبجا ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولا غمضت عن
غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولا آمن
من على ظهرها بالله الحى القيوم . ونصيتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ،
ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها ، لا تزداد على طول الاحقاب الاحسنا
وجالا ، ولا يزداد لها طول المدى المحبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة
والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ،
لا يفنى شبابها . ولا تبلى ثيابها . ولا يخلق ثوب جمالها . ولا يغلب طيب
وصالها . قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لاحد سواه . وقصر طرفه عايتها
فهى غاية أمنيته وهواه . ان نظر إليها سرتة . وان أمرها بطاعته اطاعته . وان
غاب عنها حفظته . فهو معها فى غاية الأمانى والأمان . هذا ولم يطمئنها قبله
انس ولا جان . كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا . وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا
منظوما ومنشورا . وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا * وان سألت عن
السن فأترب فى أعدل سن الشباب . وان سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس
والقمر . وان سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور .
وان سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الاغصان . وان سألت عن النهود
فهن الكواعب نهودهن كالطف الرمان . وان سألت عن اللون فكأنه الياقوت
 والمرجان * وان سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان * اللاتى جمع لهن
بين الحسن والاحسان * فاعطين جمال الباطن والظاهر * فهن أفراح النفوس
وقرة النواظر * وان سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب
المتحبيات إلى الأزواج بلطفة التبعيل التى تمتزج بالروح أى امتزاج . فما ظنك

بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاعت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قات هذه الشمس متنقلة في بروج فللكها. وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة * وإن خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمحاصرة

وحديثها المعجر الحلال لو أنه لم يحن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يمل وإن هي حدثت ود أحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيالذة الابصار والاسماع . وإن آنت وأمتعت فيا حبذا
تلك المؤانسة والامتاع . وإن قبات فلا شيء أشهى إليه من ذلك
التقبيل . وإن فولات فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل * هذا وإن
سألت عن يوم المزيّد وزيارّة العزيز الحبيب ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل
والتشبيه . كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق
المصدوق النقل فيه . وذلك موجود في الصباح والسنن والمسانيد . من
رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد . فاستمع
يوم ينادى المنادى يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزركم فحي على زيارته
فيقولون سمعاً وطاعة. وينهضون إلى الزيارة مبادين. فاذا بالنجائب قد أعدت
لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل
لهم موعداً . وجعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً . أمر الرب تبارك
وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ
ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أدناهم وحاشاهم
أن يكون فيهم دنيء (١) على كئيبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم
في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم وأطمانت بهم أمانتهم. نادى المنادى
يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو؟ ألم
يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك
اذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فأذا الجبار جل جلاله
وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا
ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول
يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى ابن عبادي الذين أطاعوني
بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيّد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضىنا

فارض عنا : فيقول يا أهل الجنة اني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي . هذا يوم المزيد فاسألوني . فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر اليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا ان الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا يحترقوا . ولا يبقى في ذلك الحباس أحد الا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى انه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا . فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟ فيقول بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه فيالذه الاسماع بتلك المحاضرة وبافارقة عيون الابرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة ، وباذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة »

فهي على جنات عدن فلها منازل الأولى وفيها الخيم
ولكن ناسي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

❦ الباب الخامس والستون ❦

(في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جبهة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا اليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطراً وأقربها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدّها على أهل البدعة والضلالة وهي الغاية التي شمر اليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون . وتسايق اليها المتسابقون . ولئلا فليعمل العاملون . اذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم * وحرمانه والحجاب عنه لاهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم * اتفق عليها الأنبياء والمرسلون . وجميع الصحابة والتابعون . وأئمة الاسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع المارقون . والجهمية المتهوكون (١) والفرعونية المعطلون . والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون . والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون . ومن حبل الله منقطعون وعلى مسببة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون . وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون . أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه . وهو كليمه ونجيّه وصفيه من

أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له ربه تبارك وتعالى: «لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا» وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة (أحدها) أنه لا يظن بكلام الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الاصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران. وبما يستحيل عليه ويحجب به وأشد تنزيها له منه!! (الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لانكره عليه. ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه. ولما سأل عيسى بن مريم ربه انزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله. ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال «انى أعظك أن تكون من الجاهلين». قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين» (الوجه الثالث) أنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لا ترانى ولا انى لست بمرئى ولا تجوز رؤيتى والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى (يوضحه الوجه الرابع) وهو قوله ولكن النظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف (الوجه الخامس) ان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير ان يقول ان استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء (الوجه السادس) قوله سبحانه وتعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز ان يتجلى للجبل الذى هو جواد لا ثواب له ولا عقاب فكيف بمنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويرىهم نفسه؟ فأعلم سبحانه

وتعالى موسى أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف (الوجه السابع) أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز علميه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فانكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ولهذا سأله موسى النظر اليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع مخاطبه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه . وأما قوله تعالى «لن تراني» فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف اذا أطلقت قال تعالى «ولن يتمنوه أبدا» مع قوله تعالى «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك» .

(فصل)

الدليل الثاني قوله تعالى: «واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه» وقوله تعالى «تحيتهم يوم يلقونه سلام» وقوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه» وقوله تعالى «قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله» وأجمع أهل اللسان على ان اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمنايع يقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على ان المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب ان شاء الله تعالى (وفى هذه المسألة) ثلاثة أقوال لاهل السنة (أحدها) أن لا يراه الا المؤمنون (والثانى) يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (والثالث) يراه المنافقون دون الكفار . والاقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه لهم ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: «يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فلاقه» ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا . وان عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاءه الذى وعده به

(فصل)

الدليل الثالث قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن فالصحابية من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويرزقنا عن النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة» وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البلمخي عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجهه الله (وقل) محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء بن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله: قامت عطاء هذا هو الخراساني وليس عطاء بن أبي رباح قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الله عز وجل » وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن ابن أبي عمير عن أبي تميم الهيمجي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً نادى يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى والحسنى الجنة

والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل » وقال ابن وهب أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تميم الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة مناديا نادى يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم أن الله وعدمكم الحسنى وزيادة ، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن »

(وأما الصحابة) فقال ابن جرير حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد بن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر الى وجه الله الكريم. وبهذا الاسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر إلى وجه ربهم تعالى. وحدثنا علي بن عيسى حدثنا شعبة حدثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميم الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديا نادى هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم . فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل ، وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تميم قال سمعت أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا ينقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شيء إن الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى . (وفي تفسير) أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحميري عن ابن مسعود (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) قال أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله وأما القتر فليسواد (وقال) عبد الرحمن بن أبي ليلى وطاهر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف في الآية « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » بعد النظر إليه والاحاديث

عنهم بذلك ، حبيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى اتى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى

﴿فصل﴾

(الدليل الرابع) قوله تعالى: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ووجه الاستدلال بها انه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى قل سمعت الشافعى يقول فى قوله عز وجل: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم انقيامة (وقال الحاكم) حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن ادریس الشافعى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول فى قول الله عز وجل «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فقال الشافعى لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على ان أولياءه يرونه فى الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن ادریس انه يرى الله لما عبد الله عز وجل ورواه الطبرانى فى شرح السنة من طريق الأصم أيضا وقال أبو زرعة الرازى سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد الله ابن الحكم هل يرى الخلق كلام ربهم يوم انقيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد ابن عبد الله ليس يراه الا المؤمنون قال محمد وسئل الشافعى عن الرؤية فقال يقول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فى هذا دليل على ان المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل

﴿فصل﴾

(الدليل الخامس) قوله عز وجل: «لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد» قال الطبرانى قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره

(فصل)

(الدليل السادس) قوله عز وجل: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار»

والاستدلال بهذا أعجب فانه من أدلة النفاذ وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي أنا ألتزم انه لا يحتج بمبطل بآية أو حديث صحيح على بطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على تقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فان الله سبحانه انما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح انما يكون بالآوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم اذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ونفى الغيوب والاعياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره . ونفى الاكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه . ونفى الشناعة عنده بدون اذنه المتضمن كمال توحيدده وغناه عن خلقه . ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفى النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته . ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فان المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكمال بما يشترك هو والمعدوم فيه . فلو كان المراد بقوله «لا تدركه الابصار» انه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فاذا الممنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كن الممنى في قوله «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة» انه يعلم كل شيء وفي قوله «وما مسنا من لغوب» انه كمال القدرة وفي قوله «ولا يظلم ربك أحدا» انه كمال العدل وفي قوله «لا تأخذ سنة ولا نوم» انه كمال القيومية فقوله «لا تدركه الابصار» يدل على غاية عظمته وانه أكبر من كل شيء وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فان الادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قل كلا» فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم (انا لمدركون) انا لمرئيون فان موسى صلوات الله وسلامه عليه نفي ادراكهم ايهم بقوله كلا وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم داريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والائمة من

الآية قل ابن عباس: لا تدركه الابصار، لا تحيط به الابصار قل قتادة هو أعظم من أن تدركه الابصار وقل عطية (١) ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه (ونظير هذا) استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لا كثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها والأدلة أريد بها نفى الصفات لكان المدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل: أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فأت أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الابصار من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) من أدل شيء على مباينة الرب خلقه فانه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدره وإرادة وسمعا وبصرا، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فانه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الابصار وتحيط به، وللطيف وخبرته يدرك الابصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطيفه، اللطيف في عظمته، العالی في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

(فصل)

(الدليل السابع) قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وانت إذا

(١) كذا في النسخ ولعله ابن عطية المفسر . ع

أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالابصار يوم القيامة، وإن أبيت الانحرافها الذي يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل في هذه الآية وتعميده باداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعنى بالي خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعميده بنفسه، فإن عدى بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم) وإن عدى بفي فعناه التفكير والاعتبار كقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بالي فعناه المعاينة بالابصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أنثر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر!! قال يزيد بن هارون أنبأنا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره، فاستمع الآن أيها السني تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الأئمة لهذه الآية (قل ابن مردويه) في تفسيره حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد ابن الصباح حدثنا المصعب بن المقدم حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي ناجة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن، إلى ربها ناظرة قال في وجه الله عز وجل، وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل، وقال عكرمة وجوه يومئذ ناضرة قال من النعيم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث

﴿فصل﴾

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجابر ابن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلى بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أميمة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمار بن ربيعة، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان، وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى * فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقاها بالقبول والتسليم وانشرح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين

(فصل)

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقل الأئمة أحمد حدثنا إبراهيم ابن اسحاق الطالقاني قال حدثني النضر بن شميل المازني قال حدثني أبو نعمة قال حدثني أبو حميدة البراء بن نوفل عن دالان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فغسل الفداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط؟ قال فسأله فقال نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم أنت أبو البشر وانت اصطفاك الله عز وجل أشفع لنا إلى ربك، قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح (ان الله

اصطنى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران (على العالمين) قل فينطلقون الى نوح صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا الى ربك فانك اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الارض من الكافرين ديارا فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله اتخذ خليلا فينطلقون الى ابراهيم فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل كلمه تكليما فيقول موسى صلى الله عليه وسلم ليس ذلك عندي، انطلقوا الى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فانه كان يبرىء الاكمه والابرص ويحيى الموتى فيقول عيسى ليس ذلكم عندي، انطلقوا الى سيد ولد آدم انطلقوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاشفع لكم الى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل صلى الله عليه وسلم فيخر ساجدا قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، قال فيرفع رأسه فاذا نظر الى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، قال فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الداء شيئا لم يفتح به على بشر قط، فيقول اى رب خالقنى سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الارض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد على الحوض اكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعوا الانبياء قال فيجىء النبي ومعه العصاة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه احد، ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال فاذا فعمات الشهداء ذلك قل فيقول الله عز وجل انا ارحم الراحمين ادخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا، قال فيدخلون الجنة، قال ثم يقول الله عز وجل انظروا في اهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال فيجدون في النار رجلا فيقولون له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير انى كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدى بسماحته الى عبىدى ثم يخرجون من النار رجلا يقول له هل عملت خيرا قط لا فيقول لا غير انى أمرت ولدى إذ امت فأهرقونى في النار ثم اطحنونى حتى اذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى الى البحر فأذرونى في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين ابدا فقال الله عز وجل له لم فعلت ذلك؟ قال من مخافتك، قال فيقول الله عز وجل انظر الى ملك

أعظم ملك فان لك مثله وعشرة أمثاله ، قال فيقول أسخرني وأنت الملك ، قل
وذلك الذي ضحكك منه من الضحى»

(فصل)

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد في الصحيحين من حديث أبي هريرة
«أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله؟ قال هل
تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك،
يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان
يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد
الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله تعالى في
صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا
مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله عز وجل في صورته
التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعوه ، ويضرب الصراط
بين ظهراي جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يحيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ،
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان
هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يارسول الله ، قال فأنها مثل شوك السعدان
غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمن الموق
بعمال ، ومنهم المجازي حتى ينجوا فاذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد أن
يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان
لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم
بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن
تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا (١) فيصب عليهم ماء الحياة
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى
رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أي رب
أصرف وجهي عن النار فانه قد قشبنى ريحها (٢) وأحرقني ذكاؤها (٣) فيدعو الله

(١) يروى مبنيا للفاعل أي احترقوا والحمش احتراق الجلد وظهور العظم ويروى
امتحشوا لما لم يسم فاعله (٢) أي سمنى وكل مسموم قشيب ومتشب يقال
قشبتني الريح بالتشديد وقشبتني بالتخفيف (٣) الدكاء شدة وهج النار ويقال
ذكت النار أي اشتعلت وذكتها أي أتممت إشعالها . ع

ما شاء أن يدعوهم ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن
 تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله
 فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة وراها سكنت ما شاء الله أن
 يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله ليس قد أعطيت عهودك
 ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول أي
 رب فيدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول
 لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام
 على باب الجنة انتهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن
 يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له اليس قد أعطيت
 عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول أي
 رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله
 منه قال أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله
 ليذكره فيقول تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قل الله عز وجل ذلك
 لك ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه، قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد
 الخدرى مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة
 قال إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله
 معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه، قال أبو
 سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة
 أمثاله، قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة وفي الصحيحين
 أيضاً عن أبي سعيد الخدرى «أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
 يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
 هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون
 في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟ قالوا لا يا رسول الله؟ قل ما تضارون
 في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة؟ إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم
 القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله
 من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد
 الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون
 قالوا كنا نعبد عزير بن الله، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فإذا

تبعون؟ قلوا عطشنا ياربنا، فاستقنا فيشار اليهم ألا تردون؟ فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، ثم تدعى انصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ لو اكننا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبعون فيقولون عطشنا ياربنا فاستقنا، فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أنا هم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قل فما تظنون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قلوا ياربنا فارقمنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نه احبهم، فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاث حتى إن بعضهم ليسكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قدميه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزالة فيه خطا طيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح كالطير كأجوايد الخيل والركاب فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم؛ (١) حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استئناء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خالقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرنا، فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خالقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن أمرنا أحداً، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خالقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن أمرنا أحداً ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خالقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم ندر فيها خيراً قط، وكان أبو سعيد الخدري يقول ان

(١) أى مدفوع فيها يقال تكسب الإنسان إذا دفع من وراءه فسقط . ع

لم تصدقوني بهذا الحديث فافقروا ان شئتم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حتماً فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس اصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون ابيض فقالوا يارسول كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كلؤلؤ فيرقاهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخاها الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ياربنا وأى شئ أفضل من هذا فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً »

(فصل)

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله (فسبح بحمد ربك قبل دُلُوع الشمس وقبل الغروب) » رواه عن اسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن ادريس الأزدي ومحيي بن سعيد القطن وعبد الرحمن بن محمد الحارثي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلى بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو اسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد ابن فضيل والطفالوي ويزيد بن هارون واسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حى وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأعز سعيد ابن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ووه عمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم ابن سفيان ومنديل بن علي وأخوه سنان بن علي وعمر بن يزيد وعبد الغفار بن القاسم

ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعمام بن النعمان وعلي بن القاسم الكندي
وعبيد بن الاسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلم بن هلال ويحيى بن زكريا
ابن ابي زائدة والصابح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وابان بن
ارقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفي وعثمان بن علي وحسن بن
حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو بن هشام ومحمد بن
مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام
ابن ابي مطيع وداود بن الزبرقان وحامد بن ابي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام
ابن سلم وابومة تل بن حفص ومسيب بن شريك وابو حنيفة النعمان بن ثابت
وعمر بن سمر الجعفي وعمرو بن عبد الغفار التيمي وسيف بن هارون البرجمي
اخو سنان، وطابد بن حبيب ومالك بن سعيد بن الحسن بن يزيد بن عطاء مولى
ابي عوانة وخالد بن يزيد المصري وعبد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان
وابو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمّر بن سليمان الرقي ومرحى
ابن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم ابن طهمان وخارجة
ابن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروح وزيد بن ابي ايسة،
وجوده (١) فقال: «فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر» وابوشهاب
الخطاط وقال «ستروا ربكم عيانا» وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن
سليمان وابو جعفر الرازي والحسن بن ابي جعفر والوليد بن عمرو واخوه
عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرّة العنبري وزيد بن عبد العزيز
وعلى بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل واقاسم بن معن، تابع اسماعيل بن ابي
خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن
وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن ابي حازم
عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على اسماعيل بن ابي خالد وشهد اسماعيل بن ابي
خالد على قيس ابن ابي حازم وشهد قيس بن ابي حازم على جرير بن عبد الله وشهد
جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فكانت تسمع رسول الله ﷺ وهو
يقوله ويبالغه لامته ولا شيء أقر لآعينهم منه، وشهدت الجهمية والقرعونية
والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصائبة والمجوس واليونان بآفر من اعتقد
ذلك وانه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدول السنة وأهلها

(١) إلى هنا انتهى ذكر الرواة ثم ذكر أنه جوده أي جعله من قسم الجيد . ع

والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون

(فصل)

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق

« فصل »

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خالقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، اليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قل فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمنه فيأت بهم الرب عز وجل فيقول ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون ان لنا إلهاً ما رأيناه بعد، فيقول هل تعرفونه ان رأيتموه؟ فيقولون ان بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساقه

ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول أستهزئ بى وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قل فيقول الرب عز وجل لا، ولكنى على ذلك قادر سل، فيقول ألحقنى بالناس فيقول الحق بالناس قال فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك؟ فيقول رأيت ربى أو تراهى لى ربى فيقال له إنما هو منزل من منازلك قال ثم يلتقى فيها رجلاً فيتمياً للِسجود فيقال له مه مالك؟ فيقول رأيت انك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزائنك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلقها ومنايحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تنفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرور وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا عرض غنها اعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فتقول له والله والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلام؟ قال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قل وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراها من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى ان الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة الا دخلها من

ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسات فأقبضها؛ فقال كعب والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو» هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام ابن حرب حدثنا الدالاني حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة

« فصل »

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصنف حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكانهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى ولدينا مزيد »

« فصل »

وأما حديث أبي موسى في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (وقول الامام أحمد) حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الامم في صعيد واحد يوم القيامة

فاذا بدا الله أن يصدع بين خلقه (١) مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أتم؟ فنقول نحن المسلمون؛ فيقول ما تظنون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل؛ فيقول وهل تعرفونه ان رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول ابشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه» وقول حماد بن سامة عن علي بن زيد عن عروة قرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة» وذكر الدارقطني من حديث ابان بن أبي عياش عن أبي تميمه الهجيمي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولاهم وآخرهم ان الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»

(فصل)

وأما حديث عدى بن حاتم ففي صحيح البخارى قال: «بينما أنا عند النبي ﷺ اذ أتى اليه رجل فشكا اليه الناقة ثم أتى اليه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدى هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبت عنها قل فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله؛ قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء؟ (٢) الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ قل كسرى بن هرمز؛ ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحسكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم؛ قال عدى بن حاتم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن

(١) أى يفرق بينهم فينصل أهل الجنة من أهل السعير (٢) دعار طيء أراد بهم قطاع الطرق والدعارة الفساد والشر ورجل داعر خبيث مفسد ويجمع على دعار . ع

طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿فصل﴾

وأما حديث أنس بن مالك ففي الصحيحين من حديث سميد بن أبي عريضة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك وفي لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الخلق خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل قال فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطى، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني به ربي فأشفع فيجد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع، وسل تعطى، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني به ربي ثم أشفع فيجد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، قال فلا أدري في الثالثة أوفى الرابعة قل فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود» (وذكر ابن خزيمة) عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: «يأقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا، فذكر الحديث

الى أن قل فينطلقون الى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها فأناطق حتى
أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجداً (وذكر
الحديث) وقال أبو حنيفة وابن أبي عروبة وهام وغيرهم عن أنس في هذا
الحديث فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً وقال عفان عن حماد بن
سالم عن ثابت عن أنس فأتى ربى وهو على سرير أو كرسية فأخر له ساجداً
وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت
له ساجداً ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبتونا يقطع به أهل العلم
بالحديث والسنة وفي حديث أبي هريرة أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم
القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر: «وأنا
أول من يدخل الجنة ولا فخر» أخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقباني وجه
الجليل جل جلاله فأخر له ساجداً (وقال الدارقطني) حدثنا محمد بن إبراهيم
الذسائي العدل بمصر حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضي حدثنا أبو بكر
إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن
قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل (الذين
أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر إلى وجه الله عز وجل (حدثنا) أبو صالح
عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصماني ومحمد بن جعفر بن أحمد الطبري
ومحمد بن علي بن اسماعيل الأيلي قولا حدثنا عبد الله بن روح المدايني حدثنا
سلام بن سليمان حدثنا ورقاء واسرائيل وشعبة وجريير بن عبد الحميد كلهم قولا
حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: «أتاني جبريل وفي كفه كمرأة البيضاء يحماها، فيها كنز
السوداء فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ فقال هذه الجمعة؛ قلت وما الجمعة، قال
لكم فيها خير كثير؛ قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك
ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك؛ قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله
عبد فيها شيئاً هو له قسم، إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذخره له في آخرته
ما هو أعظم منه قلت ما هذه النكبة التي هي فيها؟ قال هي الساعة ونحن ندعوه
يوم المزبد قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة واديا فيه كشتبان
من مسك أبيض فإذا كن يوم الجمعة هبط من عليين على كرسية فيحذف الكرسي
بكراسي من نور فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحذف

الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر ثم يجيئ الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكراسى ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذى صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة « هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول (وجعل به الشافعى مسنده) فرواه عن ابراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الازهر عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه ثم قال الشافعى أنبأنا ابراهيم قال حدثنى أبو عمران ابراهيم ابن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء (ورواه محمد بن اسحاق) قال حدثنى ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقى الحديث * ورواه عمرو ابن أبى قيس عن أبى ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليعتاز عن أنس وجوده وفيه « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حفا الكراسى بمنابر من نور فيجيئ النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيئ أهل الغرف حتى يجلسوا على الكراسى قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول أنا الذى صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضى قال رضى آمن لكم دارى ، وأنا لكم كرامتى سلوني فيسألونه الرضى قل فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم » وذكر الحديث . ورواه على بن حرب حدثنا اسحاق ابن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن اخت سفيان الثوري عن ليث بن أبي ساييم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن (١٥ - م - حادى الارواح)

أنس قل سمعته يقول «يأينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أتاني جبريل في يده كالمراة البيضاء في وسطها كالكثة السوداء قلت يا جبريل ما هذا؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولاملك من بعدك، قال قلت يا جبريل ما هذه الكثة السوداء؟ قال هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد قل قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال ان الله اتخذ في الجنة واديا أفيح (١) من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكاله بالجواهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور ثم يؤذن لاهل الغرف فيقبلون يخوضون كشبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والنضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي فاذا اطلأوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقل لها المنيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فاذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤسكم فانما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء سلوني ما شئتم فانا ربكم الذي صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم، فيقولون ربنا وأى خير لم تفعله بنا؟ أأنت أعنتنا على سكرات الموت، وأأنت منا الوحشة في ظلمات القبور وأأنت روعتنا عند انفخة في الصور؟ أأنت أقلت عترتنا، وسرت عنا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ أأنت الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فى خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول أنا ربكم الذي صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتي فسلوني، فيقولون أسألك رضاك فيقول برضائي عنكم أقلتكم عتراتكم، وسرت عناكم القبيح من أموركم، وأدنيت منى جواركم. وأسمعتكم لذاذة منطقى وتجليت لكم بنورى، فهذا محل كرامتى فسلوني، فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلوني فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل

(١) أفيح واسع يقال بحر أفيح وفياح بمعنى واسع . ع

سلموني فيقولون رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة؛ قال أنس فقلت بأبي وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال كقدر الجمعة إلى الجمعة قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والتبويون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته؛ قال أنس سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه أحد» (ورواه الدارقطني) أيضا عن أبي بكر النيسابوري قال أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد بن جني حدثنا أبو اليان الحليم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس ورواه عن الأسود بن عامر قال ذكر لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الإبانة من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طارقه

(فصل)

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»

❦❦❦ فصل ❦❦❦

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خديش عن أبي رزين قال: «قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال نعم؛ فأتى ذلك في خلقه؟ قال ليس كذلك ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم؛ قال الله أكبر وأعظم» قال عبد الله قال أبي والصواب حدس (وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن

اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبه وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه اسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل ما انازل لقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول وقال ابن عبد البر من قال لقيط بن صبرة نسبة الى جده وهو لقيط بن عامر ابن صبرة

(فصل)

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الامام أحمد حدثنا روح بن جريح قال اخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر اليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه على جسر جهنم وغايه كالليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ثم كذلك ثم تحمل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا اله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بقناء الجنة ويحمل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشئ في السيل ويذهب حرقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء منسرا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثني ابن جريج قال أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة» (وقال الدارقطني) أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن

محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً» ورواه أبو قرة عن مالك بن انس عن زياد بن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحديث وفيه فيقول أتعرفون الله عز وجل ان رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعلم انه لا عدل له قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجداً» (وقال ابن ماجه في سننه) حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو طاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره» (وقال حرب في مسأله) حدثنا يحيى ابن أبي حزم حدثنا يحيى بن محمد أبو طاصم العباداني فذكره وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أهل الجنة في مجالس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال تعالى يا أهل الجنة سلوني قالوا نسألك الرضى عما قل رضائي أحلكم داري وأنا لك كرامتي، ماذا أوانها فسلوني، قالوا نسألك الزيادة قل فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمته زهررد أخضر وياقوت أحمر خائوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها اثمار فتجىء جوارى الحور العين وهن يقطن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلانموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها المنيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة يا ربنا قد جاء قوم فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تبارك

وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول ارجعوا
إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذلك قوله تعالى (نزلنا من غفور رحيم) «رواه في كتاب البعث
والنشور وفي كتاب الرؤية قال وقد مضى في هذا الكتاب وفي كتاب الرؤية
ما يؤكد هذا الخبر وقال الدارقطني أنبأنا الحسن بن اسماعيل أنبأنا أبو الحسن
علي بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر
عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة
ويتجلى لأبي بكر خاصة»

(فصل)

وأما حديث أبي أمامة فقال ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي
عن أبي أمامة قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فكان أكثر
خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه، ويحذرنا منه حتى فرغ من خطبته، فكان
فيما قال لنا يومئذ إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذرته أمته وإني آخر
الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم
فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه، والله
خليفة على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث
شمالاً، ياعباد الله اثبتوا وانه يبدأ فيقول أنا نبي ولانبي بعدى، ثم يثنى فيقول
أثربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن
فمن لقيه منكم فامتنفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف وانه
يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحميمها وانه لا يعدو ذلك ولا يسلط على
نفس غيرها وإن من فتنته أن معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى
بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً
وسلاماً على إبراهيم وإن أيامه أربعون يوماً يوماً كسنة ويوما كشهراً ويوما
كجمعة ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة
فيمسى قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا فكيف نصلي يا رسول الله في تلك
الأيام؟ قال تقدرון كما تقدرون في الأيام الطوال» ورواه الدارقطني عن ابن
صاعد عن أحمد بن الفرخ عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو

﴿فصل﴾

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثني أبو بكر قال حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال آل حين أصبح لبنيك اللهم لبنيك لبنيك وسعديك والخير في يديك ومنك واليك اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فشيئتك بين يديه بما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك انك على كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت أنت والي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقاءك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً اني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق ، واللجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة واني لأثق الا برحمتك تغفر لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وتب علي انك انت التواب الرحيم » رواه أبو داود في صحيحه

﴿فصل﴾

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا اسحاق الأزرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجاز : «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأذكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى ، قال أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في النصب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة

مضلة اللهم زيننا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما

— ﴿فصل﴾ —

(وأما حديث عائشة) ففي صحيح الحاكم من حديث الزهري عن عروة عنها قالت قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لجابر يا جابر ألا أبشرك؟ قل بلى بشرك الله بخير قال شعرت ان الله أحيا أباك فقعده بين يديه فقال تمنّ علىّ عبدى ما شئت أعطكه قل يارب ما عبدتك حق عبادتك آتني عالمك ان تردني الى الدنيا فأقاتل مع نبيك؛ فأقتل فيك مرة أخرى؛ قال إنه قد ساف منى أنك اليها لا ترجع» وهو في المسند من حديث جابر وفي مسنده أدخله وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قل رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قل بلى قال ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحداً (١) فقال يا عبدى تمنّ علىّ أعطك؛ قال يارب تحميني فأقتل فيك ثانية؛ قال انه قد سبق منى انهم اليها لا يرجعون قال يارب فأبلغ من ورأى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً الآية) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قلت واسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه

﴿فصل﴾

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة وقال الطبراني حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ماسكه الفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وسرره وخدمه وان أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين» (قال الترمذي) وروى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قالت ورواه الحسن بن عرفة عن شبابة

(١) أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول اه نهاية . ع

عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه «ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كرز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى» ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه (وقال الدارقطني) حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا أخبركم بأفضل أهل الجنة؟ قلوا بلى يا رسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتمتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتهجأون به تهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود ياداود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل» (وقال عثمان) بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تهجأون لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم ساءلوه حين نظروا إلى وجه الرحمن»

(فصل)

وأما حديث عمار بن ربيعة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال: «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته، فأن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرازي بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن اسماعيل بن

أبي خالد عن أبي بكر بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغابوا على ركعتين قبل دلوغ الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»

(فصل)

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحمول عن أبي دثمان عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول نعم أنا صاحبكم فخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بمحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا؟ فيقال محمد قال فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له» الحديث

﴿فصل﴾

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى ابن كثير العنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصفري قال حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم ابن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فاذا في كفهِ مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قل قلت يا جبريل ما هذه؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قل قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال هذه الجمعة قل قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة (أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه) وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار الا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فاذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعهم نادى مناد يا أهل الجنة اخرجوا إلى

دار المزيد لا يعلم سمته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل في كشاف من المسك
قال فيخرج غلمان الانبياء بمنابر من نور ويخرج غمات المؤمنين بكرام
من ياقوت قال فاذا وضعت لهم وأخذ اقوم مجالسهم بحث الله تبارك وتعالى
عليهم ريحا تدعى المثيرة تنير عليهم آثار المسك الابيض تدخله من تحت ثيابهم
وتخرجه في وجوههم وأشعارهم فتلك الرياح اعلم كيف تصنع بذلك المسك من
امراة احدمك لودفع اليها ذلك الطيب باذن الله تعالى قل ثم يوحى الله سبحانه
الى حملة العرش فيوضع بين ظهرائى الجنة وبينهم الحجب فيكون أول
ما يسمعون منه أن يقول أين عبادى الذين أطاعونى فى الغيب ولم يرونى وصدقوا
رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة
ربنا رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله تعالى فى قولهم انا أهل الجنة اناى لو
لم أرض عنكم لما أسكنتمكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة
واحدة رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله عز وجل فى قولهم انا أهل الجنة
إناى لو لم أرض عنكم لما أسكنتمكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى قال فيجتمعون
على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر اليه قال فيكشف الله ببارك
وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شىء لولا انه قضى عليهم ان
لا يحترقوا لا تحرقوا اما غشاهم من نوره قال ثم يلقى لارجعوا الى منازلكم قال فيرجعون
الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عاينهم مما غشاهم من نوره فاذا
صاروا الى منازلهم يزداد النور وأمكن ، ويزاد وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم اناى
كانوا عليهم قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها
قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه الى ما خفينا به
عليكم قال فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل
(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وقال عبد الرحمن
ابن مهدي) حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن يزيد السعدي عن
حذيفة فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر الى وجه
الله عز وجل قال الحاكم وتفسير الصحابي عندنا فى حكم المرفوع

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن
جدعان عن أبى نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «ما من نبي الا وله دعوة تعجلها في الدنيا وإني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فأتني باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت؟ فأقول أنا محمد فأتني ربي وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لي ربي ذأخر له ساجداً» ورواه ابن عيينة عن ابن جدهان فقال عن أبي سعيد بدل ابن عباس وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد بن الأشعث حدثنا ابن جبير قال حدثني أبي جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا»

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصنعاني حدثنا صدقة بن عمرو العقدي قال قرأت على محمد بن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خاق الله الملائكة لعبادته أصنافاً فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتحلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»

(فصل)

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر إلى وجه الله عز وجل (وأما حديث كعب ابن عجرة) فقال محمد بن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

(فصل)

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن أبي حنيس عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول

«ألاهم انى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك، فى غير ذراء مضرة ولا فتنة مضلة»

❦ فصل ❦

وأما حديث عبادة بن الصامت فى مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى ابن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « قد حدثكم من الدجال حتى خشيت أن لاتعقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج (١) جمع أعور مظموس العين ليست بناتئة ولا جحراء (٢) فان التبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور وانكم ان تروا ربكم حتى تموتوا » (وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ) فقال الصنعاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا بإدريس منصور قال سمعت عدى بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكنا ثم قال كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه « يا بنى أوصيك أن لاتصلى صلاة إلا ظننت أنك لاتصلى بعدها غيرها حتى تموت وتعال يا بنى فعمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة: واقدم سمعت فلان - نسي عباد اسمع - ما بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ان لله ملائكة ترعد فرأئهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه الا وقعت ملائكة يسبح الله تعالى قال وملائكة سجود منذ خاق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم اقيامة فأذا كان يوم القيامة وتبلى لهم ربهم فنظروا اليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك »

❦ فصل ❦

وهك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الاسلام بعدهم
(قول) أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال أبو اسحاق عن عامر بن سعد

(١) أفحج متباعد ما بين التخذين (٢) جحراء أى غائرة متحجرة فى نقرتها وقال الأزهري هى بالحاء وأنكر الحاء والجحراء الضيقة التى لها غمض ورمص ومنه قيل للمرأة جحراء إذا لم تكن نظيفة المكان وروى جحراء قال الهراوى إن كانت هذه اللفظة مخنوعة فعناها أنهار ليست بصلبة ولا متحجرة اه من النهاية . ع

قرأ أبو بكر الصديق (للمؤمنين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى (قول) علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا علي بن ميسرة الهمداني حدثنا صالح ابن أبي خالد العنبري عن أبيي الأحوص عن أبيي اسحاق الهمداني عن عمارة ابن عبيد قال سمعت علياً يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته» (قول) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبيي اسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى (قول) عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ذكر أبو عوانة عن هلال بن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذا المسجد مسجد الكوفة يبدأ باليمن قبل أن يتحدثنا فقال: «والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قل فيقول ما غرك بي يا بن آدم ثلاث مرات: ماذا أُجبت المرسلين ثلاثاً؟ كيف عملت فيما علمت؟» وقال ابن أبي داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال نعم، وقال اسباط بن نصر عن اسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل؟ (قول معاذ بن جبل) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أنبأنا اسحاق بن أحمد الخزاز حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال: «كنت جالساً عند أبيي وأئيل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة» (قول أبيي هريرة رضى الله عنه) قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبيي النصر أن أبا هريرة كان يقول لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت (قول عبد الله بن عمر) قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألقى عام يرى أدنّه كما يرى أقصاه وإن أفضاهم منزلة لمن ينظر إلى وجهه

الله في كل يوم مرتين» (قول فضالة بن عبيد) ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي حنيس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: «ألهم اني أسألك الرضا بعد القضا ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك» وقد تقدم: (قول أبي موسى الأشعري) قل وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تميم عن أبي موسى قال الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علية عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فمشخصوا بإبصارهم فقال ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة (قول أنس بن مالك) قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن عمار حدثنا شريك عن أبي الية ظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل «ولدينا مزيد» قل يظهرهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة (قول جابر بن عبد الله) قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن بن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خرواله سجدوا فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعده، (قال الطبري) فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجابر وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى بن حاتم وأبو رزين العقبلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وقال الدارقطني) أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر ابن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحيح (وقال البيهقي) رويناه في اثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين

(فصل)

وأما التابعون ونزل الاسلام وعصابة الايمان من ائمة الحديث والفقه والتفسير وائمة التصوف فأقوالهم اكثر من أن يحيط بها الا الله عز وجل قل سعيد بن المسيب الزيادة النظر الى وجه الله رواه مالك عن يحيى عنه وقال الحسن الزيادة النظر الى وجه الله رواه ابن أبي حاتم عنه وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى الزيادة النظر الى وجه الله تبارك وتعالى رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقوله طاهر بن سعد البجلي ذكره سفيان عن أبي اسحاق عنه وقاله عبد الرحمن ابن سابط رواه جرير بن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم دأبته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فان بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها أضررت وجوههم ونظروا الى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن ودن كرب يوم القيامة. وقال الحسن لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا وقال الاعمش وسعيد بن جبيرة إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية، وقال كعب ما نظر الله سبحانه الى الجنة قط الا قال طيبي لاهلك فزادت ضمفا على ما كنت حتى ياتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا الا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون اليه وتسفي عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئا الا اعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا ثم يرجعون الى أزواجهم وقد ازدادوا مثل ذلك. وقال هشام بن حسان إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاووس اصحاب المرء والمقاييس (١) لا يزال بهم المرء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة وقال شريك عن أبي اسحاق السبيعي الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى انه تلى هذه الآية (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل اذا دخل أهل الجنة الجنة اعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم انه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فية تجلى لهم ربهم فلا يكون ما عطوه عند ذلك بشيء فالحسنى الجنة

(١) المرء الجدال والمقاييس جمع قياس وأهلها هم الذين يقيسون الأشياء والنظائر التي لم يعرف لها بخصوصها حكم شرعا على ما له حكم لمعطوها حكم شبيها. ع

و لزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل (ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة) بعد
نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى . وقال عبي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن
قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) قل عبد الله من أراد
النظر إلى وجه الله خالفه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً . وقال نعيم بن
حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحداً عنه الا عذبه ثم
قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوابون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون) قل بالرؤية ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن اسحاق
عن نعيم . وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له
يا أبا عبد الله ان عندنا قوماً من المعتزلة يشكرون هذه الأحاديث « ان الله ينزل
إلى سماء الدنيا » و « ان أهل الجنة يرون ربهم » فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا
وقل : اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهم ممن أخذوا . وقال عقبه بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوماً فنزل
الينا من الدرجة التي في داره فجلس وسبها كأنه مغضب فقل حدثنا سفيان
ابن سعيد ومندر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي
وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء ابناء المهاجرين يحدثننا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن
يهودي صباغ يزعم ان الله تعالى لا يرى - يعني بشر المرأسي

﴿فصل﴾

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظراتهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم
ومنهاجهم (ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس) قل أحمد بن صالح المصري
حدثنا عبد الله بن وهب قل قل . لك بن أنس : الناس ينظرون إلى ربهم عز
وجل يوم القيامة بأعينهم ؟ وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قل سئل مالك
عن قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أنتظر إلى الله عز وجل ؟
قال نعم . فقلت ان أقواماً يقولون تنظر ما عنده . قال بل تنظر إليه فظنوا وقد قال
موسى يارب أرني أنظر إليك . قل لن تراني وقال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم
يومئذ لجوابون) وذكر الطبري وغيره أنه قيل لما لك إنهم يزعمون ان الله لا
يرى . فقال مالك السيف السيف (ذكر قول ابن الماجشون) قال أبو حاتم الرازي
(م - ١٦ - حادي الارواح)

قال أبو صالح كاتب الليث أُمي علي عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسأله عما
 جحدت الجهمية فقال لم يزل يملأ لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه
 يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا ، والله
 أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرت
 أيامهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والارض ليجعلن رؤيته
 يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينظر بها وجوههم دون الجرمين وتخلص بها
 حجبتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه
 لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم (ذكر قول الاوزاعي) ذكر ابن
 أبي حاتم عنه قال اني لارجو ان يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه
 الذي وعد الله أوليائه حين يقول « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فجدد جهنم
 وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه (ذكر قول الليث بن سعد) قال ابن
 أبي حاتم حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد
 ابن مسلم يقول سألت الاوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن
 سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا نعم بلا كيف (قول سفيان بن
 عيينة) ذكر الطبري وغيره عنه انه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن
 الله يرى في الجنة فهو جهمي ، وذكر عنه ابن أبي حاتم انه قال يصلي خلف
 الجهمي والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة (قول جرير بن عبد الحميد)
 ذكر ابن أبي حاتم عنه انه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه
 الله فأناكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه (قول عبد الله بن المبارك)
 ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه ان رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن
 (خذارا بأن جهنم جون ببيند) ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟
 فقال بلعين ، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن اسحق قال سمعت نعيم بن
 حزام يقول سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عنه أحداً الا عذبه ثم قرأ
 (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم يقال هذا الذي
 كنتم به تكذبون) قال ابن المبارك بالرؤية (قول وكيع بن الجراح) ذكر ابن
 أبي حاتم عنه انه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه الا المؤمنون
 (قول قتيبة بن سعيد) ذكر ابن أبي حاتم عنه قال قول الائمة المأخوذة في
 الاسلام والسنة الايمان بالرؤية والتصديق بالا حاديث التي جاءت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم في الرؤية (قول أبي عبيد القاسم بن سلام) ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفهم منها شيئاً ولكن نمضيها كما جاءت (قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد) قال المروزي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال أحلف عليها بالطلاق وبالمشي (١) أنها حق (قول محمد ابن إدريس الشافعي) قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال في قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوابون) لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا قال الربيع فقات يا أبا عبد الله ونقول به؟ قال نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده بوقل ابن بطة حدثنا ابن الأنباري حدثنا أبو القاسم الأنطاقي صاحب المزني قال قال الشافعي رحمه الله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوابون) دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بالبصارهم ووجوههم (قول إمام السنة أحمد بن حنبل) قال إسحاق ابن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح، قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه الاكل مبتدع أو ضعيف الرأي (وقال الثعلبي بن زياد) سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية؟ فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ، قال سمعت أبا عبد الله وبألفه عن رجل أنه قال ان الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال من قال ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوابون) وقال أبو داود سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال من قال ان الله لا يرى فهو كافر ، وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف ان الله لا يرى في الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال أخزى الله هذا ، وقال أبو بكر المروزي قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر ان استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا

في الآخرة فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى الله هذا لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ما قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أخزى الله هذا الخبيث، قال أبو عبد الله ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) فن قال ان الله لا يرى فقد كفر، وقال اسحق بن ابراهيم ابن هاني. سمعت أبا عبد الله يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي والجهمي كافر، وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبد الله أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم فقال نعم ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤا اذا شاؤا، وقال حنبل بن اسحق سمعت أبا عبد الله يقول القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد كفر، ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرها ونعمرها كما جاءت، وقال الاثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأما من يقول ان الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبد الله وانما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا وقال ابراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً - أحاديث الرؤية - وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين، وقال أبو عبد الله قال الله تعالى: « وما كن لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا، وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب الا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى ان من

شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه، قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول
قال الله تعالى : « وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة » والاحاديث التي تروى
في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره « وتنتظرون إلى ربكم »
أحاديث صحاح وقال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » انظر الى وجه الله
تعالى قال أبو عبد الله تؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية وتؤمن بأن
الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب ، قال وسمعت أبا عبد الله
يقول : من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد
على الله أمره يستتاب فان تاب وإلا قتل ، قال حنبل قلت لأبي عبد الله في أحاديث
الرؤية فقال هذه صحاح تؤمن بها ونقر بها وكلما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم اسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله اذا لم تقر بما جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (قول اسحاق بن راهويه) ذكر الحاكم وشيخ
الاسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب
هذه الاحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن ؟ فقال رواها من روى
الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فان يكونوا في هذه عدولا
والا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتني أو كما قال
(قول جميع أهل الإيمان) قال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة في كتابه ان
المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس
بمؤمن عند المؤمنين (قول المازني) ذكر الطبري في السنة عن ابراهيم عن أبي
داود المصري قال كنا عند نعيم بن حماد جلوسا فقال زعيم للمزني ما تقول في
القرآن ؟ فقال أقول انه كلام الله ، فقال غير مخلوق ؟ فقال غير مخلوق ، قال وتقول ان الله
يرى يوم القيامة ؟ قال نعم فلما افترق الناس قام اليه المزني فقال يا أبا عبد الله شهرتني على
دؤوس الناس ، فقال ان الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك (قول جميع
أهل اللغة) قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب
اللغة يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعالبا يقول في قوله تعالى (وكان
بالمؤمنين رحمة تحييتهم يوم يلقونه سلام) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا
لا يكون الا معاينة ونظرا بالأبصار وحسبك بهذا الاسناد صحة ، واللقاء ثابت
بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء

صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبى هريرة وابن مسعود «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» وحديث أبى ذر «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة» وحديث أبى موسى من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة» وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد

(فصل)

(في وعيد منكرى الرؤية)

قد تقدم قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله ابن المبارك ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة قال: «قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا؛ قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا؛ قال فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدكم؛ فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى، فيقول أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا؛ فيقول فاني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى أي ربي، فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا؛ فيقول أي أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبآبائك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا، ثم يقال الآن نبعث شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال له فخذ انطقي فينطق فخذ وخذه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه» فاجمع بين قوله فانكم سترون ربكم وقوله لمن ظن انه غير ملاقيه فاني أنساك كما نسيتني واجمع أهل اللغة على ان اللقاء المماينة بالابصار يحصل لك العلم بان منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد

(ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث) باب في الوعيد لمذكرى الرؤية كما فعل شيخ الاسلام وغيره وبالله التوفيق

(فصل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة الاسلام وأهل الحديث عصاية الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم اقيامة بلا بصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وان له والله حق الحقيقة فلا يمكن ان يروه الا من فوقهم لاستحالة ان يروه من اسفل منهم أو خلقهم أو امامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وان لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله افراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فان الذي جاء بهذه الاحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشرعة والذي باغها هو الذي بلغ الدين فلا يجوز ان يجعل كلام الله ورسوله عظيم بحيث يؤمن ببعض معانيه ويتكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الانلاع على هذه الاحاديث وفهم معناها انكارها والشهادة بان محمدا رسول الله ابداء. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان (أحدهما) من يزعم انه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر (الثاني) من يزعم انه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق

— الباب السادس والستون —

﴿ في تكليمه سبحانه وتعالى لاهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم ايهم وسلامه عليهم ﴾ قل تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم اقيامة ولا يزكيهم) وقال في حق الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا اذ تكليمه لعباده عند انفرغونية والمعلقة مثل ان يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون وقد أخبر الله

سبحانه انه يسلم على أهل الجنة وان ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية وانه يشرف عليهم من فوقهم ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عياناً وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم والعلم والمعطة تنكر هذه الامور الثلاثة وتكفر القائل بها ونقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم «ولا يبقى احد في ذلك المجلس الا حاضره الله محضرة فيقول يا فلان أتذكر يوم فعات كذا وكذا» الحديث وتقدم حديث عدى بن حاتم «ما منكم الا من سيكلمه ربه يوم القيامة» وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه «يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم اكرمك واسودك» الحديث وحديث برودة «ما منكم من احد الا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب» الحديث وحديث أنس في يوم المزيدي ومخاطبته فيه لاهل الجنة مراراً وبالجمل فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم قال البخاري في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة احاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فانكار ذلك انكار لروح الجنة واعلى نعيمها وافضلها الذي ما طابت لاهلها الا به والله المستعان .

(الباب السابع والستون)

(في أبدية الجنة وأنها لا تنفنى ولا تبديد)

هذا مما يعلم بالاضطرار ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى : «وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » أى مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله الا ما شاء ربك واختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال معمر بن الضحاك هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه انهم خالدون فى الجنة مادامت السموات والارض الامدة كنهم فى النار ، «قات» وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الاخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء (والثانى) وهو الاظهر ان يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه ، وأحسن من هذين التقديرين ان ترد المشيئة الى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص (وقلت فرقة أخرى) هو استثناء استثناء الرب تعالى

ولا يفعله كما تقول والله لا أضربك لأن ترى غير ذلك وأنت لا تراهُ بل تجزم بضربه
(وقالت فرقة أخرى) العرب إذا استثنى شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر
منه كان معنى الا في ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله
من الزيادة على مدة دوام السموات والارض هذا قول الفقهاء (وسببويه) يجعل
الا بمعنى لكن (قولوا) ونظير ذلك أن تقول لي عالمك ألف الا الا لئلين الذين
قبلها أي سوى الا لئلين قال ابن جرير وهذا أحب الوجهين الى لأن الله تعالى
لاخاف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ قولوا ونظيره أن
تقول أسكنتك دارى حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت أو لكن ما شئت من
الزيادة عليه (وقالت فرقة أخرى) هذا الاستثناء انما هو مدة احتباسهم عن الجنة
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الى أن يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد
فلم يغيبوا عن الجنة الا بمقدار اقامتهم في البرزخ (وقالت فرقة أخرى)
العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف
ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته وهذا كما قل لنبية (ولئن شئنا
لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله يحتم على قلبك) وقوله (قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم) ونظائره وأخبر عباده سبحانه ان الامور كلها بمشيئته
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد بمدة دوام السموات
والارض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات
والارض الا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال ان الا بمعنى
سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال المعنى خالدون فيها
مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة
أخرى) ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) والمعنى
الا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء (والفرق) بين هذا
القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك انقول من المدة وعلى هذا القول من
الأعيان (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سماء الجنة وارضها
وهما باقيتان أبداً (وقوله) «الا ما شاء ربك» إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون
النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ
والموقف قال الجعفي سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال سمعت

فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس (وقلت فرقة أخرى) الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت الاوقتا يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها (عطاء غير مجدوذ) محكم وكذلك قوله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأييد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منتطع وإذا ضمته إلى الاستثناء في قوله الامشاء ربك تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه مودة تقدمت على حياتهم الأبدية وذلك مفارقة للجنة تقدم على الخلود فيها وبالله التوفيق وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «من يدخل الجنة يسمع ولا يبئس ولا يخلد ولا يموت» وقوله «ينادي مناد يا أهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسموا أبداً، وان تشبوا فلا تهرموا أبداً، وان تحموا فلا تموتوا أبداً» وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت »

❦ فصل ❦

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال (أحدها) ان الجنة والنار فائتان غير ابديتين بل كلهما حادثتان فهما فانيتان (والقول الثاني) انها باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً (والقول الثالث) أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ونحن نذكر هذه الأقوال ومقابلها وما احتج به أرباب كل قول ونرد ماخالف كتاب الله وسنة رسوله فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه ساف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد

من أئمة الاسلام ولاؤل به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى اتباعه أئمة الاسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الارض كما ذكره عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب انه قال كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل بقول الله سبحانه وتعالى «أكلها دائم وظلها» وهم يقولون لا يدوم، وبقول الله تعالى «ان هذا الرزقنا ماله من نفاد» وهم يقولون ينفد، وبقول الله عز وجل «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» (قال شيخ الاسلام) وهذا قاله جهم لاصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلووا بها على حدوث الأجسام وحدث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لأول لها في الماضى يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضى وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الاصل لكن قال ان هذا يقتضى فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة (وزعمت فرقة) ممن وافقهم على امتناع حوادث لانهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا ان ما كان ممتنعاً في العقل لا يجىء الشرع بوقوعه اذ يستحيل عليه ان يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها فالسمع يجىء بالثاني لا بالاول فالسمع يجىء بما يعجز العقل عن ادراكه ولا يستقل به ولا يجىء بما يعلم العقل حالته، والاكثر من الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الاصل فرقوا بين الماضى والمستقبل، وقالوا الماضى قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع انما هو دخول مالا يتناهى في الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء قالوا وهذا نظيران يقول القائل لا أعطيك درهماً الا وأعطيك بعده درهماً آخر فهذا ممكن، والاول نظيران يقول لا أعطيك درهماً الا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود مالا يتناهى في الماضى محال ووجوده في المستقبل واجب، ونازعهم في ذلك آخرون فقالوا بل الامر في الماضى كهو في المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضى والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلاً

يصير ماضياً وكل ماض فمقدّر مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الطرفين
واحالاته في الطرف الآخر (قلوا) وهذه مسألة دوام قاعلية الرب تبارك وتعالى
وهو لم يزل رباً قادراً فعلاً لأنه لم يزل حياً عالياً قديراً ، ومن الخيال ان يكون
الفعل ممتنعاً عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجديد شيء وليس
للازل حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعاً عليه
فهذا القول تصوره كف في الجزم بنساده ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب
فيه الفعل من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتي إما ان يصح ان يفرض قبله
وقت يمكن فيه الفعل أولاً يصح ، فإن قلتم لا يصح كان هذا تحكماً غير معقول
وهو من جنس الهوس ، وان قلتم يصح قيل وكذلك ما يفرض قبله لا الى غاية فان
زمن محقق أو مقدر الا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال واحسان ومتعلق حمد
الرب تعالى وربوبيته وماله وهو لم يزل رباً حميداً مائلاً قادراً لم تتجدد له هذه
الاصناف كما أنه لم يزل حياً مريداً عالياً والحياة والارادة والعلم والقدرة تقتضي
آثارها ومتعلقاتها ، فكيف يعقل حتى قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره
يستحيل عليه ان يفعل شيئاً البتة ، وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل
معيّاراً على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها ؟ فاذا
كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم المرزوق به ، وأما قول من فرق بان الماضي
قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا لتحقيق وراءه فان الذي يحصره الوجود
من الحركات هو المنتهى ثم بعدم فيصير ماضياً كما كان معدوماً لما كان مستقبلاً
فوجوده بين عديمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فلهذا صار
ماضياً هو بعينه الذي كان مستقبلاً فان دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً
قبل شيء فهو بعينه دال على امتناعه شيئاً بعد شيء ، وأما تفرقكم بقولكم المستقبل
نظير قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك بعده درهما فهذا ممكن والماضي نظير
قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك قبله درهما فهذا التفرق فيه تاليس لا يخفى
وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره ان يقول ما أعطيك درهما الا وقد تقدم مني
اعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد إمكانه في المستقبل ولا
فرق في العقل الصحيح بينهما البتة. ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل واتباعها بين
الامر بين فرقا قلوا بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداءها عندهم

في الماضي : وقل أهل الحديث بن عمه سواء في الامكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعلا لما يريد ولم يزل ولا يزل . ووصوفا بصفات السكك المنعوتات
بمعنوت الجلال ، وليس المتعكن من الفعل كل رقت كذا لا يمكنه ان يفعل إلا في
وقت معين وليس من يخاف كمن لا يخاف ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الامر
كمن لا يدبر ، وأى كمال في ان يكون رب العالمين معظلا عن الفعل في مدة مقدرة أو
محقة لا تنتهى يستحيل ، منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه وان ايتهم
هذا الاطلاق وقلتم ان الحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين
الحكم باباحة الفعل من غير موجب لاحالته وانتقاله من الاحالة الذاتية إلى
الامكان الذاتي من غير تجدد سبب وزعمتم ان هذا هو الاصل الذى ثبتون به
وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه الا بدان فجئنا بغيره على العقل والشرع والرب
تعالى لم يزل قادرا على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعلا لما يريد ولم يزل ربا
محسنا * والمقصود ان القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة
ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قلوبهم انما تاتقود من قياس فاسد كما اشتبهه
اصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليه القول بخاق القرآن ونفى الصفات
وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على ان كلمات الله وأفعاله لا تنتهى ولا
تنقطع بآخر ولا تحد بأول قل تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى : « ولو أن ما فى
الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله
ان الله عزيز حكيم » فآخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان
ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره
عن سايان بن عامر قل : سمعت الربيع بن أنس يقول ان مثل علم العباد كلهم فى
علم الله من وجل كقطرة من ماء البحر كل ما وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك
(ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الآية) وقوله (قل لو كان البحر مدادا الآية)
يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله والشجر كلها أقلام
لانكسرت الاقلام وفنى ماء البحر وكلمات الله تعالى بقوة لا يفنىها شئ ، لان احدا
لا يستطيع ان يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي بل هو كما اثبت على نفسه ان

ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها

﴿فصل﴾

وأما أبدية النار وديارها فقال فيها شيخ الاسلام فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين «قلت» ههنا أقوال سبعة (أحدها) أن من دخلها لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها مخلد فيها أبدا الآباد بأذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة (والثاني) أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول امام الاتحادية ابن عربي الطائي (قال في فصوصه) انشاء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والخضرة الالهية تطالب انشاء الحمد بلذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله يخاف وعده رسله) لم يقل وعيده بل قال (ويتجاوز عن سيئاتهم) مع أنه توعد على ذلك، واثني على اسماعيل بانه كان صادق الوعد وقد زال الامكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح

فلم يبق الا صادق الوعد وحده وما لو عيد الحق عين تعابن
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنات الحمد والامر واحد وبينهما عند التجلي تباین
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذلك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعد به بالعذاب في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلا وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلا وانفريقان، مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به واخبر به عن الله عز وجل (الثالث) قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى في القرآن فيه فقال تعالى (وقولوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ،
ذلك بأنهم قلوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والمثاليين
به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام على فسادة قال
تعالى (ومنهم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال (كلما أرادوا
أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها
أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)
وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وهذا ابلغ ما
يكون في الاخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون
منها وتبقى نارا على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاة شيخ الاسلام والقرآن والسنة
أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها
لأنها حادثة بعد أن لم تكن ومثبت حدوثه استحالة بقاؤه وأبديته وهذا قول
جهنم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول
من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم
وهذا قول أبي الهذيل العلاف امام المعتزلة طردا لامتناع حوادث لانهاية لها
والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل يفنىها
ربها وخالقها تبارك وتعالى فانه جعل لها أمداً تنتهي اليه ثم تفنى ويزول عذابها
قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد
وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره المشهور حدثنا
سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر
« لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون
فيه » وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن ان
عمر بن الخطاب قال : « لو لبث أهل النار في الارعد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون
فيه » ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى (لا بشين فيها أحقابا) فقد رواه عبد وهو
من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج
ابن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد

وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الأسناد جلالة: والحسن وإن لم يسمع
من عمر فقد رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم
به وقد قال عمر بن الخطاب: «ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة
له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون
هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة
رسوله واجماع الأئمة لكانوا أول منكار له: قل ولاريب أن من قل هذا القول
عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم
أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قدر
رمل شاة ولا قريباً منه. ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن
عداهم كـ قل النبي صلى الله عليه وسلم: «أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون
فيها ولا يحيون ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وما هم منها
بمخرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه
لكن إذا انتقض أجهادها وفويت تنفي الدنيا لم تبق ذراً ولم يبق فيها عذاب
قل أرباب هذا القول وفي تفسير علي بن أبي طاحه الوالي عن ابن عباس في قوله
تعالى (قل النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قل لا ينبغي
لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قالوا وهذا الوعيد في
هذه الآية ليس يختص بأهل القبلة فإنه سبحانه قال (ويوم نحشرهم جميعاً
يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقل أولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قل النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله
إن ربك حكيم عليم. وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وأولياء
الجن من الانس يدخل فيه الكفار قطعاً فانهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين
كما قال تعالى: «فاجعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون» وقال تعالى: «إنه ليس له
سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون» وقال تعالى: «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون وأخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون» وقال تعالى:
«أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو» وقال تعالى: «فقاتلوا أولياء
الشيطان» وقال تعالى: «أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون»

وقال تعالى : « وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون » والاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول اولياء الشياطين النار فمن ههنا قال ابن عباس لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه (قلوا) وقول من قل ان الاعمى سوى أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافقته المستثنى والمستثنى منه وان الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد إلا لما قبلها (قلوا) وقول من قل إنه لاخراج ما قبل دخولهم اليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لا يساعد عليه وجه الكلام فانه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والارض إلا ما شاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) وفي قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسرى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركننا في الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وذاذة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وانما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا ان الذى كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفة وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا من نمط قولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقوله (فاعترفوا بذنبهم) وقوله (فعلموا ان الحق لله) ونظائره والمقصود ان قوله إلا ما شاء الله حائذ إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم او شاملا لهم ولعصاة الموحدين ، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له ، ولما رأت دائمة ضعف هذا القول قلوا الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول ، ورأت طائفة أخرى ان الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار (قلوا) والمعنى أنكم فى النار أبداً إلا ما شاء الله أن يمدبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ما آبالا بينين فيها أحقابا) قلوا والا بد لا يقدر بالاحقاب وقد (م - ١٧ - حادى الأرواح)

قال ابن مسعود في هذه الآية ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً. وعن أبي هريرة مثله حكاة البغوي عنهما ثم قال ومعناه عند أهل السنة أن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان (قالوا) قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد سأل حرب إسحق ابن راهويه عن هذه الآية فقال سألت إسحق قلت قول الله تعالى (خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) فقال أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي على القرآن كله (إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال المعتمر قل أتى على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن ايوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال ما أنا بلذى لا أقول انه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الآية) قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعنى به الموحدين حدثنا ابو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر ابن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دَخَاها (ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي نذكرها) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال وسمعت أبا عجلر يقول جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه (وقال ابن جرير) حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثت عن المسيب عن ذكره عن ابن عباس (خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) قال لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السموات والارض

إلا ما شاء ربك قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود
ليأتين على جهنم زمان تحرق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً حدثنا
ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمراً
وامرعهما خراباً وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال وقال آخرون أخبرنا
الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرّفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ وأنها
أنهى الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قلوا ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار
وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان حدثني يونس
أبنأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك) فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ فقال أخبرنا بالذي يشاء
لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار (وقال ابن مردويه)
في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان
الخلال حدثنا أبو خايد حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو بن دينار عن
جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله أن يخرج أنا من الذين شقوا من النار
فيدخلهم الجنة فعل وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من
النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول بولكن إنما يدل على إخراج
بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكائها
لمن فيها وانهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث
دل على أمرين (أحدهما) أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهي
نار فعل وإن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله وعلى هذا فيكون
معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء فانهم لا يخلدون فيها ويكون
الأشقياء نوعين نوعين يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين
شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في
وقتين قلوا وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصداً للطاغين مآباً لا بين فيها
أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً إلا حميماً وغساقاً جزاءً بما كانوا لا
يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذباً) فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين
بآياته ولا يقدر إلا بدى بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا

قل عبد الله بن عمرو فيما رواد شعبة عن أبي باخ سمع عمرو بن ميسون يحدث عنه (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يابثون فيها احقابا)

(فصل)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق (أحدها) اعتقاد الاجماع فكثير من الناس يعتمدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع (الطريق الثاني) أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فانه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لا يفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذابا وانهم خالدون فيها أبدا وما هم بخارجين من النار وما هم منها بمخرجين وإن الله حرم الجنة على الكافرين وانهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وانهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وإن عذابها كان غراما أى مقيما لازما قلوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره (الطريق الثالث) أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قباه منقال ذرة من ايمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وإن هذا حكم يختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الايمان (الطريق الرابع) أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها (الطريق الخامس) أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وانهما لا يفنيان بل هما دائمتان وانما يذكران فناءهما عن أهل البدع (الطريق السادس) أن العقل يقضى بخلود الكفار في النار وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد ونواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أولا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقتان لنظر المسلمين وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه انقرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار في الحيا والممات وعلى من زعم أنه خاق خلقه عبثا وانهم اليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم وذلك يقدر في حكمته وكاله وأنه نسبه إلى ملا يابق بهور بما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا قل تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار

فقالوا يا ليتنا تردوا لا نسكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهو لاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قثم بها لم يفارقها بحيث لوردوا لعادوا كفارا كما كانوا وهذا يدل على ان دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع، قال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق بين الصواب في هذه المسألة (فأما الطريق الاول) فالاجماع الذي اذنيتموه غير معلوم وانما يظن الاجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها تدبيرا وحديثا بل لو كلف مدعى الاجماع ان ينقل عن عشرة من الصحابة فادونهم الى الواحد أنه قل ان النار لا تنقضي أبدا لم يجد إلى ذلك سبيلا ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فادونا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا، قلوا والاجماع المعتمد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة (النوع الاول) ما يكون معلوما من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة (الثاني) ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه (الثالث) ان يقول بعضهم القول وينشر في الامة ولا ينكره أحد فابن معكم واحد من هذه الانواع ولو أن قائلا ادعى الاجماع من هذه الطرق واحتج بان الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالاجماع منهم، قالوا (وأما الطريق الثاني) وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فابن في القرآن دليل واحد يدل على ذلك نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وانما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء، وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يابج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاثحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتض خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه (قلوا وأما الطريق الثالث) وهو مجيء

السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك
فهى حق لاشك فيه وهى انما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى
دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا
وعلى هذا (قالوا وأما الطريق الرابع) وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار
باقون فيها مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء
لها ولا تنفى كالجنة فاين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك (قالوا وأما
الطريق الخامس) وهو ان فى عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان
ابدا فلا ريب ان القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا
القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء
النار وحدها فقد أوجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار
فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع انه لا يعرف عن أحد من
أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام
من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم ، قالوا والقول الذى يعد
من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة اما الصحابة
أو من بعدهم ، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من
أقوال أهل البدع وان دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله بمن قاله والباطل يجب رده
على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون ان من ورائكم فتنا
يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والاسود
والاحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى ابتدع
بدلهم غيره فأياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة واياكم وزيفة الحكيم ؟ فان الشيطان
قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا
الحق عمن جاء به فان على الحق نورا ، قالوا وكيف زيفة الحكيم ، قال هى الكلمة تروعونكم
وتنكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيفته ولا تصدكم عنه فانه يوشك أن
يفىء وان يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما إلى يوم القيامة » والذى اخبر به
أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف
أن الجنة والنار مخلوقتان وان أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من
عذابها ولا يفترون عنهم وانهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم ان النار لا تنفى

ابدا فانما قاله لظنه ان بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها (قلوا وإنما حكم العقل) بتخليد أهل النار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق (واه أصل الثواب والعقاب) فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم إلا بالسمع وحده فففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، والصحيح ان العقل دل على المعد والثواب والعقاب اجمالا واما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرد واما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين واما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين ، واما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك الزوال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق

فصل في

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه (احدها) أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا تناد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا ينجون وأنها مؤبدة عليهم وأنهم كلما أرادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وان عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتقر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر (الوجه الثاني) ان النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم ابديتها « الأولى » قوله سبحانه وتعالى (قل النار مشواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) « الثانية » قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) « الثالثة » قوله (لا يثنى فيها أحقابا) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثنائيين في الموضوعين واحدا كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائيين فانه قال في أهل النار (ان ربك فعال لما يريد) فعلمنا انه سبحانه وتعالى يريد ان يفعل فعلا لم يخبرنا به ، وقال في أهل الجنة عطاء غير مجذوذ فعلمنا ان هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم ابدا فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق (الوجه الثالث) أنه قد ثبت ان الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذنين الذين يخرجهم الله من النار وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب الا من عصاه (الوجه الرابع) أنه قد ثبت ان الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقا آخر يوم

القيامة يمكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله «وأما النار فينشىء الله لها خلقا آخرين» فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه وأما الجنة فينشىء الله لها خلقا آخرين ذكره البخاري رحمه الله مبينا ان الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأييد مع هذه الفروق (يوضحه الوجه الخامس) ان الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش ان رحمتي تغلب غضبي» وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعا (يوضحه الوجه السادس) أن ما كان بالرحمة والرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسوق مغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه (يوضحه الوجه السابع) وهو أنه سبحانه قال للجنة انت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار انت عذابي أعذب بك من أشاء، وعذابه منفصل، وهو ناشئ عن غضبه، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه فاذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلا يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة (يوضحه الوجه الثامن) أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فان تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عايكم طبعتم فادخلوها خالدين وان لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخالت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يفسلها الماء فاذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده خفقاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطرهم لما

نشؤا الا على التوحيد ولكن عرض لاكثر الفطر ماغيرها: ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها الا الله فأرسل الله رسوله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقتم لهم من الله الحسنی صحة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسوله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكلمة، ان تسكتب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فازالوا موجبه وأثره، وكل لهم الرب تعالى ذلك باقضية يقضيهالهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعدا لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت * وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) واستدر الاشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في ازالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة واقداره المحبوبة والمكرهه في هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا استخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار فاذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له فان قيل هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضا كما حصى الموحدين أما إذا كان لازما كالكفر والشرك فان أثره لا يزول كما لا يزول السبب: وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه * (منها) قوله تعالى (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بان نفوسهم وطبائعهم لا تقتضى غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للإيمان أصلا (ومنها) قوله تعالى: « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » فأخبر سبحانه ان ضلالهم وصمهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يذرقهم فان موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم * (ومنها) قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ، ولو أنهم لم تولوا وهم معرضون) وهذا يدل على انه ليس فيهم خير

يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خيراً لما ضيع عليهم أثره، وبديل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقل ذرة من خير» فلو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين (قيل) لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يمسك به في المسئلة وإن الأمر كما قاتم ، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب أنهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائماً ماداموا كذلك * ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسئلة وليس بأيديكم ما يبدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالهم عنها فلم يفطروهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الاقرار بخالقهم ومحبتة وتوحيده فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فامكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى، ولا ريب أنهم لوردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة فإذا حصت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وإن تألم به غاية الألم كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها، وقد سمى الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، والطبيب الشفيق يكرى المريض بالنار كيما بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته * وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه

في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك ببعضه ببعض فان
مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابعة وهو سبحانه الملك الحق المبين
وملكه ملك رحمة واحسان وعدل (الوجه التاسع) أن عقوبته للعبد ليست
لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود اليه ولا لدفع ضرر وألم يزول عنه بالعقوبة بل يتعالى
عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هي عبث محض خال عن
الحكمة والغاية الحميدة فانه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فاما ان يكون من تمام
نعيم أوليائه وأحبابه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا،
وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد
من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفاً في أصله
ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام
والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم (الوجه العاشر) أن رضا الرب تبارك
وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به سبحانه الله
ومحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته فإذا كانت رحمته غلبت
غضبه فان رضى نفسه أعلى وأعظم، فان رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل
ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً وأما
غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكها عنها
بحيث لم يزل ولا يزال غضبان * والناس لهم في صفة الغضب قولان (أحدهما)
انه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثاني) أنه صفة فعل منفصل
عنه غير قائم به وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها
له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سمرت النار إلا بغضبه، وقد جاء في
أثر مرفوع أن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق وبنتم بهم ممن عصاه
فخلقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق من الغضب
وبالغضب فانه سبحانه له الكمال المطاق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير
خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب وينيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم
ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة
والحد فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته
فانقلب العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وان تنوعت صفاتها وصورتها كما كان

عقوبة العصاة رحمة واخراجهم من النار رحمة فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة اسكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويبقى عليه المسكوى ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة * (فان قيل) هذا اعتبار غير صحيح فان الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وان كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خاقه وأخبرتهم وأمقتهم له نداه وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الانعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقتهم لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال اسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه ، فالمعتلون نوطان (أحدهما) عطل صفاته و (الثاني) عطل أحكامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الامران * فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المنتضية لها في الجحيم بمرور الاحقاب عليها وحصاة الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض (يوضحه الوجه الحادى عشر) وهو أن العفو أحب اليه سبحانه من الانتقام ، والرحمة أحب اليه من العقوبة * والرضا أحب اليه من الغضب * والفضل أحب اليه من العدل * ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه ، وإذا كان ذلك أحب الامرين اليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ماء وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الامراض ويبيده سبحانه الشفاء التام والادوية الموافقة لكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطابق وبالعبد أعظم حاجة

إلى من يداوى عائلته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد انه عليل
وأن دواءه بيد الغنى الحميد، فتضرع اليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر
قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له ، وأن الخلق كله له وأنه هو
الظلم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا يبعض عدله وأن له
غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذى أؤمّه فى هذا المقام وأوصله اليه وأنه
لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته
عليه وأنه لانهجاة له مما هو فيه الا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى
بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح ، فلو أن أهل
الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك
فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال وقالوا ان كان مانحن فيه
رضاك فرضاك الذى نريد ، وما أوصانا الى هذه الحال إلا طلب مالا
يرضيك فأما اذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده (وما لجرح اذا
أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله طابقت
أو عذوت لا تقلبت النار عليهم بردا وسلاما (وقد روى الامام أحمد) فى مسنده
من حديث الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى أربعة
يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات
فى فترة ، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيئا . وأما
الأحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما
الهرم فيقول ربى لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذى مات فى
الفترة فيقول رب ما أنانى لك من رسول فيأخذ مراثيتهم ليطيعنه فيرسل
اليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم
بردا وسلاما » (وفى المسند أيضا) من حديث قتادة عن الحسن عن أبى رافع
عن أبى هريرة مثله وقل « فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب
اليها » فهؤلاء لما رضوا بتمذيبهم وبأدروا اليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة
أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيما (ومثل هذا) ما رواه عبد الله بن المبارك
حدثنى رشدين قال حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلا
النار يشتمد صياحهما فقال الرب جل جلاله أخرجوهما فاذا أخرجا فقال لهما
لائى شئ اشتد صياحكما؟ ذل فعلنا ذلك لترحمنا ، قال رحمتى لكما أن تنطلقا

فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه غايةً برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب مامنك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب أنى أرجوك أن لاتعبدنى فيها بعدما أخرجتنى منها. فيقول الرب تعالى لك رجائك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله (وذكر الأوزاعى) عن بلال بن سعد قال : « يؤمر باخراج رجلين من النار فاذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير صار اليه العباد فيقول لهما بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال فيؤمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيتملك فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها فيقول إني خبرت من وبال مصيبتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً ويقول للذى تملك ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لاتردنى إليها فيرجعها جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة (الوجه الثانى عشر) أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فانما هو من مخلوقاته ، ولذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) وقول تعالى (اعلموا ان الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم) وقال تعالى (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) ومثلها فى آخر الأنعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة فى نفسها وأما الشر الذى هو العذاب فلا يدخل فى أسمائه وصفاته وإن دخل فى مفعولاته لحكمة إذا حصت زال وفنى بخلاف الخير فإنه سبحانه دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبداً وهو قديم الاحسان أبدي الاحسان فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام ، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب أسماء الله وصفاته يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبهه (يوضحه الوجه الثالث عشر) وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته (والشر ليس إليك) ولم يقف على

المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به اليك بل الشر لا يضاف اليه سبحانه بوجه لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى أسمائه فان ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجود، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسمائه كلها حسنى فكيف يضاف الشر اليه بل الشر فى مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه اذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر، وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف اليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وإنما نقي اضافته اليه وصفاً وفعلاً وأسماء * وإذا عرف هذا فالشر ليس الا الذنوب وموجباتها وأما الخير فهو الأيمان والطاعات وموجباتها والأيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولاجابه خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها * وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولاهى الغاية التى خلق لها الخلق فهى مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعات وسيلة اليه فاذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض (الوجه الرابع عشر) أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شىء فليس شىء من الاشياء الا وفيه رحمته ولا ينافى هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فان ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم * وقد ذكرنا حديث أبى هريرة أنفاً وقوله تعالى لدينك الرجلين * رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار * وقد جاء فى بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه يقول الرب تبارك وتعالى كيف أرحمه من شىء به أرحمه فالابتلاء رحمة منه لعباده (وفى أنظر الهى) يقول الله تعالى: «أهل ذكرى أهل مجالستى * وأهل طاعتى أهل كرامتى، وأهل شكرى أهل زيادتى، وأهل معصيتى لا اقنطهم من رحمتى ان تابوا فانا حبيبيهم وان لم يتوبوا فانا طبيبيهم أبتليهم بالمصائب لا اظهرهم من المصائب» * فالابتلاء والعقوبة أدوية قدرت لازالة أدواء لاتزول الا بها والنار هى الدواء الأكبر فمن تداوى فى الدنيا أغناه ذلك عن الدواء فى الآخرة والا فلا بد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله

ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره واحسانه وغناه وجوده ومحبته إلى عباده وارادة الانعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى انكار ذلك ان لم يبادر إلى قبوله (يوضحه الوجه الخامس عشر) أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص * وإذا ثبت ذلك فتمعذيرهم ان كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وان كان لحكمة فاذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبداً لا يابى حيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى وان كان لمصلحة فان كان يرجع اليهم فليست مصالحتهم في بقائهم في العذاب كذلك ، وان كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فان ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضي تأييد العذاب وليس نعيم أوليائه وكاله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد * فان قلتم ان ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل : وان قلتم ان ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية لجوابه من وجهين (أحدهما) أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين ان تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والنظر والآيات المشهودة شاهدة بطلان ذلك (والثاني) انه لو كان الامر كذلك لكان ابقاؤهم في العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انتقضائه ما ينافي كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وانه لا نهاية له * وغاية الامر على هذا التقدير ان يكون من الجائزات الممكنت الموقوف حكمها على خبر الصادق فاز سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الذوام وان سلكت طريق المشيئة المحضة التي لاتعمل لم تقتضه أيضاً وان وقف الامر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه (الوجه السادس عشر) أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذنين فانه أنشأهم برحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل اليهم الرسل برحمته ، وأسباب النعمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة ظارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخالقهم على خلقه تكون رحمته اليهم أقرب من غضبه وعقوبته ، ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت

غضبه فيهم. فكانت هي السابقة اليهم ففى كل حال هم فى رحمتهم فى حال معافاتهم وابتلائهم وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالسكية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وأما أثر الرحمة فسيببه منه سبحانه فما منه يقتضى رحمتهم وما منهم يقتضى عقوبتهم والذي منه سابق وغالب وإذا كانت رحمتهم تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى (الوجه السابع عشر) أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم اليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا فى موضع واحد ، وقد ثبت فى الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها ، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله العذاب على ذلك وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهى اليه فما انتقل منها الى تلك الدار بما ليس لله فهو المعذب به ، وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا ينفى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به ، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعاقب بها بخلاف الغاية المضمحلة الذاتية فما أريد به غير الله يضمحل ويحول بزوال مراده ومطلوبه ، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله ، من الأعمال والذوات وانقلب عذابا وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم (الوجه الثامن عشر) أنه ليس فى حكمة أحكم الحاكمين أن يخاق خاقا يذبحهم أبدا الآباد عذابا سرمداً لانهاية له ولا انقطاع أبدا وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجد التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرع وقدره فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداداته وإخراج المواد الرديئة عنه بتلك الآلام ما تشهد العقول الصحيحة وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها الى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله ، ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب ولهذا يحاسبون اذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم

(م- ١٨- حادى الارواح)

في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ومعلوم ان النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت الى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين ، فإذا عذبوا بالنار عذابا تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والنقطة والحديد فهذا معقول في الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة ، أما خالق نفوس لا يزول شرها أبدا وعذابها لا انتهاء له فلا يظهر في الحكمة والرحمة وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتها هي شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلا وعلى تقدير دخوله في الوجود فإلرب تبارك وتعالى قادر على قاب الأعيان واحالتهما واحالة صفاتها فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فإله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها في النشأة الثانية نوعا آخر من الرحمة (يوضحه الوجه التاسع عشر) وهو انه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقا آخر يسكنهم اياها ولم يعملوا خيرا تكون الجنة جزاء لهم عليه فاذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وانها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل وشاء كتب العقوبة فلما لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن في حكمته ان يستمر بها في العذاب بعد ذلك اذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشرها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلتها ، ولا يلتقض هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فان هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وانما هو عند المعايينة قبل الدخول فانه سبحانه قل (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (فهذا بما قلوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقابا والحقب

كما رواد الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الحقب خمسون ألف سنة» فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه الممدد المتطاولة في العذاب ؛ (الوجه العشرون) أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة «فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا جحما فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه» هؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حمما وهو الفحيم المحترق بالنار؛ وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير فإن لفظ الحديث هكذا «فيقول أرجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط» فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمة سبحانه الذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماء منه بأنه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك في المعاد والقدره ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له ما حملك على ما صنعت؟ قال خشيتك وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه الله فله سبحانه في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر وقد ثبت في حديث أنس رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام» قالوا ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوما واحدا ولا خافه ساعة واحدة ولا ريب أن رحمة سبحانه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتا أو خافه في مقام ما؛ فغير بدع أن تفنى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار (الوجه الحادي والعشرون) أن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته

له وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة معه ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه فانه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك ، وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن ساجان بن عامر عن أبي امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله ان يسعى فيقول يارب بلغني الجنة ونجني من النار فيوحى الله تبارك وتعالى اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك إن نجيتنى من النار لأعترف لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله اليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لى عليك بينة فيلتفت للعبد يمينا وشمالا فلا يرى أحدا فيقول يارب أرنى بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندى وعزتك العظامم فيوحى الله اليه عبدى انا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا ادنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟ فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته* فادام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة فاذا أراد عز وجل ان يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبرانه فعال لما يريد* (الوجه الثانى والعشرون) انه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصى من الكبائر وقيدته بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهائه (فمنها) قوله تعالى: «ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» (ومنها) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً فيها أبداً» وهو حديث صحيح* وكذلك

قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهم خالدین فیہا أبداً) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد * فكذلك الوعيد العام لاهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال في آخره فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأم من النار » (الوجه الثالث والعشرون) انه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بان عذاب النار لا انتهاء له وانه أبدي لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده * وأما الوعيد فذهب أهل السنة كلهم ان اخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه بافانه حق له ان شاء تركه وان شاء استوفاه والكریم لا يستوفي حقه فكيف باكرم الاكرمين !!! وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بانه لا يخلف وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده ، وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هذبة بن خالد ثنا سهيل ابن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار » وقال أبو الشيخ الاصبهاني ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد ابن الخليل ثنا الاصمعي قال : « جاء عمرو بن عبيد الى أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده ؟ قال لا ، قال أفرايت من أوعده الله على عمله عقاباً لا يخلف الله وعده عليه ؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد طاراً ولا خافاً ان تعد شراً ثم لا تفعله ترى ذلك كرماً وفضلاً وانما الخلف ان تعد خيراً ثم لا تفعله ، قال فأوجدني هذا في كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الاول

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ولا أخشني من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيعادي ومنجز موعدى
قال أبو الشيخ وقال يحيى بن ميماذ الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد

حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء أخذ لانه
 حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم انه غفور رحيم ، ومما يدل على
 ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : نبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
 فاذا كان هذا في وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله ان ربك
 فعال لما يريد وهذا اخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ما شاء ربك فهو
 عائد اليه ولا بد ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده بل اما أن يختص
 بالمستثنى أو يعود اليها وغير خاف أن تعلقه بقوله إلا ما شاء ربك أولى من تعلقه
 بقوله خالدين فيها وذلك ظاهر للعتامل وهو الذي فهمه الصحابة فقالوا أنت هذه
 الآية على كل وعيد في القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فان الاستثناء
 مذكور في الأنعام أيضا وانما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله ان ربك فعال
 لما يريد وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام (خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك
 حكيم عليم) فأخبر ان عذابهم في جميع الاوقات ورفعهم عنهم في وقت يشاؤه
 صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصاحبة والرحمة
 والعدل إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك ، (الوجه الرابع والعشرون) أن جانب
 الرحمة أغلب في هذه الدار البادئة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة
 والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله
 الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) وقال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
 ماترك على ظهرها من دابة) فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع
 هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء
 من الرحمة فاذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر
 والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرة له وتمكنه من إغضاب
 ربه والسعي في مساخطه فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة
 فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً ، وقد أخذ العذاب من
 الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب وأذاب منها خبيثا
 وشرأ لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى
 العقوبة والغضب بها فكيف اذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوى جانب

الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذا بته في النار وأكملته ، وسر الامر أن أسماء الرحمة والاحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام ، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب اليه من الانتقام ، وبالرحمة خالق خلقه ولها خلقهم ، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شيء وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير ، والرحمة احسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل . (الوجه الخامس والعشرون) انه سبحانه لا بد أن يظهر خلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المنافقين ، ويظهر لهم حكمه الذي هو العدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكما يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قل تعالى : «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» تحذف فاعل انقول لارادة الاطلاق وان ذلك جار على لسان كل تائق وقلبه ، قل الحسن ان قد دخلوا النار وان قلوبهم لمئة مئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلا * وهذا هو الذي حسن حذف الفاعل من قوله «قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدون فيها» حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم اذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده * وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته ونضله فاذ أشهد سبحانه ملائكته وخلقهم كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضع العقوبة حيث تشهد العقول والنظر والخالقة أنه أولى الموضع وأحقها بها وان ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يابق بها غير ذلك ، ولا يحسن بها سواد ، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك ، وأنها أولى به حصص الحكمة التي لاجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار * وليس في الحكمة الالهية ان السرور تبقى دائما لانهاية لها ولا انقطاع أبدا فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسئلة ولما لا تنظر به في غير هذا الكتاب ، فان قيل فالى أين انتهى قدمكم في هذه المسئلة العظيمة

الشأن : التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل إلى قوله تبارك وتعالى : « ان ربك فعال لما يريد » وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء بل وإلى هنا انتهت أقسام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسئلة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه وهو المان به وما كان من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده والله أعلم (١)

❦ الباب الثامن والستون ❦

(في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها)

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يارب وجدتها ملائ فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتها فيخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يارب وجدتها ملائ فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أنسخر بي وتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » (وفي صحيح مسلم) من حديث الأعمش عن المعروف بن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عمت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن يتكرر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله

(١) لم أحب أن أكتب لك تعليقا على هذا الباب ولا انتصارا لمذاهب على مذهب لأنى أحببت أن تقرأ لابن القيم لأن تقرأ لمحمود ربيع ولكل وجهة هو موليها . ع

صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» وقال الطبراني حدثنا عبد الله ابن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثني أبي عن أبيه قال حدثني أبو يحيى السكلاعى عن أبي أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول يا رب بلغنى الجنة ونجنى من النار، فيوحى الله تبارك وتعالى اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى الى النار فيوحى الله اليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لى عليك بيعة فيالتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحداً فيقول يا رب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول يا رب عندى وعزتك العظام فيوحى الله اليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه» ورواه ابن أبي شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به (وفى صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو ويمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين ، فترتف له شجرة فيقول أى رب أدنى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم لعلى ان أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى فيقول يا رب أدنى من هذه لا شرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى انك لا تسألنى غيرها؟ فيقول لعلى ان أدنيتك منها أن

تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الاولين ، فيقول أي رب ادنى من هذه الشجرة لاستظل بظلها وأشرب من مائها لأسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تهاذني أن لا تسألني غيرها؟ قال بلى يارب هذه لأسألك غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول يارب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك مني أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال يارب أستعزي مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال الا تسألونني مم أضحك؟ قالوا مم تضحك؟ قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله؟ قال من ضحك رب العالمين حين قال أستعزي بي وأنت رب العالمين فيقول لا أستعزي بك ولكن على ما أشاء قادر * وفي صحيح البرقاني عن أبي سعيد البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو باسناد مسلم سواء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن أدنى أهل النار عذابا منتعل بمنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه ، وأن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها فقال الله عز وجل هل عسيت أن فعلت أن تسألني غيره قال لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال فقال هل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ قال لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول هل عسيت أن فعلت ذلك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك لأسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة فيقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة » وفي رواية « تحت نجاف الجنة (١) انظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول أي رب ادخاني الجنة فيدخله الجنة ، فاذا دخل الجنة قال هذا لي فيقول الله له تمن قال فيتمنى ويذكره الله كذوكذا فاذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله ، قال ثم يدخل بيته ويدخل

(١) في النهاية : قيل هو - أي النجاف بكسر النون - اسكفة الباب وقال الأزهري

هو درونده يعني أعلاه . ع

عليه زوجته من الحور العين فيقولان اخذ الله الذي احياك لنا واحيانا لك فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت « وفي (صحيح مسلم) من حديث المغيرة ابن شعبه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه من ادنى أهل الجنة منزلة؟ فقال هو رجل يحبىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل مالك من ملوك الدنيا فيقول رضىت رب فيقال ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله في الخامسة رضىت رب فيقول لك هذا وعشرة امثله ولك ما اشتيت نفسك ولدت عينك فيقول رضىت رب ، قال فاعلاهم منزلة قال ذلك الذى أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصادقه في كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

﴿الباب التاسع والستون﴾

(وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر فيما تقدم من الابواب)

(فصل)

(فى لسان أهل الجنة)

قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح العسقلاني ، ثنا الاوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون » (وروى) داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لسان أهل الجنة عربى » وقال عقيل قال الزهرى : لسان أهل الجنة عربى

﴿فصل﴾

(فى احتجاج الجنة والنار)

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون

وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها، وفي رواية أخرى «تحات النار والجنة فقالت النار أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم» (١) فقال الله سبحانه للجنة : « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلي حتى يضع قدمه عليها فتقول قط فهنالك تمتلي وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً

❦ فصل ❦

(في أن الجنة يبقى فيها فضل)

فينشئ الله لها خلقاً دون النار في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء » وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة « وانه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يردده فان الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من ابليس وأتباعه فانه لا يعذب الا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) ولا يظلم الله أحداً من خلقه

❦ فصل ❦

(في امتناع النوم على أهل الجنة)

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر

(١) (سقطهم) وأدوانهم (وعجزهم) بفتح العين والجيم جمع عاجز كخادم وخدم

يريد الأغبياء العاجزين في أمور الدنيا اه من النهاية . ع

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» (وذكر) الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون»

(فصل)

(في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أدنى منها)
قال الامام أحمد ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أني لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»

(فصل)

(في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله)
قال تعالى (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من صمائم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) وروى قيس عن عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين » (وذكر) ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالالحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) إلى آخر الآية ، وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبني على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعتهم ذرياتهم) فجعل الفعل في الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه

الذرية على الكبار كما قال «ومن ذريته داود وسليمان» وقال «ذرية من حملنا مع نوح» وقال (وكنا ذرية من بعدهم أفتهما كما بما فعل المبطلون) وهذا قول الكبار العقلاء ، (قلوا) ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبأنهم أياها وإن تقاصر أعمالهم عنها (قلوا) وأيضاً فلا إيمان هو القول والعمل والنية وهذا إما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه اذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته اقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه وهذا كما أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن (وقالت طائفة أخرى) الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغاراً في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء (قلوا) ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب فانهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين ، (قلوا) ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال (قلوا) ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين وأما الاتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهلهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم وأيضاً فالخوارج والعين والخدم في درجة أهلهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكاتبين البالغين فانهم يرفعون إلى حيث بلغت أعمالهم ، (وقالت فرقة منهم الواحدي) الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه

والصغير يتبع الأب بإيمان الأب * (قلوا) والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) أي آباءهم * والأيمن يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله «فتحرير رقبة مؤمنة» فهو أعتق صغيراً جاز (قلوا) وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عيولهم ثم قرأ هذه الآية: وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له أقدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقربهم عيوله وإن لم يبلغوا ذلك * وقال أبو مجلز يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا: وقال الشعبي أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة * وقال السكابي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء * وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء: وقال إبراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قل ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ «واتبعهم ذريتهم» فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار * والذين اتبعوهم بإحسان) ومن قرأ «وأتبعناهم ذرياتهم» فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إيماناً في الإيمان حكماً فدلّت القراءتان على النوعين * فأتوا واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم

(فصل)

(في أن الجنة تتكلم)

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: «احتجت الجنة والنار» وقوله «قالت الجنة يا رب قد اطردت أنهارى * وطابت ثمارى فمجل على بأهلى» وقال اسماعيل ابن أبي خالد عن سعيد الطائي «أخبرت أن الله تعالى لما خالق الجنة قل لها تزيين فزينت ثم قل لها تكلمي فتكلمت فقالت طوبى لمن رضى عنه» وقال قتادة «لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي فقالت طوبى للمتقين» وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله الجنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها تسكمني فقالت قد أفلح المؤمنون»

﴿فصل﴾

(في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام)

قال عبد الله بن أحمد ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب بن قيس : «ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طيبى لأهلك فترداد ضمة حتى يدخلها أهلها»

﴿فصل﴾

(في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن)
كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك * وقول الحوراء لامراته في الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا * وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الحور العين اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك ، وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال : كن شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان أن نزلوا فهو يعلى وإن أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخى أخبرني ما الذى هيجك إلى ما رأيت ؟ قال رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين ، رخیة شعرها ، عايتها ثوب من فضة ، أنشئ معها كلما تثنت ، فقالت جدد إلى الله في طابى فقد والله جددت إليه في طلبك فهذا الذى تراه في طلبها . قال أبو سليمان هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طالب ما هو أكثر منها

﴿فصل﴾

(في ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال الله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل

تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمن به فيذبح قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبأهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون متفق عليه * وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى جهنم» وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لا أهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت» رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح وهذا الكذب والاضجاع والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح قال الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كذب يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاناة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الاعراض أجساماً تكون الاعراض مادة لها وينشئ من الاجسام أعراضاً كما ينشئ سبحانه من الاعراض أعراضاً ومن الاجسام أجساماً فالأقسام الاربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قل أن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل

الباطل الذي لا يوجب عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لم اراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه فظن هذا القائل ان لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غلط آخر أن العرض يعدم وينزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا انقول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الاعراض أجساما ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم «تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين وكذلك قوله في الحديث الآخر «ان ماتذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن» ذكره أحمد وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها «فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ» وهذا حقيقة لاخيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة الا نفس ايمانهم انشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل (وقال) سعيد بن قتادة بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له من أنت فوالله اني لا اراك امرأ الصديق فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة . وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله اني لا اراك امرأ السوء فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار ، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر هذه الآية (أفأنا نحن بمعيتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذيين) قل علموا ان كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أنا نحن بمعيتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذيين قيل لا، قالوا ان هذا هو النور العظيم وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ثم يبكي حتى تجرى دموعه على لحية

(فصل)

(في ارتفاع العبادات في الجنة الا عبادة الذكر فانها دائمة)

(روى) مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس» وفي رواية التسبيح والتكبير كما تلهمون «بالثناء المنة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الانفاس كما تلهمون أنتم النفس

(فصل)

(في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا)

قال الله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين) الآيات وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فى الله علينا ووقانا عذاب السموم) وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه : « اذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتق الاخوان بعضهم الى بعض فيسير سرير هذا الى سرير هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يجتمعوا جميعا فيتسكىء هذا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه نعم يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا واذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الاحاديث أولى وأحرى فان المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألد من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك فى الجنة اعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم

﴿الباب السبعون﴾

(فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره)

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها) وقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا

الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وقال تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون أقول فيتعبدون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) وقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) وقال تعالى (ولذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (إنما تنذروا من أتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) وقال تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) وقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قلوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وقال في الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنة الفردوس نزلا) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد أنزلت على عشر آيات من آدم من دخل الجنة ثم تلا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر آيات» وقال تعالى (إن المسلمين والمسلمات) إلى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون

الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادة من كان تقيا) وقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) إلى قوله (وبشر المؤمنين) وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وهذا في القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة أهل البشري دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت إشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصاين اخلاص في طاعة الله واحسان إلى خلقه وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أتلاها قول لاله الا الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل مأخبر به وطاعته في جميع ماأمر به إيجابا واستحبابا كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل كما قال الشافعي رحمه الله: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه، وكأنه أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كلذي تقول وخيرا مما نقول » وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الامام أحمد عنهم بلفظه ، قال في مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وادركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق قال وهو مذهب أحمد واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن محمد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم ان الايمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة. والايمان يزيد وينقص * ويستثنى من الايمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية عند العلماء فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت فإنه يقول أنا مؤمن ان شاء الله * أو مؤمن أرجو، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن زعم أن الايمان قول بلا عمل فهو مرجى * ومن زعم أن الايمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجى، ومن زعم أن الايمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء في الايمان فهو مرجى * ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجى * ومن زعم أن المعرفة في القلب وان لم يتكلم بها فهو مرجى * والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء وقضاء على عبادته . وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه تضادهم بل هم كلهم صائرون الى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز، والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لاحد من خلقه على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه، لا يستل عما يفعل وهم يسئلون، وعلم الله عز وجل ما مضى في خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من ابليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى الى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها، فكل يعمل لما خلق له وصائر الى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد، ومن زعم ان الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لانفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له أرأيت هذه المرأة همت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال لا فقد زعم أن مع

الله خالقاً وهذا الشريك صراح ، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول الخوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله ، ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجل ، وأي كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد ، ومن أقر بعلم لومه الاقرار بالقدر والمشيمة على الصغر والقامة * ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنوب عمله ولا لكبيرة أذناها إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخيراً أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنا عشر وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو خروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفقى والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانتقياء لمن ولاه الله عز وجل أمرهم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والامساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكف لسانك ويدك وهوأك * والله المعين * والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنوب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع ذلك ولا تجاوز * والأعور الدجال خارج لاشك في ذلك ولا ارتياب وهوأك كذب الكاذبين ، وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار * ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات * وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق ، حوض ترده أمة ولهم آية يشربون بها منه ، والصراط حق

يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والميئات كما شاء الله أن يوزن * والصور حق ينفخ فيه اسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الاخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب * والجنة والنار * والالواح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء * والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار * ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبنوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خاقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فاذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل «كل شيء هالك الا وجهه» ونحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات * ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومناقب الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، ولا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به فان احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)، وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل انما يعنى بذلك العلم ان الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن

من خلقه لا يخلو من ثلثه مكان * والله عز وجل عرش والعرش حلة يحملونه
والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد * والله عز وجل سميع لا يشك ، بصير
لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا يذمى ، ولا يسهو ،
قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح ويحب ويكره ويبغض ،
ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطي ويمنع ، وينزل كل ليلة الى
السماء الدنيا كيف شاء ليس كمنه شيء وهو السميع البصير ، وقلوب العباد بين
أصبعين من أصابع الرحمن يقابها كيف يشاء ويوعيتها ما أراد ، وخلق آدم بيده
على صورته ، والسموات والارض يوم القيامة في كفه ، ويضع قدمه في النار
فتنزوى ويخرج قوما من النار بيده ، وينظر الى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم
ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك
غيره عز وجل ، والقرآن كلام الله الذى تكلم به ليس بمخلوق فن زعم أن القرآن
مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس
بمخلوق فهو أجبث من القول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة
والقرآن كلام الله فهو جهمى ، وكلم الله موسى تكليماً منه اليه ، وناوله التوراة
من يده الى يده ، ولم يزل الله عز وجل متكلماً ، والرؤيا من الله وهى حق اذا
رأى صاحبها فى منامه ما ليس ضغناً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم
على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا
من الانبياء وحيا فإى جاهل أجهل ممن يطعن فى الرؤيا ويزعم أنها ليست
بشيء ؟ وبلغنى أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقدرى
عن النبي صلى الله عليه وسلم . « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال
: « ان الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم
والكف عن ذكر مساوئهم التى شجرت بينهم فن سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو
عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا
عدلاً ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قرينة والاقتداء بهم وسيلة والاخذ بآثارهم فضيلة
وخير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبى بكر وعثمان
بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون
ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الاربعة خير الناس ، لا يجوز
لاحد ان يذكر شيئاً من مساوئهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص

فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فان تاب قبل منه وان لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع ، ونعرف للعرب حقها وفضائها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حبهم ايمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فان قوهم بدعة، ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فان ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين انما هو كتاب الله عز وجل وآثاره وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالاخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضها حتى ينتهى ذلك الى رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلمين بالآثار، ولا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بالكذب ولا يرمون بخلاف الى أن قال هذه الاقاويل التى وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والآثر وأصحاب الروايات وحمل العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخايط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا أقباهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه * قلت حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنها مسائل جلية وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها * ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجدته مطابقا لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مرارا وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرا متوسطا فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرية قولا وعملا واعتقادا وبالله التوفيق (١)

(فصل)

(ونحتم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجمة)
قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار
(١) مر فيه ما تركناه يعنى بلا تعليق حتى لا نرد بمذهب على مذهب . ع

في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم ونحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم
 أن الحمد لله رب العالمين (قال حجاج عن ابن جريج أخبرني أن قوله دعواهم
 فيها سبحانك اللهم قل إذا مر بهم الطير ليشتهونه قلوا سبحانك اللهم وذلك
 دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتروا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى
 ونحيتهم فيها سلام قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (قل سعيد) عن قتادة قوله تعالى دعواهم
 فيها سبحانك اللهم يقول ذلك دعاؤهم فيها ونحيتهم فيها سلام (وقال) الأشجعي
 سمعت سفیان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم
 مادعوا به ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق
 به (وذكر) سفیان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « سئل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء » وسأل ابن
 الكواء علياً عنها فقال كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وقال حفص بن سليمان بن طلحة
 ابن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « سألت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء » فأخبر الله
 تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قلوا سبحان الله وعن آخر دعواهم
 عند ما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين ومعنى الآية اعم من هذا
 والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة وفي الحديث أفضل
 الدعاء الحمد لله رب العالمين فهذا دعاء ثناء وذكر يلهيهم الله أهل الجنة فأخبر سبحان
 عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهيهم بها كما يلهيهم النفس * وفي
 هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه
 الدعوى التي يلهيهم بها، وفي لفظة اللهم إشارة إلى صريح الدعاء فإنها متضمنة للمعنى
 يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء
 قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصرُوا به، فإنهم
 أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عند ما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدل على
 ذلك، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح
 على أنهم يلهيهم ذلك كما يلهيهم النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت
 ارادة الشيء وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم
 بالصواب

فهرس كتاب حادى الارواح

الصفحة	الموضوع
٢	كلمة رئيس جمعية النشر والتأليف الازهرية
٥	ترجمة المؤلف شمس الدين بن القيم
٨	خطبة الكتاب
١٠	فصل ولما علم الموفقون ما خلتوا له إلى آخره
١١	شعر فى وصف الجنة
١٣	فصل وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه الخ
١٧	الباب الاول فى بيان وجود الجنة الآن
٢٥	« الثانى فى اختلاف الناس فى الجنة التى اسكنها آدم هل هى جنة الخلد ام جنة أخرى
٢٧	الباب الثالث فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد
٣١	« الرابع فى سياق حجج الطائفة التى قالت ليست جنة الخلد
٣٥	« الخامس فى جواب ارباب هذا القول لأصحاب القول الاول
٣٨	« السادس فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم
٤٠	« السابع فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد
٤١	« الثامن فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة
٤٣	« التاسع فى ذكر عدد ابواب الجنة
٤٨	« العاشر فى ذكر سعة ابوابها
٥٠	« الحادى عشر فى صفة ابوابها وانها ذات خلق
٥٠	فصل ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض الخ
٥١	الباب الثانى عشر فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب
٥٢	« الثالث عشر فى مكان الجنة وأين هى؟
٥٤	« الرابع عشر فى مفتاح الجنة
٥٥	الباب الخامس عشر فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها
٥٧	فصل واما المنشور الثانى
٥٧	الباب السادس عشر توحد فى طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

الصفحة	الموضوع
٥٩	« السابع عشر في درجات الجنة
٦٢	« الثامن عشر في ذكر أعلا درجاتها واسم تلك الدرجة
٦٤	« التاسع عشر في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم الخ
٦٧	فصل وهنا امر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة انما تدخل برحمة الله تعالى الخ
٦٧	الباب العشرون في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم الخ
٧١	« الحادى والعشرون في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها الخ
٧٧	« الثانى والعشرون في عدد الجنات وأنها نوعان
٧٩	« الثالث والعشرون في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان
٨١	« الرابع والعشرون في ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم
٨٢	« الخامس والعشرون في ذكر أول من يقرع باب الجنة
٨٣	« السادس والعشرون في ذكر أول الأمم دخولا الجنة
٨٤	« السادس والعشرون في ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفتهم
٨٦	« الثامن والعشرون في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة
٨٧	« التاسع والعشرون في ذكر اصناف أهل الجنة الذين ضمن لهم دون غيرهم
٩٠	« الثلاثون في ان أكثر أهل الجنة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
٩١	« الحادى والثلاثون في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار
٩٤	« الثانى والثلاثون في من يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم
٩٦	« الثالث والثلاثون في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة
٩٨	« الرابع والثلاثون في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها
١٠١	« الخامس والثلاثون في ذكر نورها وبياضها
١٠٢	« السادس والثلاثون في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها
١٠٥	الباب السابع والثلاثون في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة
١٠٦	« الثامن والثلاثون في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها
١٠٩	« التاسع والثلاثون في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار اسنانهم
١١	الباب الأربعون في ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم

الموضوع	الصفحة
الحادى والاربعون فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها	١١٢
الثانى والاربعون فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق	١١٤
الثالث والاربعون فى ذكر الاذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها	١١٦
الرابع والاربعون فى اشجار الجنة وبساتينها وظلالها	١١٧
فصل واما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز	١١٨
الباب الخامس والاربعون فى ثمارها وتعداد انواعها وصفاتها وريحانها	١٢٢
السادس والاربعون فى زرع الجنة	١٢٦
السابع والاربعون فى ذكر انهار الجنة وعيونها واصنافها ومجرها الذى تجرى عليه	١٢٧
فصل وأنهار الجنة تنفجر من اعلاها ثم تنحدر نازلة إلى اقصى درجاتها	١٢٩
فصل وأما العيون	١٣٢
الباب الثامن والاربعون فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفهم	١٣٣
التاسع والاربعون فى ذكر آتيتهم التى يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها	١٣٨
الخنسون فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم الخ	١٤١
فصل ومن ملابسهم التيجان على رؤسهم	١٤٦
فصل وأما الفرش	١٤٧
فصل واما البسط والزرابي	١٤٨
فصل واما الرفرف	١٤٩
فصل واما العبقرى	١٤٩
الباب الحادى والخنسون فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم الخ	١٥٠
فصل واما الارائك	١٥٢
الباب الثانى والخنسون فى ذكر خدمهم وغلمانهم	١٥٣
الباب الثالث والخنسون فى ذكر نساء أهل الجنة واصنافهم وحسنهن وأوصافهن	١٥٥
وجمالهن الخ	
فصل وقوله تعالى وزوجناهم بحور عين	١٥٧
وقال تعالى فى وصفهن حور مقصورات فى الخيام	١٥٩
» » » (فيهن خيرات حسان)	١٦٠
» » » إن أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب	١٦٠
اليمين .	

١٦٣ فصل روى البخارى فى صحيحه (لعدوة فى سبيل الله أو روعة خير من الدنيا الخ)

١٦٦ فصل والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين الخ

١٦٧ الباب الرابع والخمسون فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار الخ

١٧٠ الباب الخامس والخمسون فى ذكر نكاح أهل الجنة الخ

١٧٢ الباب السادس والخمسون فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا

١٧٩ » السابع والخمسون فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

١٨١ فصل ولهم سماع أعلا من هذا

١٨٣ » » » » » يضمحل دونه كل سماع

١٨٣ الباب الثامن والخمسون فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

١٨٥ الباب التاسع والخمسون فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا

١٨٨ فصل ولهم زيارة أخرى أعلا من هذه وأجل

١٨٨ الباب الستون فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

١٩٠ الباب الحادى والستون فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

١٩٣ الباب الثانى والستون فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيهم فى الجنة

١٩٤ فصل وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سببا للرحمة والحياة فى هذه الدار الخ

١٩٤ الباب الثالث والستون فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

١٩٧ الباب الرابع والستون فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال

٢٠٢ الباب الخامس والستون فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة وبيان الأدلة

٢١١ وأما الأحاديث الدالة على الرؤية فتواترة وبيانها

٢٣٧ فصل وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة

الاسلام بعدهم فى الرؤية

٢٤٠ فصل وأما التابعون أى وقولهم فى الرؤية الخ

- ٢٤١ » في المنقول عن الأئمة الأربعة الخ
- ٢٤٦ » في وعيد منكرى الرؤية
- ٢٤٧ الباب السادس والستون في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضراته إياهم وسلامه عليهم
- ٢٤٨ الباب السابع والستون في أبدية الجنة وانها لا تنفنى ولا تبطل وفيه فصول
- ٢٥٠ فصل وهذا موضع يختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال الخ
- ٢٥٤ فصل وأما أبدية النار ودوامها
- ٢٦٠ فصل والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق وبيانها
- ٢٦٣ فصل ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا الخ
- ٢٨٠ الباب الثامن والستون في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها
- ٢٨٣ الباب التاسع والستون وهو باب جامع فيه فصول مشورة
- » فصل في لسان أهل الجنة
- » فصل في احتياج الجنة والنار
- ٢٨٤ فصل في أن الجنة يبقى فيها فضل
- » فصل في امتناع النوم على أهل الجنة
- ٢٨٥ فصل في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة
- » فصل في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله
- ٢٨٧ فصل في أن الجنة تتكلم
- ٢٨٨ فصل في أن الجنة تزداد حسنا على الدوام
- ٢٨٨ فصل في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن
- » فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار
- ٢٩١ فصل في ارتفاع العبادات في الجنة الخ
- » فصل في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا
- » الباب السبعون في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره
- ٢٩٨ فصل ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا الخ